أسوأ النساء
في التاريخ
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة
سلمى مجدي

أسوأ النساء في التاريخ

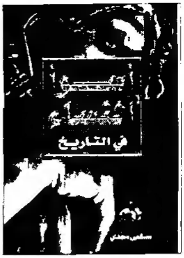

اسم الكتاب: أسوأ النساء في التاريخ

اسم المؤلف: سلمى مجدى

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٢٩٠٦/ ٢٠٠٨

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-444-3

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبة الفتال - فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثاني - ت: ٢٢٢٢٣٧٣

حقوق الطبع محفوظة

تحذير:
جميع الحقوق محفوظة لدار الكتاب العربى للنشر وغير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج الكتاب أو أى جزء منه أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد اليكترونية أو نقله بأى وسيلة أخرى أو تصويره أو تسجيله على أى نحو بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

الطبعة الأولى
٢٠٠٩

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥

مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢ - ٢٣٩٣٣٦٧١

لبنان - تلفاكس: ٠٥ /٤٣٤١٨٦ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات

www.darketab.com - info@darketab.com

E-mail: darkitab2003@yahoo.com - darkitab-nassif@hotmail.com

أَسْوَأُ النِّسَاءِ فِي التَّارِيخِ

سلمَى مجدِي

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

تقديم

ooo

منذ بدء الخليقة ، والصراع بين الخير و الشر موجود داخل النفس الإنسانية ، بغض النظر عن جنس الإنسان أو جنسيته ، دينه ، أو لغته ، أو مكانته الاجتماعية، رجلا أكان أم امرأة ، وربما يكون الفارق الوحيد هو أن المرأة أكثر قدرة من الرجل على الخداع والتخفي، وأخطر من حيث الأساليب التي تتبعها للتعبير عن الشر عندما يتملك منها ، ويخرج عن السيطرة، فتمتد آثاره المدمرة حتى إلى أقرب الناس إليها .

الاعتقاد السائد بأن الجريمة يرتكبها الرجال وأن طبائع النساء التي تتسم بالنعومة لا تساعد على ارتكاب الجريمة. من المؤكد أن هذا الانطباع خاطئ حيث إن الجريمة ومنذ الخليقة ارتبطت بالإنسان، وبصرف النظر عن جنسه، وإن كانت نسب الذكور تفوق النساء.

وقد اهتم علماء الاجتماع الجنائي وعلم الإجرام بأنماط الجريمة، وحاولوا أن يفسروا أسباب ارتكاب الجريمة، كما قدموا لنا تفسيرات متعددة للسلوك المنحرف والإجرامي في المجتمع.

وبدأ الاهتمام في الآونة الأخيرة لكثير من الباحثين بجرائم النساء وخصوصاً بأن سجلات الشرطة والمحاكم كشفت بأن كثيرا من الجرائم تكون المرأة الدافع في ارتكابها وإن نفذها الرجل.

وقد قام العالم "يولاك" بدراسة جرائم النساء وخرج بمجموعة من النتائج والتي كان من أهمها أن إجرام النساء هو نتيجة شرور خفي ومُقَنَّع، وأن المرأة لا تختلف عن الرجل في سلوكها العدواني، وربما تتفوق المرأة على الرجل في سمات العنف.

كما أشارت بعض الدراسات في علم اجتماع الجريمة إلى أن النساء يلعبن دوراً ثانويًا في جرائم النصب والاحتيال مقارنة بالدور الرئيسي الذي يلعبه الرجال، إلا أنهن يستخدمن الدهاء والحيلة ويؤدين دورا في هذه الجرائم من خلال استخدام وسائل الإغراء التي تتمتع بها المرأة.

ومن الطرائف التي تم اكتشافها أن الجريمة لا علاقة لها بتفاوت القوة الجسمانية، حيث تبين أن القوة البدنية لم تعد لها أهمية فيما يتعلق بارتكاب النساء للجرائم التي يرتكبها الرجال.

وما يدعم الحقائق العلمية أن المرأة لا تختلف عن الرجل في تعبيرها عن الشر الذي يعتمل في نفسها وارتكابها للجريمة أو إتيانها السلوك العنيف.

وبالعودة للتاريخ سنجده يقدم لنا نماذج بشرية تمثل نسوة في غاية السوء ، تملك الشر منهن ، فرحن يقتلن و يدمرن و يخربن و يشوهن وجه الحياة ، بعضهن ملكات ، وبعضهن أميرات ، بعضهن نجمات مجتمع شهيرات ، وبعضهن من العامة خرجن من قاع المجتمع بشر مستطير عبرن عنه بجرائم وحشية وضعتهن في سجل أسوأ نساء التاريخ !!

وفي هذا الكتاب نقدم عشرات النماذج لنساء هن الأسوأ في تاريخ البشرية، نساء من أهل القمة ، وأخريات من سكان القاع ، يشتركن جميعهن في ارتكاب أفعال ، خلعت عليهن جميعا لقب " الأسوأ " .

في هذا الكتاب سنجد نساء كافرات وأخريات خائنات كامرأة نبي الله نوح، وامرأة نبي الله لوط عليهما السلام ، وكعنيزة بنت غنم التي استخدمت ابنتيها لتدبير مؤامرة قتل ناقة الله وآيته لنبيه صالح عليه السلام و قومه ، سالومي اليهودية التي تآمرت مع امها لدفع ملك فاسد لقتل نبي الله يحيي عليه السلام، وامرأة العزيز التي راودت نبي الله يوسف عليه السلام عن نفسه و اتهمته زورا وبهتانا !!

في هذا الكتاب أيضا سنطالع قصة دليلة رمز الغدر و الخيانة ، والملكة كاترين الثانية الإمبراطورة الفاسدة ، والكونتيسة إليزابيث دراكيولا النساء، والملكة صفية التي دبرت مذبحة أبناء السلطان العثماني الشهيرة ، وتزوهسي الإمبراطورة الصينية التي كانت تلدغ كالعقرب ، والملكة "ماري الدموية " أسطورة الشر، ومدام دي بومباردور المركيزة اللعوب ، وملكة مصر الكارثة نازلي ، وأولريكه ماينهوف أكبر زعيمة إرهابية عرفها العالم ، و كاميلا بركر باولز المرأة التي حطمت أسطورة ديانا ، وسوزان سميث قاتلة أطفالها ، واليهودية روكسلانا خائنة الإمبراطورية العثمانية، وكريستين كيلر فتاة المسبح العارية ، والملكة التي لا ترحم كريستين السويدية، وزوجة الرئيس الأمريكي الراحل أبراهام لنكولن عدوة الأمريكيين ، وميسالينا ظل الشيطان ، وزوجة سقراط ومعذبته ، وزوجة تولستوي رمز الشقاء للمبدعين ، ونجمة االسينما لانا تيرنر ، ومايرا هندلي الشبح الذي يطارد البريطانيين ، وإميلدا ماركوس الحسناء الحرباء .

وفي الكتاب أيضا قصة لولا مونتيز .. وآنا نيكول سميث ، وماري لويز ، وكارمن موري ، وآني موشيه بيراد ، وريا وسكينة ، وانشراح موسى ، والإمبراطورة إيرين، وإيماس إدموندز ، وشولا كوهين ، وكاترين دي يونج ، وآنا ماري ليستر ، وكورا بيرل، وباربارة فيليرز ، وإليزا لينش !!

في هذا الكتاب نساء و نساء آثرن التجرد من أنوثتهن بل ومن بشريتهن والتحليق في عوالم الشر لتحتل كل منهن مكانها في قائمة أسوأ النساء في التاريخ !!

سلمى مجدي

١

زَوْجَةُ نُوحٍ

حَقَّ عليها القَوْلُ !!

OOO

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾

(الآية ١٠ سورة التحريم)

يروي القرآن الكريم قصة نوح عليه السلام مع قومه، ويعرض لنا مسيرته الطويلة والشاقة معهم التي استمرت(ألف سنة إلا خمسين عاماً) كان خلالها يدعوهم إلى عبادة الله وحده صابراً على ما كان يلقاه منهم من الأذى والإعراض والنفور.

وكانت النتيجة أن آمن به البعض من ضعفاء الناس وعاداه أكابرهم؛ أما أقرب الناس إليه زوجته التي من المفترض أن تكون ممّن يشدون أزره، ومن الداعمين له على المُضي قُدُماً في إبلاغ ما أمره به ربه، فلقد اختارت السير في ركاب قومها.

ذكر المفسرون ومنهم القرطبي وابن كثير رحمهما الله تعالى أن امرأة نوح تدعى "واغلة" وقيل "والغة"، وقد أوصلها إعراضها عن الحق حدًّا جعلها تشيع عن زوجها نوح عليه السلام أنه مجنون. ذكر القُرطبي في تفسيره أنها قالت له ذات

مرة: يا نوح أما ينصرك ربك؟ فقال لها: نعم، فقالت باستهزاء: فمتى؟ قال: إذا فار التنور... فخرجت تقول لقومها: يا قوم: والله إنه لمجنون، يزعم أنه لا ينصره ربه إلا أن يفور هذا التنور، ولم تكتفِ بذلك بل وصل بها الأمر أنه إذا آمن أحد بدعوته سارعت إلى قومها وأخبرتهم ليفتنوه عن دينه.

والمتأمل في قصة هذه المرأة يجد أنها كانت مثالاً للمرأة الإمَّعة، فهي فضّلت اتّباع ما كان عليه قومها من عبادة الأصنام وتعظيمها على أن تستجيب لدعوة نوح عليه السلام الذي لم يؤمن به إلا فقراء الناس وضعفائهم.

كما كانت نموذجاً للأم السيئة لأنها بكفرها أثرت سلباً على موقف ابنها (ريام) أو (كنعان) كما يسميه أهل الكتاب الذي كان خاضعاً لتربيتها المنحرفة، ومتأثراً بأجواء بيئتها الكافرة التي كثرت فيها المعاصي، فكان نصيبه الموت غرقاً في الدنيا وعذاباً في الآخرة.

بالإضافة إلى ذلك كانت "واغلة" مثالاً للمرأة التي تهاونت بحقوق زوجها عليها عندما آثرت تقديم فروض الطاعة والاحترام والولاء لأكابر قومها ومجرميهم بدلاً من زوجها الذي استخفت به وبدعوته.

وفي قصة امرأة نوح عليه السلام مع زوجها نستخلص العديد من العبر منها أن الله سبحانه وتعالى قد يبتلي المؤمن بزوجة- والعكس صحيح - تحاول أن تضغط عليه لتبعده عن جادة الإيمان؛ لذلك أن الثبات على الحق وقوة العزيمة ومضاءها الأسلحة الناجعة لمواجهة مثل هذا الموقف.

إنّ للمرأة دورا مؤثرا على مسيرة زوجها الدعوية؛ لذلك إن ضعف قناعتها بأمر دعوته محزن لقلبه، موهن له كثيرًا، فواغلة على سبيل المثال بدلاً من أن تشجِّع وترغب قومها بدعوة زوجها نوح عليه السلام وتكافح وتنافح عنه وعن دعوته إذا دعت الضرورة، أضحت بتقليدها الأعمى أداة للتنفير والتشويه.

إنّ التفاضل بين الناس لا يقوم على أساس النسب والمستوى الاجتماعي بل يقوم على أساس الدين والعقيدة، وقصة نوح مع زوجه وابنه وقومه خير شاهد على ذلك.

٤- من المهم أن يختار الرجل الزوجة ذات الدين كما بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف الذي يقول فيه: " فاظفر بذات الدين تربت يداك"؛ فالزوجة الصالحة هي صمّام الأمان الذي يحول دون جنوح الأبناء وسقوطهم في مهاوِي المعاصي.

٥- إنّ دور المرأة لا يقتصر على العناية بالمنزل والزوج والأولاد، بل لها دور دعوي هام خارج بيتها، فهي عامل تأثير إمّا إيجابي أو سلبي على المحيطين بها.

إنّ الصراع بين الحق والباطل قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، واللافت أنّ الأساليب التي استخدمت لإسكات أصوات الأنبياء سابقاً لا تزال هي نفسها التي تمارس بحقّ المسلمين اليوم من إطلاق التهم والدعاوى الباطلة منها الجنون ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ (الآية ٩ سورة القمر)والتي استبدلت حيث استبدلوا بها (الإرهاب) أو اتباع أساليب التخويف والأذى الجسدي والنفسي (قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكوننّ من المرجومين)، والتي غالباً ما تصدر من أقرب الناس إليهم والذين هم من أبناء جلدتهم ولغتهم.

ختاماً نقول: إن أهم سبب دفع زوجة نوح وعوام قومها للابتعاد عن الحق هو تأثرهم بالطواغيت وأكابر القوم وحكامهم ومجرميهم الذين يسمون في كتاب الله بـ"الملأ "، فهؤلاء لم يتورعوا عن استخدام الأساليب المغرية الماكرة، قال تعالى"ومكروا مكراً كباراً" للتأثير في الطُّغمة العريضة من الناس معتمدين على قوى ثلاث: السلطة والمال والقوة الإعلامية والدعائية.

إن في قصة امرأة نوح وابنها وقومها الذين أغرقهم الطوفان - نتيجة إعراضهم عن الحق واتباعهم الأعمى لكبرائهم ورؤسائهم الذين زينوا لهم عبادة الأصنام وأنفقوا الأموال في تشييدها- عِبرة وعِظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وقد جاء ذكر نوح في العديد من الآيات القرآنية في سورة آل عمران وسورة النساء وسورة المائدة و سورة الأنعام وكذلك سورة نوح المسماة على اسمه وغيرها وحسب الدين الإسلامي المجيد فإن الله أرسل نوحا إلى قوم يعبدون الأوثان ليدعوهم إلى عبادته وحده وترك عبادة غيره، لكن نوحا لم يلق آذانا صاغية واستمر الأكثرية على عبادة الأوثان ونصبوا له العداوة ولمن آمن به وتوعدوهم بالرجم.

كما قال القرآن المجيد فإن نوحا عليه السلام لبث في قومه يدعوهم إلى عبادة الله ألف سنة إلا خمسين عامًا وأن الله أمره ببناء سفينة و أوحي لنوح بأن علامة بدأ الطوفان هو مجيء أمر اللهِ بفوران التنور ، وقيل بالتنور بأنه حدوث بركان في المنطقة ، وفي تفسير آخر فوران تنور نوح . ولما تحققت العلامة أمر نوح بأن يحمل في متن السفينة من كل دواب الأرض زوجين وأهله ومن آمن معه.

لم تكن زوجة نوح مؤمنة به فلم تصعد، وكان أحد أبنائه يخفي عصيانه ويبدي الإيمان أمام نوح، فلم يصعد هو الآخر و كذلك كانت أغلبية الناس غير مؤمنة هي الأخرى، فلم تصعد. وصعد المؤمنون. قال ابن عباس، رضي الله عنهما: "آمن من قوم نوح ثمانون إنسانا" .

فبدأ بالتحميل في السفينة وانفجرت الأرض عيونا وهطلت السماء وارتفع الماء (سورة القمر) حاملا السفينة وهي تجري بهم في موج كالجبال وهلك الباقون ولم يبق الله على الأرض منهم ديارا.

■ ■ ■

٢

امرأةُ لُوطٍ..

الخائنةُ الكُبْرى !!

ooo

"أهلك الله تبارك وتعالى زوجة نبيه لوط عليه الصلاة والسلام مع الهالكين لأنها كذبت نبيه لوطاً عليه السلام ولم تؤمن به ولم تدخل في دين الإسلام، بل بقيت كافرة مع قومها راضية بأفعالهم الخسيسة وصفاتهم المذمومة، فحلَّ بها من السُّخط والعذاب ما حلَّ بقومها جزاء لها على كفرها وتعاطفها مع قومها ."

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الآية ١٣٣سورة الصافات)

وقال تعالى:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾

(الآية٥٤ سورة النمل)

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾

(الآية ٥٥سورة النمل).

لوط عليه الصلاة والسلام هو من الأنبياء والرسل الكرام، وقد ذكره الله تبارك وتعالى في القرءان الكريم سبعاً وعشرين مرة، في الأعراف وهود والحِجْر والشعراء

والنمل وغيرها من سور القرءان، هذا وقد ذكرت قصته مع قومه مفصلة في بعض السور ومجملة في البعض الآخر.

هو لوط بن هاران بن تارح - يعني ءازر- وقد بعثه الله تعالى في زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو ابن أخيه لأن هاران هو أخو إبراهيم وناحور وكلهم أولاد ءازر. واسم لوط عجمي ليس عربياً وليس مشتقاً من اللواط لأن اللواط لفظ عربي تصريفه لاط يلوط لواطاً أي فعل تلك الفاحشة ولا يليق بمنصب الأنبياء أن يكون اسم أحدهم مشتقاً من لفظ معناه خبيث.

وقد صدق لوط بدعوة عمه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام واهتدى بهديه، قال الله تعالى في القرءان: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (٢٦ سورة العنكبوت).

وقد هاجر لوط عليه السلام مع عمه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام من العراق وتبعه في جميع أسفاره ورحلاته، ثم بعثه الله تبارك وتعالى إلى أهل سدوم في الأردن قرب البحر الميت.

كان نبي الله لوط عليه السلام قد نزح عن محلة عمه إبراهيم الخليل بإذنه فنزل بمدينة سدوم كما أمره الله تعالى وهي في أطراف شرق الأردن قرب البحر الميت، وكانت هذه المدينة لها قرى مضافة إليها.

وكان قوم سدوم من أكفر الناس وأفجرهم وأخبثهم طوية وأقبحهم سيرة، فقد كانوا ذوي أخلاق رديئة ونفوس خبيثة لا يستحون من منكر ولا يتعففون عن معصية، وكانوا يقطعون السبيل على المسافرين ويأتون في ناديهم المنكر ولا يتناهون عن المنكرات فيما بينهم، وكانوا ابتدعوا جريمة نكراء وذنباً شنيعاً اشتهروا به، ولم يسبقهم إليه أحد من أهل الأرض وهي إتيان الذكور - أي اللواط - قال تعالى حكاية عن قول لوط عليه السلام ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الآية ١٦٥ سورة الشعراء) .

﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ (١٦٦سورة الشعراء) .

ولقد كان قوم لوط من قساوة قلوبهم وفساد أخلاقهم يتجاهرون بفعل فاحشة اللواط ولا يستترون ولا يستحون، فلما بعث الله تعالى نبيه لوطاً إليهم دعاهم إلى دين الإسلام وعبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والمنكرات وتلك الأفاعيل المستقبحة، ولكنهم استمروا على كفرهم وإشراكهم وتمادوا في ضلالهم وطغيانهم وفي المجاهرة بفعل اللواط.

وقيل: إن الذي حملهم على إتيان الرجال دون النساء أنهم كانت لهم بساتين وثمار في منازلهم وبساتين وثمار خارجة على ظهر الطريق وأنهم أصابهم قحط شديد وجوع فقال بعضهم لبعض: إن منعتم ثماركم هذه الظاهرة عن أبناء السبيل والمسافرين كان لكم فيها معاشٌ ، فقالوا: كيف نمنعها؟ فأقبل بعضهم على بعض فقالوا: اجعلوا سنتكم -أي عادتكم وطريقكم- فيها أن من وجدتموه في بلادكم غريباً فاسلبوه وافعلوا معه الفاحشة فإن الناس لا يطئون أرضكم .

وزين لهم الشيطان هذا الفعل الخبيث، فكانوا كذلك حتى بعث الله لهم لوطاً عليه الصلاة والسلام فدعاهم إلى عبادة الله وترك هذه المحرمات والفواحش، قال الله تبارك وتعالى:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (الآية ٨٠ سورة الأعراف) .

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ (الآية٨١ سورة الأعراف) .

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الآية١٦١ سورة الشعراء) . ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ (الآية ١٦٢ سورة الشعراء) . ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (الآية ١٦٣سورة الشعراء) .﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٤سورة الشعراء).

ولكنهم تمادوا في غيِّهم وضلالهم ولم يزدهم وعظ نبيهم وأمره لهم بالمعروف ونهيه لهم عن المنكر الا تمادياً وتكبراً وطغياناً واستعجالاً لعقاب الله إنكاراً منهم لوعيده وتكذيباً منهم لنبي الله لوط عليه الصلاة والسلام .

فقد كانوا يقولون له: ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين، ولم يكتفوا بهذا التكذيب والاستكبار بل أخذوا يهددونه بالطرد من قريتهم وهمّوا بإخراج نبي الله من بين ظهرانيهم وهذا منتهى السفه والعناد والتكبر، قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (الآية ٨٢ سورة الأعراف) .

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ (الآية ١٦٧) سورة الشعراء) .

وأمام إصرار قوم لوط على كفرهم وطغيانهم وانغماسهم في المنكرات والفواحش وعدم الإيمان بنبى الله لوط عليه السلام، سأل لوط عليه الصلاة والسلام ربَّه النصرة عليهم لما أصروا على كفرهم وتمادوا في غيِّهم، قال تعالى حكاية عن نبيه لوط عليه السلام: ﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (الآية ١٦٩ سورة الشعراء).

وقال: " قال ربِّ انصرني على القوم المفسدين " .

أراد الله تبارك وتعالى نصر نبيِّه لوط وإهلاك أولئك الكفار الخبثاء فأرسل الله عز وجل إلى قوم لوط ملائكة كراماً لإهلاكهم وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل ليقلبوا قراهم عاليها سافلها وينزلوا العذاب بهم وكانت لهم مدائن أربع، وكان عددهم يزيد على أربعما ئة ألف.

فمر هؤلاء الملائكة الكرام في طريقهم إلى قرى قوم لوط على إبراهيم الخليل عليه السلام بأمر الله تعالى وكانوا قد تشكلوا بصورة رجال حسان الوجوه فبشروه بغلام حليم وهو إسحاق عليه السلام ومن وراء إسحاق ابنه يعقوب، وأخبروه أنهم

ذاهبون للانتقام من قوم لوط أهل سدوم وتوابعها وأن الله أمرهم بإهلاك أهل هذه المدائن الذين كانوا يعملون الخبائث وتدميرها .

وعندما سمع ابراهيم عليه السلام ما قال له الملائكة وما أرسلوا به من العذاب تخوَّف على ابن أخيه لوط عليه السلام أن يصيبه القلق فقال لهم: إنَّ فيها لوطاً، فأخبروه بأنهم أعلم بمن فيها وأنَّ الله عز وجل سينجي لوطاً وأهله الا امرأته الكافرة التي لم تؤمن به وصارت تعين أولئك الكافرين على هذا العمل الخبيث .

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ (٣١ سورة العنكبوت).

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ (٣٢سورة العنكبوت) .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ (٥٨ سورة العنكبوت) .

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٥٩ سورة العنكبوت) .

﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ (٦٠ سورة الحجر).

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (٧٤سورة هود) .

قيل: ان سيدنا ابراهيم خليل الرحمن كان يرجو من قوم لوط أن يجيبوا نبي الله لوطاً ويُسلموا ويقلعوا عن غيِّهم وضلالهم، لذلك لما علم أن رسل الله الملائكة جاءوا لينزلوا العذاب بقوم لوط ويدمروا عليهم قراهم صار يجادلهم في ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (٧٥ سورة هود) .

﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ (٧٦سورة هود) .

قيل: ان رسل الله الملائكة الكرام عندما سمعوا جدال إبراهيم في قوم لوط قالوا له: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ ﴾ (٧٦ سورة هود) يعني الجدال

﴿إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ ﴾ (٧٦ سورة هود) أي بعذابهم أي قد جاء عذاب ربك فليس بمردود لأن الله قد قضى به.

خرجت الملائكة من عند نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام وتوجهوا نحو قرية سدوم وهى أكبر قرى قوم لوط ، وكانوا قد جاءوا بصور شبان جميلي الصورة اختباراً من الله تعالى لقوم لوط وإقامة للحجة عليهم، ولما وصلوا القرية عند الظهيرة جاءوا إلى نبي الله لوط فدخلوا عليه في صورة شبان مُرد جميلين تشرق وجوههم بنضارة الشباب والجمال ولم يخبروه في البداية بحقيقتهم، فظن نبي الله لوط أنهم ضيوف جاءوا يستضيفونه فرحَّب بهم وخشي إن لم يضفهم أن يضيفهم غيره، ولكنه عليه الصلاة والسلام اغتمَّ من دخولهم عليه وقت الظهيرة لأنه خاف عليهم من أولئك الأشرار المجرمين، ولا سيما أنهم كانوا من حيث الصورة في منتهى الحسن والجمال، وخشي أن يكون قد رآهم واحد من قومه حين دخلوا عليه فيذهب ويخبر قومه.

لذلك أشفق نبي الله لوط عليهم وخاف من قومه أن يعتدوا عليهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴾ (الآية ٧٧ سورة هود).

أي شديد بلاؤه حيث كان يدرك خبث نفوس قومه وفساد طويتهم، وكان قومه عليه السلام قد اشترطوا عليه أن لا يضيِّف أحداً، ولكنه رأى أن استضافة من جاءه أمرٌ لا محيد عنه خوفاً عليهم من شر قومه وفسادهم وشذوذهم.

وسرعان ما حصل ما كان يخشاه إذ خرجت امرأته وكانت امرأة كافرة خبيثة تتبع هوى قومها، فأخبرت قومها وقالت لهم: إنّ في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل

وجوههم قط، وما أن سمع قوم لوط الخبر حتى أقبلوا مسرعين يهرعون إلى بيت نبي الله لوط عليه السلام يريدون الاعتداء على ضيوف لوط عليه السلام، وأخذ نبي الله لوط يجادل قومه المفسدين بالحسنى ويناقشهم باللطف واللين لعل فيهم من يرتدع عن غيه وضلاله، ودعاهم عليه السلام إلى سلوك الطريقة الشرعية المباحة وهي أن يتزوجوا بنات القرية وأن يكتفوا بنسائهم ولا يعتدوا.

ولكن قومه الخبثاء رفضوا نصيحته، وصارحوه بغرضهم السيء من غير استحياء ولا خجل وقالوا له: ما لنا في بناتك من حق -يريدون أنهم ليسوا في حاجة إلى بنات القرية- وأخبروه أنهم لا يرغبون إلا في أولئك الشبان الحسان الذين هم في بيته ضيوفاً. عند ذلك ازداد همه وغمه عليه الصلاة والسلام وتمنى أن لو كان له بهم قوة أو كان له منعة أو عشيرة في قومه فينصروه عليهم.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (الآية ٧٧ سورة هود) .

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ (الآية ٧٨ سورة هود) .

﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (الآية ٧٩ سورة هود).

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (٨٠سورة هود) .

وروى الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رحم الله لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد وما بعث الله بعده نبيًا الا في ذروة من قومه" وروى البخاري ومسلم في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يغفر الله للوط إنه كان يأوي إلى ركن شديد" يقصد ركن الله تعالى.

ويقال إن لوطاً عليه السلام كان قد أغلق بابه والملائكة معه في الدار، وأخذ يناظر ويجادل قومه من وراء الباب وهم يعالجون الباب ليفتحوه، فلما رأت الملائكة ما يلقى نبي الله لوط عليه السلام من كرب شديد أخبروه بحقيقتهم وأنهم ليسوا بشراً وإنما هم ملائكة ورسل الله قدموا وجاءوا لإهلاك هذه القرية بأمر من الله لأن أهلها كانوا ظالمين بكفرهم وفسادهم، وأمروه أن يخرج من أرض قومه مع أهله ليلا قبل طلوع الصبح لأن موعد إهلاكهم سيكون في وقت الصبح .

يقول الله تبارك وتعالى إخباراً عما قال الملائكة لنبيه لوط عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ (الآية ٨١ سورة هود).

ويقال إن نبي الله لوطاً عليه الصلاة والسلام لما جعل يمانع قومه أن يدخلوا والباب مغلق، وهم يرومون ويريدون فتحه، استأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له، فخرج عليه السلام إليهم وضرب وجوههم بطرف جناحه فطمست أعينهم حتى قيل: إنها غارت بالكلية ولم يبقَ لها محل ولا عين ولا أثر. فانصرفوا يتحسسون الحيطان ويتوعدون ويهددون نبي الله لوطاً عليه السلام، عند ذلك قال نبي الله للملائكة: متى موعد هلاكهم؟ قالوا: الصبح، فقال لهم: لو أهلكتموهم الآن، فقالوا له: " أليس الصبح بقريب" .

يقول الله عزوجل: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (٣٧ سورة القمر) .

﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ (٣٨ سورة القمر).

يقول الله تعالى حكاية عن ملائكته وما أخبروا به نبيه لوطاً عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (الآية٨١ سورة هود).

أمر رسل الله الملائكة نبي الله لوطاً أن يخرج من أرض قومه مع أهله ليلاً قبل طلوع الشمس، وأمروه بترك الالتفات لئلا يرى عظيم ما سينزل بقومه الكافرين من عذاب، وأن امرأته ستلتفت ويصيبها ما أصاب قومها، فقد ذكر أنها لما خرجت مع زوجها لوط عليه السلام وسمعت هدة وصيحة العذاب الذي نزل بقومها التفتت وقالت: واقوماه فأصابها حجرٌ فأهلكها مع الهالكين.

وجاء قوم لوط من أمر الله ما لا يُردّ، ومن العذاب الشديد ما لا يُصد، يقول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ (الآية ٨٢ سورة هود) .

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (الآية٨٣ سورة هود) .

لقد أدخل جبريل عليه السلام الذي وصفه الله تبارك وتعالى في القرءان بقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (الآية ١٩ ، ٢٠سورة التكوير) . ريشة واحدة من أجنحته في قراهم ومدنهم وكانت أربعا أو خمسا واقتلعهن من أصلهن وقرارهن بمن فيهن من قوم لوط الكافرين وكانوا كما قيل: أربعمائة ألف شخص، وما معهم من البهائم فرفع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمع الملائكة الذين في السماء الأولى أصوات ديكتهم ونباح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها أي لم يردها كما كانت وإنما ردها مقلوبة بمشيئة الله وقدرته، من دون تعب ولا مشقة، وأرسل عليهم صيحة من السماء وأمطر عليهم حجارة من سجيل مطبوخة بالنار.

يقول الله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ (الآية٧٣ سورة الحجر) ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾(الآية ٧٤سورة الحجر).

ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (الآية ٨٢ سورة هود) .

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (الآية٨٣ سورة هود) أي يتبع بعضها بعضاً في نزولها عليهم من السماء قيل: أي مُعلَّمةً مكتوباً على كل حجر اسم صاحبه الذي يهبط عليه فيدمغه ويقتله.

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ (الآيات ٥٣ و ٥٤ و٥٥ سورة النجم) .

والمؤتفكة هي قرى قوم لوط عليه السلام، قيل: أي قلبها فأهوى بها منكسة عاليها سافلها وغشاها بمطر من حجارة من سجيل متتابعة، وكانت مسومة مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي سقط عليه، وما إن أشرقت الشمس حتى كانت القرى بمن فيها خراباً ودماراً يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (الآية ١٠٢سورة هود) .

أهلك الله تبارك وتعالى زوجة نبيه لوط عليه الصلاة والسلام مع الهالكين لأنها كذَّبت نبيه لوطاً عليه السلام ولم تؤمن به ولم تدخل في دين الاسلام، بل بقيت كافرة مع قومها راضية بأفعالهم الخسيسة وصفاتهم المذمومة، فحلَّ بها من السخط والعذاب ما حلَّ بقومها جزاء لها على كفرها وتعاطفها مع قومها، ولم ينفعها عند الله أنها كانت زوجة نبي الله لوط عليه السلام وهي باقية على الكفر والضلال يقول الله جل وعلا في محكم تنزيله: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (الآية ٨٣ سورة الأعراف) .

ويقول عز من قائل: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ (الآية ١٠سورة التحريم).

والمراد بالخيانة هنا الخيانة في الدين، لا خيانة شرف الزوج ، فإنهما لم تتبعاهما في دين الإسلام، بل بقيتا على الكفر والضلال ولم ينفعهما أنهما زوجتا نبيين من أنبياء الله عظيمين وهما نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام، وليس المراد بالخيانة هنا الزنا وأنهما كانتا على الفاحشة حاشا لله، ويروى عن ابن عباس وغيره من أئمة السلف والخلف: "ما "بغتْ" -أي زنت- امرأة نبي قط".

وقيل: إن اسم امرأة لوط "والهة" واسم امرأة نوح "والغة" روى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: " فَخَانَتَاهُمَا "(الآية ١٠ سورة التحريم)

قال: "ما زنتا، أما امرأة نوح فكانت تقول للناس إنه مجنون، وأما امرأة لوط فكانت تدل على الضيف، فذلك خيانتهما ".

▪▪▪

٣

سالومى ..

ورقَصَة الشَّيْطانِ !!

ooo

اليهود قتلة الأنبياء ولم تخلو النساء من تلك الجرائم النكراء.. وتضم قصة قتلهم لنبي الله يحيي عليه السلام امرأتين هما الأسوأ ربما في التاريخ .. هاتان المرأتان لعبتا برأس ملك فاسد..وكان رابعهم الشيطان .. والمرأتان هما زوجة أخى الملك الخائنة ، وابنتها الساقطة .. وربما تمثل هذه هي القصة أبشع جريمة عرفتها البشرية على مدى تاريخ الإنسان على الأرض .

وتبدأ القصة عندما اجتاحت فلول الجيش الروماني أرض فلسطين ، ووضع النسر في كل مكان ، معبرا عن غلبة الرومانيين ، وذل الشعب تحت وطأة العدو الخارجي والخونة من أبناء بلاده ، وتفشى الفساد حتى وصل إلى رجال الدين والكهنة ، في هذه الفترة خشي نبي الله " زكريا " على ضياع الدين بعد أن رأى أنه وهن ، واشتعل رأسه شيبا ، ولم ير في مواليه من يصلح أن يحافظ على هذا الدين من بعده .

لذا نادى ربه نداء خفيًا يبثه خوفا على الدين ، ويرجو منه أن يرزقه ولدا من صلبه صالحا يقتدى به في إحياء الدين ، لأنه لم ير في عصبته وإخوته وبني عمه شرار بني إسرائيل من يستطيع فعل ذلك لذا خافهم على الدين أن يغيروه ويبدلوه.

استجاب الله دعاء زكريا ورزقه بغلام اسمه " يحيى " . شب على تعاليم الدين القويم وحافظ عليه، وفي هذه الفترة من الزمن وتحت حكم الرومان تحالف "هيرودس الأكبر " أحد ملوك بني إسرائيل مع الذي راهن على نجاح الرومان ضد الفرس فكافؤوه بتعيينه ملكا على فلسطين من ٣٧-٤ قبل الميلاد، فكان هذا الملك غير محبوب من قِبَلِ شعبه لأنه نشر الثقافة اليونانية بما فيها من مسارح وتماثيل وقصور واحتفالات وأعياد ومراقص ومهرجانات .

وبعد وفاة الملك " هيرودس الأكبر" قسمت المملكة بين أبنائه الثلاثة فأخذ فيليب مشارف الشام وأخذ هيرودس الثاني منطقة الجليل ، أما أركلوس فقد حكم مملكة اليهودية التي تضم أورشليم المقدسة .

وقصة مقتل سيدنا "يحيى "نجدها مذكورة بتفاصيلها في كتاب "سمير الهضيبي" " لوحات من أورشليم " . وقد اعتمد هذا الكتاب للوقوف على أسماء المجرمين وشخصياتهم من خلال هذا الكتاب وكذلك من كتيب صادر بالفرنسية تحت عنوان " على خطى عيسى " أما كتاب قصص الأنبياء لابن كثير فالمعلومات فيه مقتضبة نوعا ما كما أنه يشير إلى عدد من الروايات حول مقتل " يحيى " عليه السلام .. حيث تتفق كل الروايات على وجود امرأة مشاركة أو محرضة على ارتكاب هذه الجريمة .

سافر "هيرودس" إلى روما ليناقش بعض المسائل التي تخص مملكته والجالية اليهودية هناك، فالتقى أثناء عودته بأخيه " فيليبس "، وزوجته هيروديا وابنتهما سالومي ، وأعجب هيرودس بهيروديا ووقعت في قلبه كما مالت هي الأخرى اليه وآثرت الابتعاد بابنتها عن زوجها لتعود مع هيرودس إلى " طبرية " عاصمة مملكته التي اطلق عليها هذا الاسم تملقا للإمبراطور الروماني آنذاك "طيبا روس" وهكذا انتزع هيرودس زوجة أخيه منه ، بعد أن رفض أن يطلقها ، وعاد بها إلى قصره لينغمس معها في لذة آثمة .

وسار هذا الخبر بين الناس فتداولوه غاضبين من انتهاك الشريعة ، وغضبت هيروديا أيضا من هذه الأقوال ، فكانت تصل إلى أقصى درجات الغضب والثورة، وهي تسمع هذا الكلام وتلح على الملك أن يتصرف ، وتحت سطوة تأثيرها بعث الملك هيرودس إلى رئيس الكهنة " قيافا " ليتم زواجهما ، وعندما صادفت هيروديا الكاهن ينتظر إذن الملك أسرعت إليه ثم دخلت على الملك تستحثه في سرعة الإذن للكاهن ، وتلمح أن مماطلته وتركه لهم ينتظرون في الخارج رغبة في التملص من الزواج منها.

عندما وقف الكاهن بين يدي الملك وقفت هيروديا خلف الأبواب تستمع إلى الحديث وسرها نجاح هيرودس في المساومة التي تمت بينه وبين قيافا رئيس الكهنة، وأفتى له بإمكانية زواجه من هيروديا طالما أن زوجها كان مجنونا .

وقد شهد بذلك مجموعة من الأطباء الأمر الذي يخول لها أن تبين من زوجها ، ويجوز لها أن تتزوج غيره، هذا ما نجده في المرجع الفرنسي وكذلك في " لوحات من نهاية أورشليم " . لكن ابن كثير يورد خبرا يختلف في بعض التفاصيل حيث أن هيروديا هذه كانت منذ البداية زوجة لهيرودس ، وطلقها ثلاثا وأراد مرجعتها فقال له سيدنا يحيى عليه السلام إنها لا تحل لك حتى تنكح زوجا غيرك، فحقدت عليه فأمرت بقتله .

وعندما نتابع تفاصيل الرواية الأخرى نجد أن يحيى قد علم برغبة هيرودس في الزواج من هيروديا وقال بعدم جواز ذلك ، لكن أصحابه وافوه وهو في البرية عند نهر الأردن يعمد التائبين منتظرا ظهور المسيح وممهدا الطريق أمامه بأن هيرودس قد تزوج هيروديا وأقام احتفالا صغيرا في القصر ثم انتقل بها إلى قلعة ماكيروس حيث أقيمت الاحتفالات المتواصلة.

بعد أن اطمأن يحيى عليه السلام على ظهور المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ابن خالته تركه ليذهب إلى هيرودس وهو ساخط على كل من الكهنة وحَفَظَةِ الوصايا والناموس والقديسين المتشدقين بطهارة البيوت والملابس وكل الغيورين على الدين.

غادر يحيى الصحراء والشمس المحرقة ليأتي لمواجهة الملك ، ويقول كلمة الحق في حضوره ودون خوف أو وجل وتناهى إلى أذن الملك أن " يحيى المعمدان " يقصده فأعطى الأوامر أن لا يدخل القصر ، وأن لا يصل قوله هيروديا المجنونة التي ستضرم النيران حولهم جميعا لو علمت أن " المعمدان " يقول: أن زواجها من الملك باطل.

لكن " يحيى أو يوحنا المعمدان " الرجل القوي البنية الجهوري الصوت وقف خارج القصر، يعلن موقفه من انتهاك قانون الرب ، وتناهى قوله إلى كل من في القصر وثارت ثورة هيروديا وأقبلت على هيرودس تحثه على إسكاته أو حتى قتله.

غضب الملك من تصرف المعمدان ، فإذا كان هذا الرجل لا يحب الكهنة، وكذلك هيروديا والكثيرين ، إلا أنه بينه وبين نفسه يدرك أنه نبي صادق ليس له مطمع في متع الدنيا ولذا لا يمكن شراء صمته بأي شكل من الأشكال ، لكن هيرودس قرر أنه مهما كان من أمر هذا النبي فلا يجوز له التطاول على الملك ، وأمر جنده فاقتادوه إليه .

أقبل يحيى يقذف كلماته في وجه هيرودس على مسمع من الجند والحاشية وسالومي ابنه هيروديا ، وأحد الأمراء المعجبين والمغرمين بهذه الفتاة اللعوب اسمه سالوي ، ودافع هيرودس عن زواجه بأنه كان بمباركة الكهنة ، وأن زوجته قد طلقت من زوجها ، لكن يحيى النبي أدرك من قبل عدم صحة هذه الرواية، واستمر في قوله إن كل لقاء بينكما هو زنا وخطيئة، وبعد أن يئس هيرودس منه أمر بإلقائه في السجن، واقترب ذلك الأمير الفاسق لسالومي يشتم يحيى فرد عليه ردا زاده حقدا عليه .

وبينما الجند يقودون يحيى إلى قلعة مايكرا أو البرج الأسود ، كان قلب هيرودس يمتلئ خوفا ورعبا وأمر بكؤوس الخمر لعله يستعيد رباطة جأشه وتهدأ نفسه.

واعتصم أتباع يحيى لكن لم يستطيعوا فعل شيء ، وبعد سنة تقريبا من هذا الحادث كان احتقال هيرودس بعيد ميلاده ، وامتلأ قصره بالمدعوين من الرومان واليهود والأجانب، ونالوا من متع الدنيا الكثير في تلك الساعات .

ومن شرفة القصر كانوا يطلون على المعمدان وهو قابع في سجنه يصلي ويقرأ الوصايا وهم يضحكون ويتغامزون وأبصرت سالومي صورة يحيى فطاف خيالها بعيدا وتأملت بِنْيَةَ جسمه فتمنته، وخالطتها الرغبة بالانتقام لأمها التي أغضبها وأذلها هذا الرجل .

فسعت إلى الخدم تأمرهم بأن يهيئوا غرفة بأحسن فرش وأن توقد فيها الأنوار ويوضع فيها الأكل والشراب. في هذا الوقت كان المعمدان يستقبل زائرا عزيزا على نفسه كان ذلك عيسى ابن مريم ابن خالته ونبي الله المرسل إلى بني إسرائيل... وتكلم عيسى مع يحيى كثيرا موصيا له بالصبر والجلد ، مذكرا إياه بما لاقاه الأنبياء من تكذيب وتقتيل على يد الكفرة الفجرة .

وسعد يحيى بهذه الزيارة التي أعقبها زيارة الجند يقودونه إلى الغرفة الخاصة التي أمرت سالومي بإعدادها وارتاب يحيى في الأمر وظن أن الملك يريد أن يصالحه لكن دخول سالومي إليه أكد له أن شيئا من هذا لن يحدث .

وارتمت اللعوب على الأرض كأنها أفعى تبعث فحيحها في وجهه وتمارس إغراءها عليه لكن يحيى كما وصفه القرآن " سيدا وحصورا " ليس له طمع في مثل هذه اللذات وعندما رفضها لاعنا إياها .. سخطت كل السخط وعادت إلى الجموع وهم يحتفلون وأخبرت والدتها بما حدث !

نصحتها والدتها بأن تقوم إلى الرقص أمام الملك فهو يحب الرقص كثيرا وهي أحسن من تجيده وإذا طلب منها أن تتمنى عليه أي شيء فلا تذكر غير رأس يوحنا المعمدان .

وفعلت سالومي ما نصحتها به أمها ورقصت فشدت انتباه الجميع وقام الملك سعيدا عندما توقفت قائلا لها : ارقصي أيضا. واطلبي ما شئت فإني مانحه لك ، ونظرت سالومي إلى أمها فشجعتها على الإعراب عن طلبها رأس يحيى على طبق من ذهب .

ذهل الملك عندما سمع هذا القول وأدرك مدى خطورة ذلك .. لكن الجموع التي حوله والوضع الذي كان عليه جعله يستهين بالعواقب ، فأعطى الإشارة إلى إتمام ذلك ، وسارع الأمير عاشق سالومي ليعود بعد برهة ورأس المعمدان على طبق من ذهب ودمه في طست وعيونه مفتوحة .

وأبصر الجميع ما حدث وذهلوا لفترة لكن النفوس الشريرة استمرت في الشرب والرقص والغناء وكأن شيئا لم يكن .. لكن عقاب الله كان بالمرصاد. وانتقم الله لمقتل يحيى بموت الآلاف من الكفرة الفجرة المارقين عن الدين ، وغضب عيسى لمقتل يحيى فغضب الله لغضبه فأهلك منهم الكثيرين وفرض عليهم الذلة والمسكنة .

▪ ▪ ▪

٤

عُنَيْزَةُ بنت مجلز ..

ومؤامرة لقتل ناقة الله !!

○○○

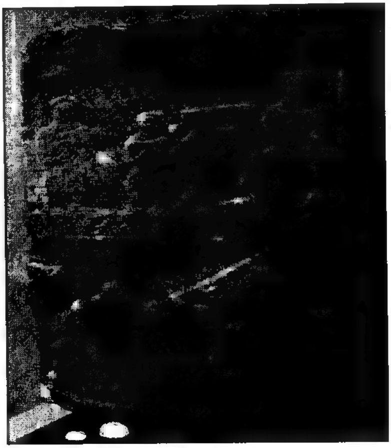

هى عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى أم عثمان .. كانت عجوزا كافرة لها بنات من زوجها ذؤاب بن عمرو أحد الرؤساء فعرضت بناتها الأربع على قدار بن سالف إن هو عقر الناقة فله أي بناتها شاء ،فانتدب هذا وشاب آخر لعقرها، وسعيا في قومهما بذلك فاستجاب لهما سبعة آخرون فصاروا تسعة ، وهم المذكورون في قوله تعالى : " وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولايصلحون " (قَصص الأنبياء :الإمام الحافظ ابن كثير) .

وذكر ابن جرير وغيره من علماء التفسير: أن سبب قتل الناقة أن امرأة منهم يقال لها عنيزة وتكنى أم عثمان، كانت عجوزاً كافرة، وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام، وكانت لها بنات حسان ومال جزيل، وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود، وامرأة أخرى يقال لها صدقة ذات حسب ومال وجمال، وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ففارقته، فكانتا تجعلان جعلاً لمن التزم لهما بقتل الناقة فدعت صدقة رجلاً يقال له: الحباب، فعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة، فأبى عليها، فدعت ابن عم لها يقال له: مصدع بن المحيا فأجابها إلى ذلك، ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلاً أحمر أزرق قصيراً يزعمون أنه كان ولد زانية، وقالت له: أعطيك أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة، فعند ذلك انطلق قدار بن سالف و مصدع بن المحيا فاستغويا غواة من ثمود، فاتبعهما سبعة نفر، فصاروا تسعة رهط، وهم الذين قال فيهم الله تعالى الآية رقم ٤٧ من سورة النمل .

وثمود قبيلة أو مجموعة قبائل من سكان شبه الجزيرة العربية القدماء كانوا يسكنون مدينة تسمى ثمود باليمن، إلا أن مجموعة كبيرة انتشرت شمالاً إلى الحجاز وسيناء وقد عدهم النسابون المسلمون القدامى من العرب القدماء. و عاشوا منذ منتصف الألفية الرابعة قبل الميلاد إلى القرن الثاني قبل الميلاد .

حسب الكتب القديمة فهم كانوا بدوًا وكان الله قد أطال أعمارهم حتى إن كان أحدهم يبني البيت من اللَّبن (الطوب النيئ) فينهدم وهو حي فلمّا رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتًا.

وقد وجدت الكتابات والرسومات الثمودية ليس فقط في مدينة ثمود باليمن وانما في كافة أنحاء شبه الجزيرة العربية.

عبد الثموديون الله تعالى وكذالك عبد بعضهم الآلهة العربية المعروفة: ذا الشرى إله الشمس، وبعلا إله الأمطار فبعث الله فيهم رجلاً منهم، وهو عبد الله ورسوله،

صالح بن عبيد بن ماشخ بن عبيد بن حاجر بن ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يخلعوا الأصنام والأنداد ولا يشركوا به شيئاً، فآمنت به طائفة منهم، وكفر جمهورهم، ونالوا منه بالمقال والفعال، وهموا بقتله، وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم. فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

والمقصود الآن ذكر قصتهم وما كان من أمرهم، وكيف نجى الله نبيه صالحاً عليه السلام ومن آمن به، وكيف قطع دابر القوم الذين ظلموا بكفرهم وعتوهم، ومخالفة رسولهم عليه السلام. وقد قدمنا أنهم كانوا عرباً، وكانوا بعد عاد ولم يعتبروا بما كان من أمرهم، ولهذا قال لهم نبيهم عليه السلام:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٧٣-٧٤)

أي: إنما جعلكم خلفاء من بعدهم لتعتبروا بما كان من أمرهم، وتعملوا بخلاف عملهم. وأباح لكم في هذه الأرض تبنون في سهولها القصور، ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ (سورة الشعراء الآية ١٤٩) .

أي: حاذقين في صنعتها وإتقانها وإحكامها، فقابلوا نعمة الله بالشكر والعمل الصالح، والعبادة له وحده لا شريك له، وإياكم ومخالفته والعدول عن طاعته، فإن عاقبة ذلك وخيمة.

ولهذا وعظهم بقوله: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ (سورة الشعراء: الآيات١٤٦-١٤٨)

أي: متراكم كثير حسن بهي ناضج.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (سورة الشعراء: الآيات ١٤٩-١٥٢)

وقال لهم أيضاً: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (سورة هود:٦١ الآية)

أي: هو الذي خلقكم فأنشأكم من الأرض، وجعلكم عمارها، أي: أعطاكموها بما فيها من الزروع والثمار، فهو الخالق الرزّاق، فهو الذي يستحق العبادة لا ما سواه (فاستغفروه ثم توبوا إليه) أي: أقلعوا عما أنتم فيه وأقبلوا على عبادته فإنه يقبل منكم ويتجاوز عنكم ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (سورة هود: الآية٦١) .

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا﴾ (سورة هود: الآية ٦٢)

أي: قد كنا نرجو أن يكون عقلك كاملاً قبل أن تقول هذه المقالة، وهي دعوتك إيانا إلى إفراد العبادة، وترك ما كنا نعبده من الأنداد، والعدول عن دين الآباء والأجداد، ولهذا قالوا:

﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾

(سورة هود: الآية ٦٢)

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ (سورة هود: الآية ٦٣) .

وهذا تلطف منه لهم في العبارة، ولين الجانب، وحسن تأت في الدعوة لهم إلى الخير، أي: فما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم إليه؟ ماذا عذركم عند الله؟ وماذا يخلصكم بين يديه وأنتم تطلبون مني أن أترك دعوتكم إلى طاعته؟

وأنا لا يمكنني هذا لأنه واجب على ولو تركته لما قدر أحد منكم ولا من غيركم أن يجيرني من الله ولا ينصرني، فأنا لا أزال أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له، حتى يحكم الله بيني وبينكم.

وقالوا له أيضاً:

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ (سورة الشعراء:١٥٣ الآية) أي: من المسحورين، يعنون مسحوراً لا تدري ما تقول في دعوتك إيانا إلى إفراد العبادة لله وحده، وخلع ما سواه من الأنداد، وهذا القول عليه الجمهور، وهو أن المراد بالمسحرين: المسحورين. وقيل: (من المسحرين): أي ممن له سَحَر. وهى الرئة. كأنهم يقولون إنما أنت بشر له سحر، والأول أظهر لقولهم بعد هذا:

﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ (سورة الشعراء: الآية ١٥٤) سألوا منه أن يأتيهم بخارق يدل على صدق ما جاءهم به.

﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة الشعراء:١٥٥ـ١٥٦)

وقال: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (سورة الأعراف:٧٣)

وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ (سورة الإسراء:٥٩)

وقد ذكر المفسرون أن ثموداً اجتمعوا يوماً في ناديهم، فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم إلى الله، وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم، فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من الصخرة .

وأشاروا إلى صخرة هناك ـ ناقة، من صفتها كيت وكيت، وذكروا أوصافا سموها ونعتوها وتعنتوا فيها، وأن تكون عُشَراء (أى فى بطنها ولدها) طويلة، من صفتها كذا وكذا، فقال لهم النبي صالح عليه السلام، أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم، أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوتى فيما أرسلت به؟ قالوا: نعم، فأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك.

ثم قام إلى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قدر له، ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم إلى ما طلبوا، فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة كوماء عشراء، على الوجه الذي طلبوا، وعلى الصفة التي نعتوا.

فلما عاينوها كذلك رأوا أمر عظيماً ومنظراً هائلاً، وقدرة باهرة، ودليلاً قاطعاً، وبرهانا ساطعاً، فآمن بعض منهم.

واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم.

ولهذا قال: (فظلموا بها) أي: جحدوا بها ولم يتبعوا الحق بسببها، أي: أكثرهم.

وكان رئيس الذين آمنوا جندع بن عمرو بن محلاة بن لبيد بن جواس، وكان من رؤسائهم، وهم بقية الأشراف بالإسلام.

فصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم، ورباب بن صمعر بن جلمس.

ودعا جندع ابن عمه شهاب خليفة، وكان من أشرافهم، فهم بالإسلام فنهاه أولئك، فمال إليهم.

ولهذا قال صالح عليه السلام:

﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ (سورة هود:٦٤)

أضافها إليه سبحانه وتعالى إضافة تشريف وتعظيم.

كقوله: بيت الله وعبد الله (لكم آية) أي: دليلاً على صدق ما جئتكم به.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾

(سورة هود:٦٤)

فاتفق الحال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم، ترعَى حيثُ شاءت من أرضهم، وتَرِدَ الماء يوماً بعد يوم، وكانت إذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك، فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم، ويقال: إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم، ولهذا قال تعالى:

﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (سورة الشعراء:١٥٥)

ولهذا قال تعالى:

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ (سورة القمر:٢٧) أي: اختباراً لهم، أيؤمنون بها أم يكفرون؟ والله أعلم بما يفعلون: (فارتقبهم) أي: انتظر ما يكون من أمرهم (واصطبر) على أذاهم فسيأتيك الخبر على جلية ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ (سورة القمر:٢٨)

فلما طال عليهم هذا الحال اجتمع سفهاؤهم، واتفق رأيهم على أن يعقروا هذه الناقة؛ ليستريحوا منها ويتوفر عليهم ماؤهم، وزين لهم الشيطان أعمالهم، وسول لهم، وأملى لهم.

قال تعالى:

﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ (سورة الأعراف:٧٧)

وكان الذي تولى قتلها منهم رئيسهم: قدار بن سالف بن جندع، وكان أحمر أزرق أصهب. وكان يقال إنه ولد زنية ولد على فراش سالف، وهو من رجل يقال له صبان. وكان فعله ذلك باتفاق جميعهم، فلهذا نسب الفعل إليهم كلهم.

وذكر ابن جرير وغيره من المفسرين: أن امرأتين من ثمود اسم أحدهما: "صدوق" ابنة الحيا بن زهير بن المختار، وكانت ذات حسب ومال، وكانت تحت رجل ففارقته، فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة، واسم الأخرى: "عنيزة" بنت غنم بن مجلز، وتكني: أم غنيمة، وكانت عجوزاً كافرة، لها بنات من زوجها ذؤاب بن عمرو أحد الرؤساء، فعرضت بناتها الأربع على قدار بن سالف؛ إن هو عقر الناقة فله أي بناتها شاء، فانتدب هذا الشابان لعقرها وسعوا في قومهم بذلك فاستجاب لهم سبعة آخرون فصاروا تسعة، وهم المذكورون في قوله تعالى:

﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾

(سورة النمل:٤٨)

(أي تسعة نفر هم رهط) وسعوا في بقية القبيلة وحسَّنوا لهم عَقرها، فأجابوهم إلى ذلك وطاوعوهم في ذلك، فانطلقوا يرصدون الناقة، فلما صدرت من وردها كمن لها "مصدع" فرماها بسهم فانتظم عظم ساقها، وجاء النساء يذمرن القبيلة في قتلها، وحسرن عن وجوههن ترغيباً لهم في ذلك فابتدرها قدار بن سالف، فشد عليها بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت ساقطة على الأرض، ورغت رغاة واحدة عظيمة تحذر ولدها، ثم طعن في لبتها فنحرها، وانطلق سقبها - وهو فصيلها - فصعد جبلاً منيعاً، ورغا ثلاثاً.

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عمن سمع الحسن أنه قال: يا رب أين أمي؟ ثم دخل في صخرة فغاب فيها. ويقال: بل اتبعوه فعقروه أيضاً.

قال تعالى:

﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ (سورة القمر:٢٩-٣٠)

وقال تعالى:

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾

(سورة الشمس:١٢-١٣)

أي: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾(سورة الشمس:١٤-١٥)

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا هشام ـ هو أبو عروة ـ عن أبيه عن عبد الله بن زمعة قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال: (إذا انبعث أشقاها) انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة" .

أخرجاه من حديث هشام به. عارم: أي شهم. عزيز: أي رئيس. منيع: أي مطاع في قومه.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني يزيد بن محمد بن خثيم، عن محمد بن كعب، عن محمد بن خثيم بن يزيد، عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: "ألا أحدثك بأشقى الناس"؟ قال: بلى، قال: "رجلان: أحدهما أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا عَليُّ على هذا ـ يعني قرنه(رأسه) حتى تبتل منه هذه ـ يعني لحيته ـ". رواه ابن أبي حاتم

وقال تعالى:

﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾(سورة الأعراف:٧٧)

فجمعوا في كلامهم هذا بين كفر بليغ من وجوه: منها: أنهم خالفوا الله ورسوله في ارتكابهم النهي الأكيد في عقر الناقة؛ التي جعلها الله لهم آية. ومنها: أنهم

استعجلوا وقوع العذاب بهم، فاستحقوه من وجهيه: أحدهما: الشرط عليهم في قوله:

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ (سورة هود:٦٤)

وفي آية: " عظيم " (سورة الشعراء:١٥٦)

وفي الأخرى: " أليم " (سورة الأعراف:٧٣)

والكل حق. والثاني: استعجالهم على ذلك. ومنها: أنهم كذبوا الرسول الذي قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه، وهم يعلمون ذلك علماً جازماً، ولكن حملهم الكفر والضلال والعناد على استبعاد الحق ووقوع العذاب بهم.

قال الله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٍ﴾ (سورة هود:٦٥)

وذكروا أنهم لما عقروا الناقة كان أول من سطا عليها قدار بن سالف -لعنه الله- فعرقبها فسقطت إلى الأرض، ثم ابتدروها بأسيافهم يطعونها، فلما عاين ذلك سقبها - وهو ولدها - شرد عنهم فعلا أعلى الجبل هناك، ورغا ثلاث مرات.

فلهذا قال لهم صالح: (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) أي: غير يومهم ذلك، فلم يصدقوه أيضاً في هذا الوعد الأكيد، بل لما أمسوا هموا بقتله وأرادوا ـ فيما يزعمون. أن يلحقوه بالناقة. (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله) أي: لنكبسنه في داره مع أهله فلنقتلنه، ثم لنجحدن قتله، ولننكرن ذلك، إن طالبنا أولياؤه بدمه، ولهذا قالوا: ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (سورة النمل:٤٩)

قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ (سورة النمل:٥٠-٥٣)

وذلك أن الله تعالى أرسل على أولئك النفر الذين قصدوا قتل صالح حجارة رضختهم فأهلكهم سلفاً وتعجيلاً قبل قومهم، وأصبحت ثمود يوم الخميس - وهو اليوم الأول من أيام النَّظْرة أي انتظار العقاب - ووجوههم مصفرة؛ كما أنذرهم صالح عليه السلام، فلما أمسوا نادوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل، ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة - ووجوههم محمرة، فلما أمسوا نادوا: ألا قد مضى يومان من الأجل، ثم أصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت - ووجوههم مسودة، فلما أمسوا نادوا: ألا قد مضى الأجل. فلما كان صبيحة يوم الأحد تحنطوا وتأهبوا وقعدوا ينتظرون ماذا يحل بهم من العذاب والنكال والنقمة لا يدرون كيف يفعل بهم ولا من أي جهة يأتيهم العذاب.

فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم، ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح، وزهقت النفوس، وسكنت الحركات، وخشعت الأصوات، وحقت الحقائق، فأصبحوا في دارهم جاثمين، جثثاً لا أرواح فيها ولا حراك بها، قالوا: ولم يبق منهم أحد إلا جارية كانت مقعدة واسمها "كلبة" ابنة السلق - ويقال لها الذريعة - وكانت شديدة الكفر والعداوة لصالح عليه السلام، فلما رأت العذاب أطلقت رجلاها، فقامت تسعى كأسرع شيء، فأتت حيا من العرب فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها واستسقتهم ماء، فلما شربت ماتت.

قال الله تعالى: ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ (سورة هود:٦٨) أي: لم يقيموا فيها من سعة ورزق وغناء.

﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾(سورة هود:٦٨) أي: نادى عليهم لسان القدر بهذا.

قال الإمام احمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، حدثنا عبد الله بن عثمان ابن خثيم، عن أبي الزبير، عن جابر قال: لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحِجْر قال: "لا تسألوا الآيات وقد سألها قوم صالح، فكانت - يعني الناقة - ترد

من هذا الفج وتصدر من هذا الفج، فعتوا على أمر ربهم فعقروها، فكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فعقروها فأخذتهم صَيحة أهمد الله عز وجل بها من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله عز وجل" فقالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: "هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه". وهذا الحديث على شرط مسلم، وليس هو في شيء من الكتب الستة، والله أعلم.

وقد قال عبد الرزاق الصنعائي صاحب المصنف في الحديث أيضاً: قال معمر: أخبرني إسماعيل بن أمية أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر أبي رغال، فقال: "أتدرون من هذا؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "هذا قبر أبي رغال؛ رجل من ثمود، كان في حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن هاهنا، ودفن معه غصن من ذهب، فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم، فجثوا عليه فاستخرجوا الغصن"

قال عبد الرزاق: قال معمر: قال الزهري: أبو رغال أبو ثقيف. هذا مرسل من هذا الوجه.

وقال جاء من وجه آخر متصلاً كما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة عن إسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير، قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه إلى الطائفه فمررنا بقبر؛ فقال: "إن هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف؛ وكان من ثمود؛ وكان بهذا الحرم يدفع عنه؛ فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه، وآية ذلك أنه دفن معه غصن منه ذهب، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه" فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن. وهكذا رواه أبو داود من طريق محمد بن إسحاق به.

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي رحمه الله: هذا حديث حسن عزيز.

قلت: تفرد به بجير بن أبي بجير هذا، ولا يعرف إلا بهذا الحديث، ولم يرو عنه سوى إسماعيل بن أمية، قال شيخنا: فيحتمل أنه وهم في رفعه، وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمر.

قلت: لكن في المرسل الذي قبله، وفي حديث جابر، شاهد له، والله أعلم.

وقوله تعالى: " فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين "

إخبار عن صالح عليه السلام، أنه خاطب قومه بعد هلاكهم، وقد أخذ في الذهاب عن محلتهم إلى غيرها قائلاً لهم: (يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم) أي: جهدت في هدايتكم بكل ما أمكنني، وحرصت على ذلك بقولي وفعلي ونيتي. (ولكن لا تحبون الناصحين) أي: لم تكن سجاياكم تقبل الحق ولا تريده، فلهذا صرتم إلى ما أنتم فيه من العذاب الأليم، المستمر بكم المتصل إلى الأبد، وليس لي فيكم حيلة ولا لي بالدفع عنكم يدان، والذي وجب على من أداء الرسالة والنصح لكم قد فعلته وبذلته لكم، ولكن الله يفعل ما يريد.

وهكذا خطب النبي صلى الله عليه وسلم أهل قليب بدر بعد ثلاث ليال؛ وقف عليهم، وقد ركب راحلته، وأمر بالرحيل من آخر الليل، فقال: "يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا" وقال لهم فيما قال: "بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس، فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم".

فقال له عمر: يا رسول الله تخاطب أقواماً قد جيفوا؟ فقال: "والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يجيبون".

ويقال: إن صالحاً ـ عليه السلام ـ انتقل إلى حرم الله، فأقام به حتى مات.

قال الإمام احمد: حدثنا وكيع، وحدثنا زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما مر النبي صلى اللهِ عليه وسلم بوادي عسفان حين حج قال: "يا أبا بكر أي واد هذا؟" قال: وادي عسفان، قال: "لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرتين (ناقتين)خطمها الليف، أزرهم العباء، وأرديتهم النمار (أنواع من الملابس) يلبون يحجون البيت العتيق".

■■■

٥

دليلة ..

رمز الغدر والخيانة !!

ооо

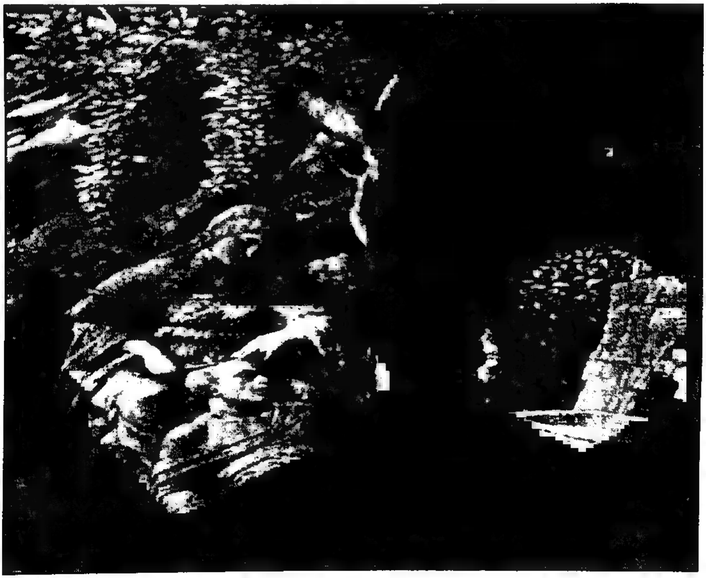

قصة "شمشون ودليلة" هي احدي أبلغ الحكايات عن خيانة المرأة. لكن الطريف والمثير للسخرية في نفس الوقت. أن النساء يقمن طوال الوقت بترسيخ فكرة أن الرجل هو الخائن دائما وقد تكون فى بعضهم وقد تكون فى بعضهن.

وقد اختلطت الحقيقة بالأسطورة فكانت حكاية شمشون وامرأته دليله ؛ لقد جاء ذكر دليله في العهد القديم (التوراة) وجاء ذكرها في بعض الأساطير الرومانية وكتب عن الموضوع الكثير من الكتاب واستلهم الواقعة الشعراء والفنانون فكانت القصائد واللوحات ونشط المنتجون السينمائيون فجعلوا من الأسطورة فيلما ثم أفلاما وكان محور ذلك كله المرأة التي أغوت الرجل الجبار واستدرجته للبوح بسره الذي أعيا الأعداء .

عرف شمشون بقوته التي لا تضاهى كان أعداؤه يتميظون غيظا من تلك الطاقة الكامنة في أعماقه وكانوا يتمنون معرفة سرها ومكمن ينبوعها ويروى عن شدة بأسه أنه كان يصارع الأسد وحيدا فيمسكه من فكيه ويشقه نصفين كما تشق خرقة بالية من القماش وبينما هو سائر ذات يوم إذا شبل أسد يزمجر للقائه فما كان منه إلا أن اقترب منه وأمسكه من شدقيه وشقه كشق الجدي ؛ ليس في يده آلة أو سكينا ولما عاد إلى المكان بعد أيام مر برمة ذلك الشبل فإذا دبر من النحل في جوف الأسد مع كورة من عسل فأخذ منه شمشون ما استطاع ونزل المدينة وكان أبوه قد أولم وليمة دعا إليها ثلاثين من الأصحاب ووجهاء البلد ؛ فقال لهم شمشون: لأحاجينكم أحجية فإذا حللتموها في سبعة أيام أعطيكم ثلاثين قميصا وثلاثين حلة ثياب .. وإن لم تقدروا على حلها تعطوني أنتم ثلاثين قميصا وثلاثين حلة ثياب.

قالوا له : حاج أحجيتك فنسمعها .

قال لهم : من الآكل خرج أكل ومن الجافي (الجائف) خرجت حلاوة .

فلم يستطيعوا حل الأحجية في ثلاثة أيام ؛ فقالوا لامرأة شمشون : تملقي رجلك لكي يظهر الأحجية وألا أحرقناك وبيت أبيك بالنار .

فما كان من زوجة شمشون الا أن بكت لديه وقالت : إنما كرهتني ولم تعد تحبني؛ وألا فما الذي يمنعك من أن تطلعني على سر الأحجية ؟

فلم يقدر شمشون على صدودها وتوسلاتها فأخبرها بسر الأحجية فأخبرت المدعوين فجاؤا شمشون وهم يهزءون منه : أي شمشون ! أي شيء أحلى من العسل؟ وما الذي اجيف من جوف الأسد ؟!

فاستشاط شمشون غضبا وقال : لو لم تحتالوا على امرأتي ما عرفتم أحجيتي .

وبلغ من قوته أنه يصارع مئة رجل فيصرعهم جميعا فجاء خصومه إلى امرأته (دليله) وقالوا لها : تملقيه وانظري بم تكمن قوته العظيمة ؛ وبم نتمكن منه لكي نوثقه لإذلاله ولئن فعلت نعطيك كل واحد ألفا ومائة شاقل فضة .

فقالت دليله لشمشون : أخبرني سر قوتك العظيمة .

قال شمشون : إذا أوثقوني بسبعة أوتار طرية لم تجف أضعف أصير كواحد من الناس .

وعندما حل الليل أوثقته بسبعة أوتار طرية والكمين من الخصوم لابث عندها في الدار ؛ وعندما شعر شمشون أن خصومه يترصدونه حرك جسمه فتقطعت الأوتار كما تتقطع فتاكل القطن عندما تتسرب إليها النار .

قالت دليله : ها قد خنتني وكلمتني بالكذب ؛ فأخبرني الآن بم توثق ؟

قال : إذا أوثقوني بحبال غليظة جديدة لم تستعمل بعد أضعف أصير كواحد من الناس ؛ فجاء لها الخصوم بحبال جديدة فأوثقته بها فلما أحس شمشون بالكمين لابد في الغرفة قطعها عن ذراعيه كما يقطع الخيط الرفيع .

فقالت دليله لشمشون : لقد خنتني وبالكذب فأخبرني بم توثق فتذهب طاقتك؟ قال: إذا ضفرت سبع خصال من شعري مع السدى (الخيوط الطويلة فى النسيج) ومكنتها بالوتد ذهبت قوتي وصرت كسائر الناس . ففعلت دليله فلما انتبه شمشون من نومه ورأى خصومه يحيطون به انتفض وقلع وتد النسيج والسدى .

فقالت له دليله : كيف تقول احبك وقلبك ليس معي هو ذا ثلاث مرات خنتني وكذبت على . ولم تخبرني عن سر قوتك . وكانت تضايقه بكلامها وتلح عليه فضاقت نفسه وقال لها :

لم يَعْلُ موسى رأسي فان حلقت تفارقني قوتي وأضعف وأصير كواحد من الناس.

فأخبرت دليله خصومه من بنى قومها ولما حل الليل أنامته على حجرها ودعت رجلا وحلق سبع خصال من رأسه ولما انتبه وجد انه قد ضعف وفارقته قوته ولم يقدر حتى على القيام ؛ فساقه خصومه وقلعوا عينيه وأوثقوه بسلاسل من نحاس وحديد وتركوه على دوارة الرحى يطحن القمح في بيت السجن وظل هناك إلى حين.

في تلك الفترة بدأ شعر رأسه ينبت من جديد أما خصومه فاجتمعوا وذبحوا ذبائح ابتهاجا بالانتصار على شمشون الجبار والولائم ولما أكلوا وشربوا وطابت قلبوهم دعوا شمشون من بيت السجن ليلعب أمامهم بعض ألاعيبه وأوثقوه قرب الهيكل بين الأعمدة وجعلوا يهزءون منه ويسخرون من قوته .

فغضب شمشون وشعر أن قوته التي فارقته تعود إليه فدنا من حارسه وهمس بأذنه: دعني ألمس الأعمدة التي يقوم عليها الهيكل وكان الهيكل يمور (يزدحم) بالرجال والنساء والأطفال ويتجاوز عدد الحاضرين ثلاثة آلاف رجل وامرأة ينظرون إلى شمشون الأعمى وهو يظهر ألاعيبه وفنونه فدعا شمشون الرب وقال : يارب انظرني واشدد آزري يالله ؛ ولو هذه المرة فقط ؛ قبض شمشون على العمودين الرئيسين اللذين كان الهيكل يقوم عليهما ودفع الأول بيمينه والآخر بيساره وقال قولته التي ذهبت مثلا : عَلَيَّ وعَلَى أعدائي .. يارب

فانهار العمودان وسقف السقوف والجدران ومات كل من كان حاضرا بما فيهم شمشون الجبار نفسه .

وكان السؤال القديم قدم حكايات التاريخ والأساطير: لماذا فعلت دليلة ما فعلته في شمشون. وكيف طاوعها قلبها على تلك الخيانة الفظيعة لإنسان يفترض أنه أحبها وحدها من دون كل النساء؟!

وسيظل نفس السؤال موجودا كلما نظرنا إلى لوحة الفنان العالمي رمبرانت سحل عين شمشون أمام دليلة. إن دليلة لم تكتف فقط بأنها عرفت نقطة ضعف شمشون وهي أن سر قوته في شعره. ليتها احتفظت بالسر لنفسها. لكنها تطوعت بإفشاء السر لأعدائه. فكانت الجريمة البشعة.

انظر إلى اللوحة الشهيرة وتعجب كما يحلو لك. فقد نجحت دليلة في قص شعر شمشون ففقد قوته. وكانت تلك هي اللحظة المناسبة لأعدائه لأن يجتمعوا عليه وهو ضعيف. البعض يضربه والبعض يطعنه. والبعض الآخر يفقأ عينيه.

ثم دقق النظر في اللوحة لترى دليلة التي كانت شاهدة على الجريمة وهي تستدير هاربة حاملة في يدها شعر شمشون المسكين الذي هزمته امرأة؟

أي نوع من النساء كانت دليلة هذه؟ وما هو الدافع الذى جعلها تخون شمشون بكل بساطة وقسوة وتقدمه لقمة سائغة بلا حول ولا قوة لأعدائه. بعد أن قصت شعره وسلبته قوته؟

وربما جعلت الأسطورة دليلة شخصية معروفة في التاريخ، لكن المؤكد أن هناك ملايين من النساء كل واحدة منهن كانت دليلة على طريقتها الخاصة. لكن كتب التاريخ لم تهتم بتسجيل أسمائهن وقصص خيانتهن المؤسفة. ولا حتي ذكرت أسماء الرجال من الضحايا مثل شمشون!

لكن المؤكّد أن دليلة لم تكسب شيئا من جريمة خيانة شمشون. فقد أصبح هو أكثر شهرة منها. وفي نفس كتب التاريخ والأساطير ستظل دليلة مجرد خائنة. أما الأكثر شهرة فسيكون دائما شمشون رغم أنها خدعته وضحكت عليه!

▪▪▪

٦

كاترين الثانيةُ ..

الإمبراطورةُ الفاسدةُ !!

ooo

تعتبر كاترين الثانية إمبراطورة روسيا - ما بين عامَيّ (١٧٦٢ - ١٧٩٦م) هى السبب الرئيسي في ظهور مصطلح سياسي جديد في عصرها سرعان ما أصبح من أكثر المصطلحات شيوعا فيما بعد . . هذا المصطلح هو " المستبد العادل " .

و ربما يكون هذا المصطلح الذي تم إطلاقه لأول مرة على الإمبراطزرة كاترين في غير محله على الإطلاق لسببين أولهما أن العدل و الاستبداد لا يجتمعان معا ، وثانيهما أن كاترين كانت فاجرة و أحد أكثر نساء التاريخ سوءا ، و لكنها استطاعت شراء ذمم و ضمائر نجوم عصرها في شتى الميادين لكى يحللوا لها الحرام ، الذي تقترفه ، و يلمعون لها صورتها لإخفاء القبح الذي يسود سلوكياتها !!

من الناحية الأخلاقية انحدرت إلى أحَطّ المستويات ، فقد عاشت حياة إباحية مستهترة وجعلت بِلاطها مَيْداناً للعُشّاق الكُثْر الذين كانت تسمح لهم بالتحكّم بشؤون إمبراطوريتها علناً .

والدليل أنه قبل اعتلاء زوجها بطرس الثاني العرش نشأت علاقة غرامية بينها وبين أحد أصدقاء زوجها وهو الكونت "سوليتكوف"، وعندما أصبح زوجها إمبراطوراً على روسيا كانت العلاقة الزوجية بينها وبينه سيئة إلى حدّ أنّها لم تثمر عن أولاد، لذلك أعطت الإمبراطورة إليزابيت - عمّة زوجها - تعليمات خاصة إلى كاترين تنصّ فيها على ضرورة أنْ تلد كاترين وريثاً للعرش، ولإنجاز هذه المهمة صدر قرار بأنْ تقيم الزوجة المخلصة علاقات جنسية مع الفرسان وموظّفي بلاطها على وجه العموم .

وكانت النتيجة أنّ خادم حُجْرتها (تشرنيتشوف) وصديق زوجها (سوليتكوف) تناوَبا في علاقة خاصة مع كاترين كانت ثمرتها ابناً أسمته (بولوس) حملته من الثاني.

ثم عَمدت كاترين بعد ذلك إلى تدبير مؤامرة ضد زوجها بمساعدة بعض أصدقائها من الأمراء والدُّوقات وأحد ضُباط الحرس الشباب - وهو (جريجوري أورلوف) الذي اتّخذته عشيقاً أيضا لها فيما بعد - أسفرت عن تتويجها إمبراطورة على روسيا القيصرية؛ أما بطرس (زوجها) فكان نصيبه السجن الذي مكث فيه حتى وفاته.

والجدير بالذكر أنّ عشّاق كاترين حصلوا على ثروات طائلة من الأموال التي كانت تُغدقها عليهم، حتى قيل إنها خصّصت راتباً شهرياً لكلّ خَدين(عشيق)، بالإضافة إلى معاش قَدْره ٢٠ ألف روبيل لكلّ عشيق يُحال للتقاعد .

كما أنّ البعض من عشّاقها وصل إلى مراكز مرموقة في المجتمع مثل (ستانيسلوس بونيا توفسكي) أحد الوجهاء البولنديين الذي أصبح سفيراً في بلاط (بُتْرسبورغ) ثُمّ ملكاً لبولندا، وكانت ثمرة علاقتها به بنتاً. أمّا خادم حُجرتها (تشيرينتشوف) فلقد كوفئ على مهمته النبيلة بأنْ عُين سفيراً في السويد.

ولقد وصل فُجور كاترين إلى حدّ أنها أنشأت ما أَسمته "نادي الفلاسفة الطبيعيين" وهو نادٍ يضمّ النساء والرجال من أرقى الطبقات يجتمعون فيه ليتفلسفوا... بممارسة الرذيلة معاً. ولقد قام البوليس الروسي بتدميره بعد عصر كاترين !!

وعندما تقدّم بها السّن وأصبحت في سن الـ٦٠ عاماً اتجهت إلى إرضاء شهواتها وإشباع غرائزها بطرق شاذّة ومنها: المُسَاحقة واتّخاذ الرجال الذين يعملون عمل قوم لوط أخداناً(عشاقا) لها!!

أمّا نهاية كاترين فكانت مخيفة – كحال معظم المنحلّين والشاذّين – فلقد زاد تضخُّم جسمها وأطرافها فجأة وبشكل غريب، وفقدتْ الإحساس والشعور لمدة ٣٧ ساعة توفيت على أثرها عن عمر يناهز ٦٧ عاماً، وتولّى ابنها غير الشرعي "بولس" الحكم من بعدها !! .. إن الله تعالى قد يمهل الظالم ، و لكن لا يهمل و يأخذه أخذ عزيز مقتدر .

وتقول كتب التاريخ بأن الامبراطورة كاترين زوجة القيصر بطرس الأكبر سجنت حلاقها الخصوصي ثلاثة اعوام حتى لا يعرف احد منه أن الشيب قد تسلل إلى شعرها .

■ ■ ■

٧

الكونتيسة إليزابيث

دراكيولا النساء !!

ooo

لو كان للشر أن يتجسد في امرأة لاتخذ ملامح الكونتيسة المجرية إليزابيث باثوري، التي لقبها العالم بـ " كونتيسة الدم " ، و بلغ عدد ضحاياها من الفتيات فقط أكثر من ٦٠٠ ضحية بينهن ٢٥ من بنات العائلة المالكة في بلادها !!

هى واحدة من أكثر النساء شرًّا في تاريخ العالم .. هي مصاصة دماء حقيقية، عاشت في جبال قربيزيا في القرن السادس عشر .. قتلت وفتكت وشربت دماء أكثر من ٦٠٠ فتاة .. الغريب أنها لم تكن تشعر بأية شفقة على ضحاياها ، بل كانت تستلذ بتعذيبهن ، وتخترع من أدوات التعذيب ما يعجز المرء عن تخيله ، والأغرب أنها بعد أن قتلت ومصت دماء المئات من بنات الفلاحين ، استدارت إلى العائلة المالكة ، فراحت تفعل معهن نفس الشيء !!

ولدت الكونتيسة إليزابيث باثوري عام ١٥٦١ لأب يدعى جورج و أم اسمها آنّا في شمال غرب هنجاريا "المجر". في ذلك الوقت كانت عائلة باثرو من أغنى وأرقى العائلات الملكية في هنغاريا . و كان لإليزابيث أختان أكبر منها : أنسشيكا وساندرا ، وكان الطابع الذي يميز أفراد العائلة حتى الأعمام والعمات هو سوء الخلق والعدائية !!

عاشت إليزابيث أكثر أيام طفولتها في ازسيد و كانت تتميز عن البنات في ذلك الوقت بأنها حسناء ماكرة تجيد القراءة و الكتابة .

في سنة ١٥٦٩ وعندما كانت إليزابيث في عامها التاسع ، قام المزارعون بثورة في " ازسيد " ، و وقعت جرائم قتل وتعذيب واغتصاب ، وشاهدت من حيث تختبئ وراء شجرة ، المزارعين وهم يعتدون على أختيها ويقتلونهما ، وبعد أن خمدت الثورة، تم تعذيب المزارعين و قتلهم أمام عيون إليزابيث !!

وفي عام ١٥٧٥ تزوجت الكونتيسة إليزابيث الكونت فرنسيس ناداستي ، و كان قاسي القلب ، يستمتع عند اشتراكه في الحملات ضد الأتراك بتعذيب الأسرى من خلال تقطيع رؤوسهم ، و الرقص مع جثثهم ، و يقال إنه ساهم لاحقا في تعليم إليزابيث بعض فنون التعذيب !!

وفي عام ١٥٨٥ ولدت إليزابيث أول بناتها الثلاث آنّا ، و في تلك الفترة صار الكونت فرنسيس خبيرا عسكريا و لم يكن يزور عائلته كثيرا ، لذا ، أحست إليزابيث

بالضجر والوحدة ، فقررت أن تقضي وقتها مع الخدم ، خاصة البنات الصغيرات منهن ، وبناء على رغبة الكونتيسة إليزابيث كان سن الخادمات عادة لا يتجاوز الأربعة عشر عاماً، وكانت إليزابيث تحرص أن تختارهن بنفسها ، وبعد ذلك صارت إليزابيث تدريجيا تضرب و تعذب هؤلاء الخادمات الصغيرات .

وفي عام ١٥٩٨ رزقت إليزابيث بابنها الوحيد باول والذي جاء بعد ولادة أخواته التلاث آنا أورسولا و كاترينا .

وفي عام ١٥٩٤ ضمت إليزابيث الخادم جانوس ، و الذي كان أعرج و قد كان الخادم هو الرجل الوحيد الذي ساهم في حلقات تعذيب الخادمات وسار بمثابة المساعد لها !

وفي عام ١٦٠٤ مات زوجها الدوق فرنسيس . و بعد مضي أربعة أسابيع من وفاته ، رحلت إليزابيث إلى فيينا ، و صدم رحيلها المبكر العائلة الملكية ، و بدأت إليزابيث تقضي أوقاتها كللها في ممتلكاتها في صربيا و سلوفاكيا .

وبدأت امرأة شريرة تدعى آنا دارفوليا الخدمة مع إليزابيث ، ومع قدومها بدأ التعذيب ، والقتل يزيد وحشية ، وبعد ذلك طردت إليزابيث أم زوجها الراحل ، التي كانت تبغضها ، خارج القصر مع أبنائها الأربعة ، حينها أتت الفرصة المناسبة لتدفع إليزابيث بسادية مطلقة ، إلى تعذيب المئات من الفتيات حتى الموت . وكانت لإليزابيث تقنيات كثيرة من التعذيب من بينها :

- ضرب الفتيات الخادمات بهراول ثقيلة .

- غرس دبابيس في الشفتين العليا والسفلى وفي أجزاء تانيه من لحمهم وتحت أظافرهن .

- إجبار الخادمات على الصوم لعدة أيام من دون طعام أو شراب

- إخراج الفتيات من دون ملابس إلى الخارج حيث الصقيع والبرد في انتظارهن وسكب الماء البارد فوقهن وجعلهن يتجمدن حتى الموت .

- غمس الفتيات في النهر شديد البرودة في فصل الشتاء .

- إرغام الفتيات على الإمساك بنقود ومفاتيح محمرة من شدة التسخين .

- طلاء أجساد الفتيات بالعسل و جعلهن على تلك الهيئة في الخارج لمدة ٢٤ ساعة ليصرن تحت وطأة لدغات الحشرات .

- وضع ورقة بين أصابع أقدام الفتيات وإحراق الورقة .

- أحيانا كانت إليزابيث تضع أصابعها في فم إحدى الفتيات و تسحب زوايا فم الفتاة حتى تتمزق زوايا فمها .

- في حالة أن خادمة لم تحكم ربط ياقتها يطعن وجهها بالحديد الساخن .

- حرق ولدع الفتيات بسيوف مشتعلة أو ملاقط حامية .

- صب الماء المغلي على الفتيات .

- عض و تمزيق لحم الخادمات .

- قطع أصابع الخادمات بالمقص .

- حرق شعورهن بالنار .

- تجبر الخادمات على التعري وأداء واجباتهن المنزلية على مرأى من الرجال.

و لما كانت الأميرة "إليزابيث" من أجمل نساء بريطانيا ولهذا كان جميع الأمراء يتسابقون للفوز بالزواج منها ، قبل أن يتقدم بها العمر ، ولأنها كانت جميلة للغاية ، فقد كانت تخاف أن يذهب جمالها في يوم من الأيام ، وعندما بلغت ٤٣ عاماً بدأت

تشعر بالزمن يزحف على وجهها ، فحاولت عن طريق الأطباء أن تجد علاجاً لها إلا أن ذلك لم يكن باستطاعتهم.

فلجأت إلى إحدى الساحرات فنصحتها أن تشرب دماء فتاة عذراء ، وعلى الفور أمرت حراسها أن يخطفوا لها فتاة عذراء كل يوم ، حيث كانت تقتلها وتشرب دمها.

وفي جوف الليل كانت الكونتيسة وأصدقاؤها يجوبون الأرياف بحثاً عن فتيات لإحضارهن إلى القلعة وتعليقهن بسلاسل واستخدام دمهن من أجل حمام الكونتيسة، والدم الأفضل كان يحفظ من أجل شرابها !

وتشير بعض الروايات إلى إليزابيث كانت تأكل لحوم البنات الشابات ، لتكسب جسمها شبابهن، وإنها كانت تدهن بشرتها بدم البنات الشابات، لأنها كانت تعتقد أن ذلك من شأنه تأخير زحف التجاعيد مع التقدم في السن و يعيد لبشرتها نضارتها و حيويتها و جمالها !

ولكن بعد ٥ سنوات ، لم تشعر إليزابيث بأي تقدم ، و أدركت أن علامات التقدم في السن مستمرة في الظهور فاستشارت ساحرتها مرة أخرى فأبلغتها أن دم الفتيات اللواتي يحملن دم الفلاحين لا يجدي ، ولكن الدم الأزرق للفتيات النبيلات صغيرات السن قد يجدي في وقف زحف الشيخوخة ، وأن عليها أن تشرب دماء فتاة عذراء من العائلة المالكة ، مما دفع إليزابيث إلى دعوة أو خطف بعض الفتيات النبيلات ، وخاصة من العائلة المالكة ، و اغتنام الفرصة المناسبة لقتلهن ، وشرب دمائهن !!

ووصلت أخيراً أخبار اليزابيث إلى مسامع الإمبراطور الهنغاري ماثياس الثاني، الذي أمر بإحضار الكونتيسة ومحاكمتها ، ولكن لكونها من الطبقة الأرستقراطية لم يكن من الممكن القصاص منها . لذلك سن البرلمان قانوناً جديداً حتى لا

يمكنها الإفلات بفعلتها ، بعد أن اعترفت في التحقيقات بأنها قتلت ٦٠٠ فتاة من الفتيات الفقيرات بالإضافة إلى٢٥ فتاة من العائلة المالكة !

وتم إعدام مساعدات اليزابيث و ساحراتها حرقاً ، أما الكونتيسة فقد أفلتت من تنفيذ حكم الإعدام فيها بسبب أصولها النبيلة ، ولكن حكم عليها بالسجن المؤبد، وبحياة كالموت سجينة في غرفه صغيرة في قصرها تقتات بالفتات ، الذي كان يدفع إليها من خلال القضبان ، و في عام ١٦١٤ قتلت الكونتيسة إليزابيث على يد أحد حراسها !!

■■■

٨

الملكة صفية

ومذبحة أبناءِ السلطانِ

ooo

إن كيدهن عظيم .. وهذه قصة إحدى السلطانات في الدولة العثمانية ومدى تسلط وجبروت وقوة وتحكم المرأة .

الذي يزور القاهرة القديمة ويمر بمنطقة الداودية بشارع محمد على ، سيشد بصره مسجد مبني كله بالحجر الأحمر كما هي العادة في المباني التركية بمصر، هذا المسجد يسمى مسجد الملكة صفية وقد أنشأه أحد مماليك السلطانة صفية زوجة السلطان مراد الثالث العثماني ووالدة السلطان محمد الثالث .

ولهذه الملكة أو السلطانة التركية قصة يرويها التاريخ . لم تكن الجارية الأولى التي يعشقها سيدها فيتزوجها لتصبح ملكة يخلدها التاريخ ويروي الرواة حياتها، ولم تكن الملكة الوحيدة التي جعلت من زوجها ألعوبة في يديها، وأيضاً لم تكن تتميز عن سواها من ملكات حكمن باستبدادية ودموية، خلدت فجائع مدمرة بين صفحات التاريخ، لكنها كانت صاحبة أول مجزرة يُقتل فيها عدد كبير من أبناء سلاطين آل عثمان، وذلك خنقاً حتى الموت ومن أجل ألا يرثوا الحكم.

إنها السلطانة (صفية) التي كانت في الأصل جارية من بنات البندقية، والتي بعد أن أسرها القراصنة باعوها إلى رجال السلطان العثماني (مراد الثالث) فضمها إلى صفوف حريمه.

رغم عدم بروز جمالها، إلا أنها اتصفت بمرح وجاذبية جعلا السلطان يتعلق بها بسرعة، وبشكل لافت للنظر وبعد عام من دخولها صفوف حريمه أنجبت له ولداً أطلق عليه (محمد فاتح القسطنطينية)، حتى إنها حظيت بلقب السلطانة دون سواها من الجواري والحريم، فأصبحت الشخصية الثالثة في القصر بعد السلطانة والدته وأخته.

الشائعات التي بدأت تطلق حول علاقتها بالسلطان، بدأت تؤكد أنه لا يكتفي بمشاركتها الفراش فقط، بل يقضي الساعات في محادثتها ومناقشتها في أمور الدولة، تبدي رأيها، بل توجهه في رسم الخطط وتنفيذها.

إلى الآن، بإمكاننا أن نعتبر أن قصة السلطانة صفية لم تبدأ أحداثها، فقد بدأت فعلاً بعد وفاة زوجها، وذلك أنه وبعد دخوله دور الاحتضار، وأثناء الاستعدادات لإعداد جثمانه للدفن، وإجراء مراسم العزاء سارعت إلى ولدها (محمد خان) تطلب منه الجلوس في صدر القاعة على كرسي العرش ليستقبل وفود المعزين بصفته السلطان الجديد بعد والده.

لكن (محمد خان) تلفت حوله يبحث عن إخوته الثمانية عشر ليشاركوه في تقبل العزاء فلم يجد أحداً منهم وعندما سأل والدته عن سر غيابهم طلبت منه أن يقوم بواجبه دون قلق، لأنهم سبقوه إلى الضريح ليكونوا في استقبال جثمان أبيهم.

لم يكن (محمد خان) يعلم أن إخوته الثمانية عشر، غير الأشقاء قد سبقوه فعلاً إلى داخل الضريح قبل شروق الشمس، ولكن كجثث هامدة، الواحدة تلو الآخر، فقد كانت والدته الملكة صفية قد دبرت قتلهم مع عدد من مماليكها الذين انفردوا بأبناء السلطان وقتلوهم، حيث قاموا بخنقهم داخل غرفهم بهدوء ودون إثارة ضجة، ومن ثم وفي جنح الليل حملوهم لينفذوا أمر السلطانة التي أرادت أن تسبق جثاميهم جثمان والدهم السلطان قبل إنزاله إلى الضريح.

كان لابد أن يعلم السلطان ابنها (محمد خان) بما حصل.. مما جعلها وعندما علمت أنه علم بما فعلته، تسارع إليه لتخبره عن سبب ما أقدمت عليه، قائلة: (خلصتك منهم حتى لا ينازعك أحدهم على السلطة، هاأنت وحدك السلطان دون منازع، ألا تعلم أن أباك السلطان (مراد خان) كان قد فعل الأمر نفسه وبالتعاون مع زوجته اليهودية فقتل إخوته الخمسة حتى لا يزاحموه على السلطة بعد وفاة أبيه (سليم الثاني).

إن ما قالته السلطانة وما فعلته لم يثر استغراب ولدها، فهو يعرف أنها تنتسب إلى عائلة (بافو) أحد دوقات البندقية الذين كانوا يخنقون أعداءهم ومنافسيهم على السلطة، وذلك ضمن زنزانات القصر، ليقوموا بعدها بإلقاء جثثهم من فوق (جسر التنهدات) فيغرقون سراً، ولا يعرف أحد أو لا يتجرأ أحد عن السؤال عما أصابهم.

ولأنه كان من الطبيعي في حالة صفية أن يسأل الناس عن سر اختفاء الشباب الثمانية عشر فلقد عرفت الملكة كيف تخرس ألسنة الناس، ذلك عندما بدأت تطلق إشاعة تردد الناس في تصديقها دون أن يستطيعوا إعلان ذلك، وقبل أن يوارى

زوجها السلطان التراب كان الخبر قد شاع بأن ولدها (محمد خان الثالث) أصبح صاحب العرش بعد وفاة والده، وأن إخوته تآمروا على قتله لهذا السبب، فاكتشف أمرهم ما جعلهم يختفون خوفاً من عقابه.

نعود إلى السلطان الجديد (محمد خان) الذي ورغم إدراكه لما كان يعنيه جده (سليمان القانوني) في قوله: (إذا أردت خراب مملكة فسلط على ملوكها النساء)، إلا أنه وقع بالخطأ نفسه الذي وقع فيه جده ووالده، فقد استسلم للنساء بشكل أعمى، ليس ذلك فقط وإنما كان أشبه بالدمية بين أيدي حريمه ومحظياته، وأيضاً أمه صفية التي استغلت كونه لا يرفض لها طلباً فقامت بإشعال الفتن، ودس الدسائس في الخفاء، ذلك لخدمة وطنها البندقية وأيضاً للانتقام من كل من يقف في طريقها أو يجابهها ويعاديها.

هذه هي حكاية السلطانة صفية التي كانت صاحبة أول مجزرة لأبناء السلاطين العثمانيين وهي الظاهرة التي توالت بعد ذلك في عهود جميع سلاطين آل عثمان.

هذه هي السلطانة المرأة الداهية التي جعلت من زوجها وابنها ألعوبة في يديها لكنها لم تستطع فعل ذلك مع حفيدها السلطان (أحمد) الذي تولى العرش بعد موت أبيه فرفض الانقياد لأهواء جدته واضعاً تحت تصرفها قصراً جميلاً على ضفاف البوسفور تقضي فيه بقية حياتها بعيداً عن القصر وأمور الدولة.

إنها المرأة المتسلطة التي أرادت أن تبقى أثراً يذكره التاريخ فأوفدت أحد مماليكها إلى مصر، حيث نقش اسمها على لوحة من الرخام في مسجد مبني من الحجر الأحمر، ادعت أنها من شيده، ليبقى يذكّر بها، ويشد انتباه كل من يزور (منطقة الداودية) بشارع محمد علي، فيقول (ما أروع هذا المسجد.. إنه مسجد السلطانة صفية).

■■■

٩

تزوهسي ..

لدغة المرأة العقرب !!

ooo

هي تزوهسي (١٨٣٥ - ١٩٠٨) كانت تنحدر من إحدى أقدم وأعرق القبائل المنشورية، و رشحتها أرومتها المنشورية لتكون محظية من محظيات الإمبراطور ، و في حديقة البيت التي تربت فيه ، و على إيقاع تقافز الأسماك في البرك الموجودة

في الحديقة درست الأدب وحفظت عيون الشعر وابتسم لها الحظ عندما مات الإمبراطور (تاكوانج) وخلفه في الحكم الإمبراطور (هسيان فينج) ، ومن بين ثمانٍ و عشرين محظية كانت عين الإمبراطور على اثنتين : ساكوتا ... و يهونله (اسمها الحقيقي) .

و بعد خمس سنوات من وجودها في القصر الأمبراطوري ، سُمح لأمها و أهلها وأقاربها بدخول القصر حضور احتفال وضعها لولي العهد .

استخدمت تزوهسي (يهونله) سلاحين : الجمال والدهاء للتقرب من والدة الإمبراطور .. و لما تُوفيت رقيت إلى رتبة المحظية الأولى .

ولاحظت تزوهسي أن زوجها الإمبراطور (خملان) (كسلان) و لا يملك الدافعية و لا الحمية و لا (رفقة) الحماس المطلوب لإدارة شؤون البلاد ، فلما قام الثوار بالاستيلاء على (نانكين) حشرت تزوهسي أنفها في مسألة تكليف تسنج كوو- فان بقيادة الجيوش الإمبراطورية لقطع أصابع الثوار ، و دفن الثورة في مقبرة البطش المسلح .

وتصادف أن أصيب زوجها الإمبراطور بالشلل ، فزادت هيمنتها على مقاليد الأمور ، وأصبحت هي الكل في الكل ، و كسبت المعركة بتحجيم غريمتها المحظية (ساكوتا) .

وشاءت لها الأقدار أن تحكم قبضتها على أمور الحكومة والدولة عام ١٨٦٠ عندما قام الإنجليز والفرنسيون بغارة على شمالي الصين ، وحدث اضطراب و(تضعضع) في نفوس الناس ، فلم يجدوا من سبيل لمقاومة الهلع والذعر سوى الهرب ، و كان الإمبراطور نفسه من بين الفارين . أصدرت تزوهسي منشورا بأن الإمبراطور لا يجب أن يغادر العاصمة و قت الخطر ..

وقالت في نفسها : كيف يصون المغيرون المدينة إذا عرفوا أن الإمبراطور قد هرب ؟ .. فيا للعار .

واضطرت أن تصدر مرسوما بتعيين كونج (شقيق الإمبراطور الهارب) حاكما مطلقا و شددت عليه القول : لا تبق و لا تذر أحدا من المغيرين على قيد الحياة.. إذا وقعوا في الأسر .

لكن الأمير كونج كان هو الآخر متراخيا متخاذلا ، فأخلى سبيل الأسرى ، ولم يكن التراخي والتخاذل سوى الشكل والقناع الظاهري سواء بالنسبة لزوجها الإمبراطور (المشلول) هسيان- فينج أو شقيقه الأمير كونج ...! فالإمبراطور الهارب كان قد اقتنع برأي سوشون .(أحد مستشاريه) بشأن مخالفة رأي تزوهسي في التصدي للمعتدين ، و كان سوشون يرمي من ذلك إلى إحكام السيطرة علىالأمبراطور الشاب المريض ، واستخدم سوشون سلاحا آخر ليزلزل نفسية الإمبراطور ، وذلك بإثارة الشك في نفسه حيث ادعى أن تزوهسي لها علاقة مشبوهة بالشاب غونج رفيق صباها و أنه لهذا السبب تقربه منها ...

قال سوشون للإمبراطور المشلول بحضور شريكيه الأميرين بي وتوان:

إن هذه العلاقة الآثمة بين أم وليّ العهد والشاب الخليع جونج لو ، جريمة كاملة الأركان في حق (وريث العرش الإمبراطوري) ، والواجب أيها الإمبراطور يقضي أن تعتقلها و تنفيها في (القصر البارد) .

وأجاب الإمبراطور المشلول : إنني غير مقتنع بهذه المكيدة ..

وعاد سوشون يقول للإمبراطور المريض :

ما رأيك أن تصدر أيها الإمبراطور مرسوما بتعييننا نحن الثلاثة : بي و توان هو وأنا أوصياء على ابنك بعد موتك .

ولم يرد الأمبراطور الذي كان يعاني اشتداد المرض .. وخطف منجل الموت الأمبراطور فعين الثلاثة (بي و توان و سوشون) أنفسهم أوصياء على الإمبراطور القاصر :

تونج شي ... ثم زيّن لهم شيطانهم أن يلعبوا لعبة أخرى ، فعينوا ساكوتا (غريمة تزوهسي) في نفس رتبة أم ولي العهد و منحوها لقب الإمبراطورة الكبيرة، وألقوا بتزوهسي إلى زوايا النسيان و الإهمال .

وأصدروا هم المراسيم والتعميمات بدون توقيع من الإمبراطور ، فانكشف أمرهم بين الجماهير التي شنت حملة شديدة كشفت ألاعيبهم .

وبينما كان الأوصياء الثلاثة يحضرون جثمان الأمبراطور .. كانت تزوهسي تفكر في حيلة خبيثة للإجهاز عليهم .

فبعد إحضار الجثمان إلى بكين قالت تزوهسي لعصابةالثلاثة : أشكركم ، وعليكم الآن الرحيل بعد أن انتهت مهمتكم و وصايتكم !

واعترض أحد الثلاثة (الأمير يي) وعارض الإمبراطورة قائلا : أنا الوصي الشرعي ، و لن أتخلى عن الوصاية حتى يبلغ ابنك ولي العهد سن الرشد.

و بمنتهى برود الأعصاب أجابته تزوهسي : لا .. لن يحدث هذا .

ثم أمرت الحراس قائلة : ألقوا القبض على هذه العصابة .

وأصدرت مرسومين ، الأول باسم ابنها ، و يخص حرمان الثلاثة و خلعهم من مناصبهم ، والثاني يتعلق بمصادرة عقارات و ممتلكات سوشون جزاءً وفاقا بما اقترف من جرائم الرشوة و النهب والاختلاس .

وطلبت من الأمير كونج أن يوافيها بتقرير مفصل بجرائم العصابة الثلاثية ، فلما قرأته قالت : إنهم يستحقون الموت تعذيبا ، لكن سأخفف العقوبة ، و سأسمح لهم بالانتحار .

خلا الجو لساكوتا ، وتزوهسي ، فكانتا تتداولان كل يوم في جلسة تعقدانها داخل القصر الإمبراطوري في شؤون و شجون البلاد ، بحضور الأمير كونج بصفته مستشارا .

وتعللت تزوهسي بأن الأمير كونج لا يؤدي فرض الولاء والطاعة لها بالشكل اللائق فقالت له : أنت خائن .

وأومأت إلى الحراس فقبضوا عليه ، ثم عدّلت عن رأيها بعد عدة أيام خوفا من أن يفكر في مؤامرة ضدها فتندم على تسرعها في إيذائه بالإبعاد و النفي .

ومرت شهور سبعة وعشرون شهرا هي مدة الحداد الرسمي على الإمبراطور الراحل ، تحول بعدها القصر إلى ساحة كرنفالية للخلاعة والمجون ، وسيطرة الخصيان على كل شيء وانغمست تزوهسي في اللهو والعبث والقيام بتمثيل المسرحيات و تكدست شكاوي الناس ، أمام الإمبراطورة التي تركت شأن ابنها وريث العرش في أيدي الخصيان ، و كان فحوى الشكاوي سؤال واحد :

أيتها الإمبراطورة .. لماذا تركت تربية ولي العهد لتعاليم وتوجيهات الخصيان؟

تَرافق ذلك السؤال مع شراسة و تعسف خصي من الخصيان اسمه - آن تي هي- أرسلته الإمبراطورة تزوهسي لجباية الضرائب ، فرفع حكام المدن شكاياتهم ضده إلى الأمير كونج .

وتدخلت الإمبراطورة الثانية تزو آن (ساكوتا) فأصدرت مرسوما بقطع رأس الخصي المتعسف ، دون أن يقدم للمحاكمة متحدية بذلك غريمتها الأخرى الإمبراطورة الأولى تزوهسي .

و قُطعت رأس(آن تي - هي) و لم تكن تزوهسي قد علمت بالخبر إلابعد تنفيذ الحكم الذي بنى على مرسوم أصدرته ساكوتا و لم يبن على محاكمة .

و قابلت تزوهسي هذا التحدي بتحدٍّ مماثل ، فعينت خصيا شريرا آخر و يدعى لي ليان - ينج ، مكان الخصي المقطوع الرأس .

لكن دورة التحدي توقفت بين الغريمتين بعد إعلان (أي تزوهسي) أن ابنها تونج - شي قد بلغ سن الرشد (السابعة عشرة حسب القانون الصيني آنذاك) .

كان تونج - شي خليعا متهتكا مستهترا مستخفا ، فرمى كل نصائح وإرشادات أمه الإمبراطورة من نوافذ أهوائه و نزواته ، و اكتشفت الأمبراطورة الأم أن ابنها وريث العرش الأمبراطوري يفضل عليها غريمتها و شريكتها في الحكم الإمبراطورة تزو آن (ساكوتا) فانهارت بفعل الصدمة .

ثم تلقت صدمة أكبر وأمرّ حين اختارت له الفتاة (أ - لوتي) لتكون زوجة له ، فكانت الزوجة نارا و سعيرا حولت حياة تزوهسي إلى جحيم .

كان ذلك عام ١٨٧٢ ، ثم تدخل القضاء فأصيب تونج - شي بمرض الجدري الذي قضى عليه في يناير ١٨٧٥ .

رحل تونج -شي ، و لم يكن قد أنجب وريثا للعرش ، و هكذا سنحت الفرصة لكي تنتقم تزوهسي لخصيها (المحبوب) آن تي - هي الذي تسببت غريمتها (ساكوتا) في قطع رأسه بمرسومها (القذر) كذلك من مستشارها نفسه الأمير كونج الذي كان السبب المباشر وراء المرسوم ؟

استدعت تزوهسي مستشارها الأمير كونج و سألته : من سيكون وريث العرش أيها الأمير كونج ؟

و أجاب الأمير كونج : الرأي رأيك أيتها الإمبراطورة

أين الأمير شون - هو وريث العرش .. ما رأيك

و كان صمت الموافقة هو جواب الأمير كونج .

و انتقمت تزوهسي من تزو آن (ساكوتا) و الأمير كونج بضربة حجر واحد!

فقد كان وريث عرشها ابن أختها المتزوجة من الأمير شون ، وأفرز الانتقام تفاعلات غريبة : فالأرملة الو - تي التي كانت تطمع في إنجاب وريث للعرش - مات عنها زوجها فلم يتحقق حلمها الوردي .

فانتحرت والعالم روكوتو انتحر هو الآخر لأن ابن الأمير شون أصبح وريثا للعرش...

ثم حان موعد الانتقام الكبير الأخير .

كان الأمير كونج لا يزال هو (عقدة العقد) التي تتحدى دهاء الإمبراطورة تزوهسي ، خاصة وأن غريمتها تزو آن (الإمبراطورة الثانية) استمالته إليها.

فكيف تحل (عقدةالعقد) المستفحلةالمتورمة كالكابوس ؟!

و خدمتها (الحبكة القدرية) في حل المعضلة الشديدة الكثافة :

كان أمرا سهلا أن تستميل تزوهسي الأمير كونج ، و تضعه في (جرابها) طائعا مختارا ، ثم حدث أن مرضت تزو آن مرض الموت ، فأرسلت تزوهسي إليها كعكا مسموما عجل بوفاتها .

و تداعت الأحداث..بلغ الوريث الإمبراطور الجديد (ابن الأمير شون) العشرين من عمره فزوجته تزوهسي من ابنة أخيها ، فلم يمل إليها و نفر منها ، و اعتزلها ، و رمى نفسه بين أحضان المحظيات و الغانيات .

و كان لا بد لتزوهسي أن تفرض عليه عقوبة صارمة .

فقد أمرت أحد الخصيان و كان مكلفا باستقباله أن يبقيه راكعا عدة ساعات أمام بابها قبل السماح له بالدخول ، و عندما كان يدخل كانت تبادره قائلة :

معذرة ، أعرف أنك ظللت راكعا أمام بابي مدة طويلة و السبب ، أنني كنت مشغولة بأمر يخص الدولة أوالشعب ، بينما كانت على أرض الواقع تهدر الوقت في ممارسة العبث و (الأنس) مع الخصيان !!.

في عام ١٨٩٤ ، ذاقت الصين طعم الذل على يد اليابان في الحرب التي وقعت بين البلدين ، وأدين نائب الإمبراطور هونج شانج على تقصيره ، لكن تزوهسي أعفته من الإهمال و التراخي .

وصبت (عقوبةالتوبيخ) إلى الإمبراطور الذي اتهمته بأنه دخل الحرب بغير موافقتها واستشارتها .

واستشاط الإمبراطور الشاب غضبا .

وفكر في رسم و تصميم وتنفيذ (مؤامرة) لاعتقال تزوهسي وحبسها في إحدى الجزر بتهمة هدر أموال الدولة ، لكن تزوهسي نسجت مؤامرة مضادة ، فقبض عليه، و عادت الأمبراطورة بقبضتها الحديدية .

واضطربت الأحوال في الصين بعد اندلاع ثورة الـ (بوكسرز) أو ثورة (الملاكمين) بعد أن ضاقت الصين ذرعا بالغرامة الثقيلة التي فرضتها عليها اليابان .

واختلط الحابل بالنابل : أشراف الصين برعاعها ، و سال الدم ، و تدخل الروس و الجرمانيون والإنجليز و الفرنسيون لإخماد هياج (الجماهير) فلم تجد تزوهسي سبيلا سوى أن تهرب بجلدها و كانت قد فكرت في الانتحار ، ثم عدلت عنه .

وبما أنها كانت شديدة الاعتناء بصحتها ، فلم تتأثر بإدمانها تدخين الأفيون في اعتدال و في عيد ميلادها الثالث و السبعين دعت الإمبراطور الذي كان يعاني من تدهور صحته إلى الحفل ، فحضر و هو يكاد يسقط من الإعياء .

ومات الإمبراطور فأصدرت مرسوما بتعيين الأمير شون خلفا له .

ودارت الأيام ، وفي عام ١٩٠٨ و تحديدا يوم ١٤ أكتوبر ، أحست تزوهسي بدنو أجلها فعقدت مجلسا للتداول والتشاور ، ثم لفظت أنفاسها .

كان نصف قرن من الزمان قد انفرط من عمرها ، و هي تحكم ، و تدمن شيئين (جبروت القبضة الحديدية) و (الأفيون) الذي يكمل الطرف الثاني من المعادلة الشيطانية ، شهوة الحكم و شهوة الجبروت و الطغيان .

وعلى امتداد المعادلة تلوح الرؤوس التي أينع قِطافها ، و الأجساد التي رتعت ، ثم غاصت في (مستنقع الدم) .

▪▪▪

١٠

ريا وسكينة ..

مُنتهَى الوَحْشية والعُنفِ !!

ooo

قصة مرعبة عاشها المصريون في العشرينيات من القرن الماضي (العشرين)، لدرجة أن مجرد ذكر اسميّ هاتين المرأتين كان يثير الهلع والذعر فيما بين الناس.. ريا وسكينة امرأتان تخصصتا في قتل الضحايا اللاتي يشاء حظهن العاثر أن يقعن على طريقهما بدم بارد ، ودون رحمة أو شفقة .

بالرغم من أن أحداث هذه القضية قد مر عليها سنوات طوال إلا انها لم تزل عالقة بأذهاننا لأنها ليست قضية بسيطة في حجمها وفي موضوعها فالجريمة راح ضحيتها عشرات من النساء البريئات والطريقة التي ارتكبت بها الجرائم كانت بشعة و إليكم قصة هانين المرأتين البشعتين كاملة .

في منتصف شهر يناير ١٩٢٠ تقدمت السيدة زينب حسن وعمرها أكثر من الأربعين عاما ببلاغ إلى حكمدار بوليس الإسكندرية عن اختفاء ابنتها نظلة أبو الليل البالغة من العمر ٢٥ عاما!

كان هذا هو البلاغ الأول الذي بدأت معه مذبحة النساء تدخل إلى الأماكن الرسمية. وتلقي بالمسؤولية على أجهزة الأمن..قالت صاحبه البلاغ إن ابنتها نظلة اختفت من عشرة أيام بعد أن زارتها سيدة تاركة (غسيلها) منشورا فوق السطوح.. تاركه شقتها دون أن ينقص منها شيء! وعن أوصاف الابنة التي اختفت قالت الأم إنها نحيفة الجسد ..متوسطة الطول..سمراء البشرة..تتزين بغوايش ذهب في يدها وخلخال فضه وخاتم حلق ذهب !

وانتهى بلاغ الأم بأنها تخشى أن تكون ابنتها قد قتلت بفعل فاعل لسرقة الذهب الذي تتحلى به !

وفي ١٦ مارس كان البلاغ الثاني الذي تلقاه رئيس نيابة الإسكندريه الأهليه من محمود مرسي عن اختفاء أخته زنوبة حرم حسن محمد زيدان.

الغريب والمثير والمدهش أن صاحب البلاغ وهو يروي قصة اختفاء أخته ذكر اسم رية وسكينة ..ولكن الشكوك لم تتجه اليهما !وقد أكد محمود مرسي أن أخته زنوبة خرجت لشراء لوازم البيت فتقابلت مع سكينة وأختها رية وذهبت معهما إلى بيتهما ولم تعد أخته مرة أخرى ! وقبل أن تتنبه أجهزة الأمن إلى خطورة ما يجري أو تفيق من دهشتها أمام البلاغين السابقين يتلقى وكيل نيابة المحاكم الأهلية

بلاغا من فتاة عمرها خمسة عشرة عاما اسمها (أم إبراهيم) عن اختفاء أمها زنوبة عليوة وهي بائعة طيور عمرها ٣٦ عاما .

ومرة أخرى تحدد صاحبة البلاغ اسم سكينة باعتبارها آخر من تقابل مع والدتها زنوبة! في نفس الوقت يتلقى محافظ الإسكندرية بلاغا هو الآخر من حسن الشناوي.. الجنايني بجوار نقطة بوليس المعزورة بالقباري.. يؤكد صاحب البلاغ ان زوجته نبوية على اختفت من عشرين يوما!

ينفلت الأمر وتصحبه الحكايات على كل لسان وتموج الإسكندرية وغيرها من المدن بفزع ورعب غير مسبوقين فالبلاغات لم تتوقف والجناة المجهولون مازلوا يخطفن النساء بلاغ آخر يتلقاه محافظ الإسكندرية من نجار اسمه محمد أحمد رمضان عن اختفاء زوجته فاطمة عبدربه وعمرها ٥٠ عاما وتعمل (شيخة مخدمين) ويقول زوج فاطمه إنها خرجت ومعها ٥٤ جنيها وتتزين بـ ١٨ غويشة وزوج (مباريم) وحلق وكلها من الذهب الخالص- ويعطى الرجل أوصاف زوجته فهي قمحية اللون طويلة القامة فقدت البصر بعينها اليمني ولهذا ينادونها بفاطمه العوراء كما أنها ترتدي ملاءة (كوريشه) سوداء وجلباب كحلي وفي قدميها تلبس صندل!

ثم كان بلاغ عن اختفاء فتاة عمرها ١٣ عاما اسمها قنوع عبد الموجود و بلاغ أخر من تاجر سوري الجنسية اسمه الخواجة وديع جرجس عن اختفاء فتاة عمرها ١٢ عاما اسمها لولو مرصعي تعمل خادمة له خرجت لشراء أشياء من السوق ولم تعد .

كانت البلاغات لا تتوقف والخوف يسيطر على كل البيوت وحكاية عصابة خطف النساء فوق كل لسان بلاغ آخر عن اختفاء سليمة إبراهيم الفقي بائعة الكيروسين التي تسكن بمفردها في حارة اللبان ثم بلاغ آخر يتلقاة اليوزباشي إبراهيم حمدي نائب مأمور قسم بوليس اللبان من السيده خديجة حرم أحمد على الموظف بمخازن طنطا قالت صاحبة البلاغ وهي سودانية الجنسية أن ابنتها فردوس اختفت فجأة

وكانت تتزين بمصاغ ثمنه ٦٠ جنيها وزوج أساور ثمنه ٣٥ جنيها وحلق قشرة وقلب ذهب معلق بسلسلة ذهب وخاتمين حريمي بثلاثة جنيهات .

هذه المرة يستدعي اليوزباشي إبراهيم حمدي كل من له علاقة بقصة اختفاء فردوس وينجح في تتبع رحلة خروجها من منزلها حتى لحظة اختفائها وكانت المفاجئة أن يقفز اسم سكينة من جديد لتكون آخر من شوهدت مع فردوس(ويتم استدعاء سكينة ولم تكن المرة الأولى التي تدخل فيها سكينة قسم البوليس لسؤالها في حادث اختفاء إحدى السيدات ومع هذا تخرج سكينه من القسم وقد نجحت ببراعة في إبعاد كل الشبهات عنها وإبطال كل الدلائل ضدهاا‌عجزت أجهزة الأمن أمام كل هذه البلاغات وكان لابد من تدخل عدالة السماء لتنقذ الناس من دوامة الفزع لتقتص للضحايا وتكشف الجناة وهنا تتوالى المفاجآت من جديد حينما تحكم عدالة السماء قبضتها و تنسج قصة الصدفة التي ستكشف عن أكبر مذبحة للنساء في تاريخ الجريمة في مصر

أما بداية اكتشاف الجريمة فكانت صباح ١١ ديسمبر ١٩٢٠ حينما تلقى اليوزباشى إبراهيم حمدي إشارة تليفونية من عسكري الدورية بشارع أبي الدرداء بالعثور على جثه امرأة بالطريق العام وتؤكد الإشارة وجود بقايا عظام وشعر رأس طويل بعظام الجمجمة وجميع أعضاء الجسم منفصلة عن بعضها وبجوار الجثة طرحة من الشاش الأسود وفردة شراب سوداء مقلمة بأبيض ولا يمكن معرفة صاحبة الجثة .

ينتقل ضباط البوليس إلى الشارع وهناك يؤكد زبال المنطقة أنه عثر على الجثة تحت طشت غسيل قديم وأمام حيرة ضابط البوليس لعدم معرفة صاحبة الجثة وإن كانت من الغائبات أم لا يتقدم رجل ضعيف البصر اسمه أحمد مرسي عبده ببلاغ إلى الكونستابل الإنجليزي جون فيليبس النوبتجي بقسم اللبان يقول الرجل في بلاغه إنه أثناء قيامه بالحفر داخل حجرته لإدخال المياه والقيام ببعض أعمال السباكة فوجئ بالعثور على عظام آدمية فأكمل الحفر حتى عثر على بقيه الجثة

التي دفعته للإبلاغ عنها فورا يتحمس ملازم شاب بقسم اللبان أمام البلاغ المثير فيسرع بنفسه إلى بيت الرجل الذي لم يكن يبعد عن القسم أكثر من ٥٠ مترا يرى الملازم الشاب الجثه بعينيه فيتحمس أكثر للتحقيق والبحث في القضية المثيرة .

ويكتشف في النهاية أنه أمام مفاجاه جديدة لكنها هذه المرة من العيار الثقيل جدا ، فقد أكدت تحريات الملازم الشاب أن البيت الذي عثر فيه الرجل على جثه آدمية كان يستأجره رجل اسمه محمد أحمد السمني وكان هذا السمني يؤجر حجرات البيت من الباطن لحسابه الخاص ومن بين هؤلاء الذين استأجروا من الباطن في الفترة الماضية سكينة بنت على وصالح سليمان ومحمد شكيرة وأن سكينة بالذات هي التي استأجرت الحجرة التي عثر فيها الرجل على الجثة تحت البلاط .

وأكدت تحريات الضابط المتحمس جدا أن سكينة استأجرت من الباطن هذه الحجرة ثم تركتها مرغمة بعد أن طرد صاحب البيت بحكم قضائي المستأجر الأصلي لهذه الغرف السمني وبالتالي يشمل حكم الطرد المستأجرين منه من الباطن وعلى رأسهم سكينة .

وقال الشهود من الجيران إن سكينة حاولت العودة إلى استئجار الغرفة بكل الطرق والإغراءات لكن صاحب البيت ركب رأسه وأعلن أن عودة سكينة إلى الغرفة لن تكون إلا على جثته والمؤكد أن صاحب البيت كان محقا .

فقد ضاق كل الجيران بسلوك سكينة والنساء الخليعات اللاتي يترددن عليها مع بعض الرجال البلطجية !أخيرا وضع الملازم الشاب يده على أول خيط لقد ظهرت جثتان إحداهما في الطريق العام وواضح أنها لامرأة والثانية في غرفةكانت تستأجرها سكينة وواضح أيضا أنها جثة امرأة لوجود شعر طويل على عظام الجمجمة كما هو ثابت من المعاينة .

وبينما الضابط لا يصدق نفسه بعد أن اتجهت أصابع الاتهام لأول مرة نحو سكينة كانت عدالة السماء مازالت توزع هداياها على أجهزة الأمن فيتوالي ظهور الجثث المجهولة استطاعت ريا أن تخدع سكينة وتورطها واستطاعت سكينة أن تخدع الشرطة وتورط معها بعض الرجال لكن الدنيا لم تكن يوما على مزاج ريه أو على كيف سكينة ومهما بلغت مهارة الإنسان في الشر فلن يكون أبدا اقوى من الزمن وهكذا كان لابد أن تصطدم ريا وسكينة بصخرة من صخور الزمن المحفور عليها القدر والمكتوب .

بعد أن ظهرت الجثتان المجهولتان لاحظ أحد المخبرين السريين المنتشرين في كل أنحاء الإسكندرية بحثا عن أية أخبار تخص عصابة خطف النساء لاحظ هذا المخبر وأسمه أحمد البرقي انبعاث رائحة بخور مكثفة من غرفة ريا بالدور الأرضي بمنزل خديجة أم حسب بشارع على بك الكبير وأكد المخبر ان دخان البخور كان ينطلق من نافذة الحجرة بشكل مريب مما أثار شكوكه فقرر أن يدخل الحجرة التي يعلم تمام العلم أن صاحبتها هي ريه أخت سكينه .

و لكن وكما يؤكد المخبر في بلاغه أصابها ارتباك شديد حينما سألها المخبر عن سر إشعال هذة الكمية الهائلة من البخور في حجرتها وعندما أصر المخبر على أن يسمع إجابة من ريه أخبرته أنها كانت تترك الحجرة وبداخلها بعض الرجال الذين يزرونها وبصحبتهم عدد من النساء فإذا عادت ريا وجدتهم انصرفوا ورائحة الحجرة لا تطاق إجابة ريا أشعلت الشك الكبير في صدر المخبر السري أحمد البرقي الذي لعب دورا كبيرا فاق دور بعض اللواءات الذين تسابقوا فيما بعد للحصول على الشهرة بعد القبض على ريا وسكينه بينما توارى اسم المخبر السري أحمد البرقي .

لقد أسرع المخبر أحمد البرقي إلى اليوزباشي (النقيب) إبراهيم حمدي نائب مأمور قسم اللبان ليبلغه في شكوكه في ريا وغرفتها ، على الفور تنتقل قوة من ضباط

الشرطة والمخبرين والصولات إلى الغرفه ليجدوا أنفسهم أمام مفاجأة جديده لقد شاهد الضابط رئيس القوة صندرة من الخشب تستخدم للتخزين داخلها والنوم فوقها ويأمر الضابط بإخلاء الحجرة ونزع الصندرة فيكتشف الضابط من جديد أن البلاط الموجود فوق أرضية الحجرة وتحت الصندرة حديث التركيب بخلاف باقي بلاط الحجرة يصدر الأمر بنزع البلاط وكلما نزع المخبرون بلاطة تصاعدت رائحة العفونة بشكل لا يحتمله إنسان تحامل اليوزباشي إبراهيم حمدي حتى تم نزع أكبر كمية من البلاط فتظهر جثة امرأة تصاب ريا بالهلع ويزداد ارتباكها بينما يأمر الضابط باستكمال الحفر والتحفظ على الجثه حتى يحرر محضرا بالواقعة في القسم .

ويصطحب ريا معه إلى قسم اللبان لكنه لا يكاد يصل إلى بوابة القسم حتي يتم إخطاره بالعثور على الجثه الثانية بل تعثر القوة الموجودة بحجرة ريا على دليل دامغ وحاسم هو ختم حسب الله المربوط في حبل دائري يبدو أن حسب الله كان يعلقه في رقبته وسقط منه وهو يدفن إحدى الجثث لم تعد ريا قادرة على الإنكار خاصة بعد وصول بلاغ جديد إلى الضابط من رجاله بالعثور على جثه ثالثه .

وهنا تضطر ريا إلى الاعتراف بأنها لم تشترك في القتل ولكن الرجلين كانت تترك لهما الغرفه فيأتيان فيها بالنساء وربما ارتكب جرائم قتل في الحجرة أثناء غيابها هكذا قالت ريا في البداية وحددت الرجلين بأنهما عرابي وأحمد الجدر وحينما سألها الضابط عن علاقتها بهما قالت إنها عرفت عرابي من ثلاث سنوات لأنه صديق شقيقتها وتعرفت على أحمد الجدر من خلال عرابي .

وقالت ريا إن زوجها يكره هذين الرجلين لأنه يشك في أن أحدهما يحبها القضية بدأت تتضح معالمها والخيوط بدأت تنفك عن بعضها ليقترب اللغز من الانهيار تأمر النيابة بالقبض على كل من ورد اسمه في البلاغات الأخيرة خاصة بعد أن توصلت أجهزة الأمن لمعرفه أسماء صاحبات الجثث التي تم العثور عليها في منزل

ريا، كانت الجثث للمجني عليهن فردوس وزنويه بنت عليوة وأمينه بعد القبض على جميع المتهمين تظهر مفاجاة جديدة على يد الصول محمد الشحات هذه المرة جاء الصول العجوز بتحريات تؤكد أن ريا كانت تستأجر حجرة أخرى بحارة النجاة من شارع سيدي اسكندر تنتقل قوة البوليس بسرعة إلى العنوان الجديد وتأمر السكان الجدد بإخلاء حجرتين تأكد الضباط أن سكينة استاجرت إحداهما في فترة وريا احتفظت بالآخرى كان في حجرة سكينه صندرة خشبية تشبه نفس الصندرة التي كانت في غرفه ريا تتم نفس إجراءات نزع الصندرة والحفر تحت البلاط ويبدأ ظهور الجثث من جديد!

لقد اتضحت الصورة تماما جثث في جميع الغرف التي كانت تستأجرها ريا وسكينه في المنازل رقم ٥ ش ماكوريس و٣٨ ش على بك الكبير و٨ حارة النجاة و٦ حارة النجاة ولأول مرة يصدر الأمر بتشميع منزل سكينة بعد هذا التفتيش تتشجع أجهزة الأمن وتنفتح شهيتها لجمع المزيد من الأدلة حتى لا يفلت زمام القضية من يدي العدالة ينطلق الضباط إلى بيوت جميع المتهمين المقبوض عليهم .

ويعثر الملازم أحمد عبدالله من قوة المباحث على مصوغات وصور وكمبيالة بمائه وعشرين جنيها في بيت المتهم عرابي حسان كما يعثر نفس الضابط على أوراق وأحراز أخرى في بيت أحمد الجدر .

وفي هذا الوقت لم يكن حماس الملازم الشاب عبدالغفار قد فتر لقد تابع الحفر في حجرة ريا حتى تم العثور على جثة جديدة لإحدي النساء بعدها تطير معلومة إلى مأمور قسم اللبان محمد كمال بأن ريا كانت تسكن في بيت آخر بكرموز ويؤكد شيخ الحارة هذه المعلومه ويقول أن ريا تركت هذا السكن بحجة أن المنطقة سيئة السمعة وتقوم قوة من البوليس باصطحاب ريا من السجن إلى بيتها في كرموز ويتم الحفر هناك فيعثر الضباط على جثه امرأة جديدة!

كانت الأدلة تتوالى وإن كان أقواها جلباب نبوية الذي تم العثور عليه في بيت سكينة وأكدت بعض النسوة من صديقات نبوية أن الجلباب يخصها ولقد اعترفت

سكينة بأنه جلباب نبوية ولكنها قالت إن العرف السائد بين النساء في الحي هو أن يتبادلن الجلاليب وأنها أعطت نبوية جلبابا وأخذت منها هذا الجلباب الذي عثرت عليه المباحث في بيت سكينة .

نجحت سكينة كثيرا في مراوغة المباحث لكن ريا اختصرت الطريق وآثرت الاعتراف مبكرا قالت ريا في بداية اعترافها أنها امرأة ساذجة وأن الرجال كانوا ياتون إلى حجرتها بالنساء أثناء غيابها ثم يقتلون النساء قبل حضورها وأنها لم تحضر سوى عملية قتل واحدة وانفردت النيابة باكبر شاهدة إثبات في القضيه بديعه بنت ريا التي طلبت الحصول على الأمان قبل الاعترافات كي لا تنتقم منها خالتها سكينة وزوجها وبالفعل طمأنوها فاعترفت بوقائع استدراج النساء إلى بيت خالتها وقيام الرجال بذبحهن ودفنهن ورغم الاعترافات الكاملة لبديعة إلا أنها حاولت أن تخفف من دور أمها ريا ولو على حساب خالتها سكينة بينما كانت سكينة حينما تعترف بشكل نهائي تخفف من دور زوجها ثم تعلن أمام وكيل النيابه أنها غارقة في حبه وتطلب أن يعذروها .

وبعد أن علمت سكينة أن ريا اعترفت في مواجهة بينهما أمام النيابة قالت سكينة أن ريا هي أختها الكبيرة وتعلم أكثر منها بشؤون الحياه وأنها ستعترف مثلها بكل شيء وجاءت اعترافات سكينة كالقنبلة المدوية قالت في اعترافاتها لما أختي ريا عزلت للبيت المشؤم في شارع على بك الكبير وأنا عزلت في شارع ماكوريس جاءتني ريا تزورني في يوم كانت رجلي فيه متورمة وطلبت ريا أن أذهب معها إلى بيتها اعتذرت لعدم قدرتي على المشي لكن ريا شجعتني لغاية ما قمت معها..واحنا ماشيين لقيتها بتحكيلي عن جارتنا هانم اللي اشترت كام حتة ذهب قلت لها (وماله دي غلبانه) قالت لي(لا..لازم نزعلوها ام دم تقيل دي) ولما وصلنا بيت ريا لقيت هناك زوجي عبدالعال وحسب الله زوج ريا وعرابي وعبد الرازق الغرفة كانت مظلمة وكنت هصرخ لما شفت جثة هانم وهي ميتة وعينيها مفتوحة تحت الدكة الرجالة كانوا بيحفروا تحت الصندرة ولما شعروا اني خايفه قالوا لي

احنا اربعه وبرة في ثمانيه واذا اتكلمت هيعملوا فيا زي هانم !..كنت خايفه قوي لكني قلت لنفسي وانا مالي طالما الحاجه دي محصلتش في بيتي وبعد ما دفنوا الجثة أعطوني ثلاثه جنيهات رحت عالجت بيهم رجلي ودفعت أجرة الحلاق اللي فتحلي الخراج بس وأنا راجعه قلت لنفسي إنهم كده معايا علشان ابقي شريكه لهم ويضمنوا اني مافتحش بقي وتروي سكينة في باقي اعترافاتها قصه قتل ١٧ سيدة وفتاة لكنها تؤكد أن أختها ريا هي التي ورطتها في المرة الأولى مقابل ثلاثه جنيهات وبعد ذلك كانت تحصل على نصيبها من كل جريمه دون أن تملك الاعتراض خوفا من أن يقتلها عبدالعال ورجالته!

وتتوالى اعترافات المتهمين عبدالعال الشاب الذي بدأ حياته في ظروف لا دخل لإرادته فيها طلب منه أهله أن يتزوج أرملة أخيه فلم يعترض ولم يدر أنه سيتزوج أكبر سفاحة نساء في تاريخ الجريمة وحسب الله الشاب الذي ارتمى في أحضان سكينة أربع سنوات بعيدا عن أمه التي تحضر فجأة للسؤال عن ابنها الجاحد فتكتشف أنه تزوج من سكينة وتلتقي بها أم حسب الله فتبكي الأم وتطلب من ابنها أن يطلق هذه السيدة فورا لكن حسب الله يجرفه تيار الحب إلى سكينة ثم تجرفه سكينة إلى حبل المشنقه ليتذكر وهو أمام عشماوي أنه لو استجاب لنصيحه أمه لكانت الحياة من نصيبه حتى يلقى ربه برضاء الوالدين وليس بفضيحه مدوية كانت وراء كل متهم حكاية ووراء كل قتيلة مأساة .

ووضعت النيابة يدها على كافه التفاصيل ليقدم رئيس النيابة مرافعة رائعة في جلسة المحاكمة التي انعقدت يوم ١٠ مايو عام ١٩٢١ وكان حضور المحاكمة بتذاكر خاصة أما الجمهور العادي الذي كان يزدحم بشدة لمشاهده المتهمين في القفص فكان يقف خلف حواجز خشبية وقال رئيس النيابة في مرافعته التاريخية :

هذه الجريمة من أفظع الجرائم وهي أول جريمة من نوعها حتى أن الجمهور الذي حضرها كان يريد تمزيق المتهمين إربا قبل وصولهم إلى القضاء هذه

العصابة تكونت منذ حوالي ثلاث سنوات وقد نزح المتهمون من الصعيد إلى بني سويف ثم إلى كفر الزيات وكانت سكينة من بنات الهوى لكنها لم تستمر لمرضها وكان زوجها في كفر الزيات يدعي أنه يشتغل في القطن لكنه كان يشتغل بالجرائم والسرقات بعد ذلك سافر المتهمان حسب الله وعبدالعال واتفقت سكينة وريا على فتح بيوت للهوى وكان كل من يتعرض لهما يتصدى له عرابي الذي كان يحميهما وكان عبدالرازق مثله كمثل عرابي يحمي البيت اللي في حارة النجاة وثبت من التحقيقات أن عرابي هو الذي أشار على ريا بفتح بيت شارع على بك الكبير أما عن موضوع القضية فقد حصل غياب النساء بالتوالي وكانت كل من تغيب يبلغ عنها وكانت تلك طريقة عقيمة لأن التحريات والتحقيقات كانت ناقصة مع أن البلاغات كانت تحال إلى النيابة وتأمر الإدارة بالبحث والتحري عن الغائبات إلى أن ظهرت الجثة فعدلت الداخلية طريقة التحقيق عمن يبلغ عنها وآخر من غابت من النساءكانت فردوس يوم ١٢نوفمبر وحصل التبليغ عنها يوم ١٥نوفمبر وأثناء عمل التحريات والمحضر عن غيابها كان أحد الناس وهو المدعو مرسي وهو ضعيف البصر يحفر بجوار منزل ريا فعثر على جثة بني آدم فأخبر خاله الذي أبلغ البوليس وذهب البوليس إلى منزل ريا للاشتباه لانها كانت تبخر منزلها لكن الرائحة الكريهة تغلبت على البخور فكبس البوليس على المنزل وسئلت ريا فكانت أول كلمة قالتها إن عرابي حسان هو القاتل بعد أن أرشدت عن الجثث وتم العثور على ثلاث جثث واتهمت ريا أحمد الجدر وقالت إن عديلة كانت تقود النساء للمنزل واتضح غير ذلك وأن عديلة لم تذهب إلى بيت ريا إلا مرة واحدة وأن اتهامها في غير محله واعترفت سكينة أيضًا اعترافا اوضح من اعتراف ريا ثم احضر حسب الله وعبدالعال وامامهما قالت ريا وسكينة نحن اعترفنا فاعترف كل منهما اعترافات لا تشوبها أي شائبة وعندما بدأ رئيس النيابة يتحدث عن المتهمة أمينة بنت منصور قالت أمينة أنا مظلومة فصاحت فيها سكينة من داخل قفص الاتهام إزاي مظلومه وفيه جثة مدفونة في بيتك دي انتي أصل كل شيء من الأول ويستطرد رئيس النيابه ليصل إلى ذروة

الإثارة في مرافعته حينما يقول :إن النيابة تطلب الحكم بالإعدام على المتهمين السبعة الأول بمن فيهم (الحرمتين)ريا وسكينة لأن الأسباب التي كانت تبرر عدم الحكم بالإعدام على النسوة قد زالت وهي أن الإعدام كان يتم خارج السجن..أما الآن فالإعدام يتم داخل السجن ..وتطلب النيابة معاقبة المتهمين الثاني والتاسع بالاشغال الشاقه المؤيدة ومعاقبة الصائغ بالحبس ست سنوات. هذا ما حكمت به المحكمة بجلستها العلنية المنعقدة بسراى محكمة الإسكندرية الأهلية فى يوم الاثنين ١٦ مايو سنة ١٩٢١ الموافق ٨ رمضان سنة ١٣٣٩).

و قد قيدت هذه القضية بجدول النقض تحت رقم ١٩٣٧ سنة ٣٨ قضائية وحكم فيها من محكمة النقض والإبرام برفض الطعن فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢١ . ونفذ حكم الإعدام داخل الإسكندرية فى ٢١ و ٢٢ ديسمبر سنة١٩٢١

وفيما يلي حيثيات حكم إعدام ريا وسكينة (من واقع سجلات محكمة جنايات الاسكندرية)

محكمة جنايات الإسكندرية

حكم إعدام ريـــا وسكينة

أصدرت الحكم الآتى :

فى قضية النيابة العمومية نمرة (---) لبان سنة ١٩٢١ .

" ضـــــد"

١٠ متهمين ، ريا وسكينة وثمانية آخرين

بعد سماع أمر الإحالة وطلبات النيابة العمومية وطلبات المدعى بالحق المدني وأقوال المتهمين ودفاع المحامين عنهم وشهادة الشهود والاطلاع على ورق الدعوى وأخذ رأى فضيلة مفتى مدينة الإسكندرية والمداولة قانوناً .

" وطلب محامى المتهمين الأولى والثانية استعمال الرأفة معهما وترك تقدير قيمة التعويض قبلهما للمحكمة . وطلب المحامى عن المتهم الثالث إجراء الكشف على قواه العقلية لمعرفة درجة مسئوليته وطلب فى الموضوع الحكم ببراءته . و طلب محامى المتهم الرابع اعتباره شريكاً ومعاملته بالمادة ١٩٩ عقوبات أو باستعمال الرأفة طبقاً للمادة ١٧ عقوبات وإبدال عقوبة الإعدام بالأشغال الشاقة فوض الرأى فى تقدير التعويض قبله . و طلب المحامون عن باقى المتهمين الحكم ببراءتهم ورفض الدعوى المدنية قبلهم وذلك للأسباب الواردة بمحضر الجلسة .

" المحكمة"

حيث أنه قد تبين من التحقيقات التى حصلت فى الدعوى ومن شهادة الشهود الذين سمعوا أمام المحكمة أنه فى غضون المدة من يناير إلى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٢٠ ورد بوليس قسم اللبان بالإسكندرية عشرة بلاغات عن اختفاء عشر نسوة من الطبقة القاطنة بدائرة المذكور ، قدمت هذه البلاغات من ذوى قرابتهن وحفظتها النيابة لعدم الاهتداء إلى معرفة مقر تلك النسوة ولا أسباب غيبتهن. وكانت الحرمة سكينة بنت (---) ثانية المتهمين تسكن فى ذلك العهد منزلاً لوالدة من يدعى أحمد (---) كائناً بحارة ماكوريس نمرة (٥) خلف قسم اللبان وكان مؤجراً لشخص يدعى محمد (---) الذى أجر منه غرفة لسكينة بالدور الأرضى ثم أخلى هذا المنزل واستلمه المؤجر فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٠ فأخذ يجرى فيه بعض تحسينات طلبها منه مستأجر جديد وقد اتفق أنه فى يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٠ بينما كان أحمد (---) يحفر فى أرضية الغرفة التى كانت تقيم بها سكينة لأجل تركيب مواسير المياه إذ عثر على جثة امرأة كانت مدفونة فيها فأخطر القسم بذلك وباستمرار الحفر بأرضية تلك الغرفة وجدت بها أيضاً جثتان لامرأتين خلاف الجثة الأولى . ثم حفرت أرضية غرفة أخرى لسكينة بمنزل موجود بحارة النجاة نمرة (٥) بقسم اللبان فوجدت بها جثة رابعة وقد علم وقتئذ أن لسكينة أختا تدعى رية وهى المتهمة الأولى وريا هذه متزوجة بحسب الله (..)

ثالث المتهمين وكانت تسكن غرفة بالدور الأرضي بمنزل كائن بشارع على بك الكبير بالقسم المذكور وتكثر من التردد إلى غرفة بمنزل آخر كائن بحارة النجاة نمرة (بدوره الأرضي تشغلها الحرمة أمينة (---) المتهمة الثامنة وقد وجدت اثنتى عشرة جثة نسائية مدفونة بالغرفة الأولى وجثة أخرى لامرأة مدفونة بالغرفة الثانية وتلك الجثث البالغ مجموعها سبع عشرة هي جثث النسوة المبينة أسماؤهن بأمر الإحالة وهذه المحلات جميعها أعدت للدعارة سراً وكانت البغايا من النساء تترددن إليها تارة من تلقاء أنفسهن وطوراً بطلب من ريا وسكينة لتعاطى المسكرات وارتكاب الفحشاء فيها وكانت إدارة المحلات المذكورة مشتركة بين ريا وسكينة وأرباحها تقسم بينهما .

ودل التحقيق على أن ثمانى جثث من السبع عشرة التي اكتشفت بالكيفية المتقدم ذكرها لنسوة من اللائى حصل عنهن التبليغ وهن نظلة بنت (---) وسليمة (---) ، ونبوية (---) ، وزنوبة (---) ، وفاطمة (---) ، وفردوس(---) ، وتبين أيضاً أنه كان لتلك النسوة مصوغات معلومة عند ذويهن لم يعثر عليها في محلات سكنهن .

وحيث إنه باستجواب سكينة أمام النيابة قررت بأنها اشتركت بالاتفاق مع أختها ريا فى قتل عشر نسوة من اللائى وجدت جثثهن بالمنازل المذكورة وبأن مطلقها محمد عبد العال وحسب الله - زوج رية - وعرابى وعبد الرازق (---) صاحبهم قتلوا منهم هانم ونظلة وعزيزة وزنوبة وبأنهم ما عدا محمد (---) قتلوا أنيسة بنت (---) وبأن حسب الله (---) اشترك مع عرابى (---) فى قتل نبوية زوجة السماك وسليمة بنت (---) الشهيرة بأم عرفات بائعة الغاز ونبوية القهوجية وفاطمة بنت المخدمة ومع عبد العال فى قتل فردوس وقررت بأن المجنى عليهن كانت تجىء بدعوة منها وأختها رية إلى تلك المنازل للالتقاء بالرجال حيث يكون هؤلاء المتهمون فى انتظارهن مصرين باتفاقهم معها ومع أختها رية على قتل تلك النسوة وسرقة ما يكون عليهن من المصوغات . ولأجل تسهيل قتلهن بواسطة من

ذكروا من المتهمين كانت تقدمان إليهن الخمور القوية المفعول ما يكفى القليل منها لإسكارهن سكراً شديداً لا يستطعن معه محاولة أية مقاومة أو استغاثة فكان أولئك المتهمون ينتهزون فرصة لاغتيالهن بواسطة كتم النفس والخنق وقررت أيضا بأن أحدهم كان يخنق كل امرأة منهن بمنديل يشده حول عنقها أو بيديه بينما كان الآخرون ممسكين بيديها و رجليها وصدرها أو فمها لمنعها من إبداء أى حركة إلى أن يتم زميلهم فعلته وتزهق نفس المرأة وبأن عرابى هو الذى كان يباشر الخنق فى معظم تلك الحوادث ثم يدفنون جثثهن بالأمكنة التى وجدت فيها بعد تجريدهن من مصوغاتهن ومما يجدونه معهن من النقود وكانت المصوغات تباع بعد ارتكاب الجرائم بمعرفة سكينة ورية إلى المتهم (---) الصائغ وغيره وأثمانه توزع بينهم .

وحيث أن الإقرار الصادر من سكينة أمام حضرة قاضى الإحالة وأمام هذه المحكمة لم يخرج عن هذا المعنى غير أنها قررت بأن القاتلين لسليمة هم حسب الله ومحمد (---) وعبد الرازق وسلامة الكيت وقد كررت اعترافها أمام هذه المحكمة.

وحيث إن رية بعد أن اختلفت فى أقوالها أمام النيابة اعترفت أثناء استجوابها من حضرة قاضى الإحالة باشتراكها هى وسكينة بطريق الاتفاق فى قتل ستة من تلك النسوة وهن هانم ونظلة وأمينة و أنيسة و فهيمة و فردوس وقرر بأن القاتلين لهن هم زوجها حسب الله (---) ومحمد (---) عرابى (---) وعبد الرازق(..) واتفقت روايتها مع رواية سكينة فيما يختص بكيفية حصول القتل ودفن الجثث والتصرف فى المصوغات المسروقة وقد كررت اعترافها أمام هذه المحكمة أيضاً.
وحيث أن حسب الله (---) اعترف أمام النيابة بأنه قتل من النسوة ثمانية وهن نظلة و سليمة و نبوية بنت (---) الشهيرة بفهيمة باشتراكه مع محمد (---) وعرابى (---) وعبد الرازق (---) وفاطمة بنت (---) المخدمة ونبوية (---) باشتراكه مع عرابى (---) وسليمة بنت (---) باشتراكه مع محمد (---) -

وأنيسة مع اشتراك عرابى حسان وعبد الرازق (---) ، وقرر بأن القاتل لفردوس هو محمد (---) وحده .

وحيث أن محمد (---) اعترف بتحقيق النيابة بقتله هانم ونظلة بالاشتراك مع حسب الله (---) وعرابى (---) وعبد الرازق (---) وبأنه اشترك معهم أيضاً في قتل امرأة لها سنة من ذهب لا يعرف اسمها ورابعة يبلغ عمرها ٣٦ سنة بيضاء نوعا متوسطة الجسم والقامة وامرأة خامسة وهى التى دفنت فى غرفة سكن المتهمة أمينة بنت (---) ومحمد (---) أنكروا ما أسند إليهم . وحيث أن حسب الله (---) عدل أمام حضرة قاضى الإحالة عن الاعتراف الصادر منه فى تحقيق النيابة مدعياً أنه اعترف من الإهانة والجزع ولكن لا يمكن الاعتداد بهذا الادعاء لأن اعترافه تكرر منه مراراً بالتحقيقات يحتوى على وقائع مطولة وظروف مختلفة لا يمكنه ذكرها إلا إذاكان الاعتراف صادراً منه بمحض إرادته وفوق ذلك فإنه اعتراف مؤيد بالنسبة

إليه أولاً : من ملازمته لزوجته رية فى تلك المنازل الملازمة التى لا تجعلها تتداخل فى هذه الجرائم إلا بإشراكه معها فى الأعمال الشديدة التى لا تقوى عليها النساء أو على الأقل بتحريض منه .

ثانياً : من شهادة السيدة بنت (---) التى قررت بأنه أعطاها جنيهين لأجل أن تتجاهل دخول فاطمة بنت (---) فى البيت الذى تقيم فيه سكينة بشارع ماكوريس وعدم خروجها منه أى البيت الذى قتلت فيه .

ثالثاً : من وجود ختمه فى التراب وقت النبش على الجثث المستخرجة من هذا البيت .

رابعاً : من رؤية (---) أحد الشهود له بعد حادثة فاطمة بنت (---) خارجاً من البيت ومعه صرة ملابس .

خامساً : من شهادة عزيزة بنت (---) التى أقامت فترة من الزمن ببيت سكينة بشارع ماكوريس بأنها تواجدت يوماً وقت المساء عند رية فكلفها حسب الله بحمل شوال مربوط كانت تنبعث منه رائحة كريهة فذهب معها عند ملتقى شارع عبد المنعم بشارع أبى الدرداء وهناك أمرها بترك الشوال ثم تبين من التحقيقات التى حصلت بمناسبة البلاغات التى تقدمت بشأن اختفاء النساء وجد بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٢٠ بالمكان الذى ألقى فيه الشوال هيكل امرأة يرجع تاريخ وفاتها إلى شهرين .

سادساً : من ضبط محبس ذهب لفردوس وملابس لها أيضاً فى البيت الذى يسكنه مع زنوبة بنت (---) زوجته الجديدة .

وحيث إن المتهم محمد (---) قرر أمام قاضى الإحالة بخصوص الاعتراف الصادر منه فى تحقيقات النيابة أنه أغرى من رجال البوليس على هذا الاعتراف وأنه لا دخل له فى جرائم القتل المسندة إليه ولكن اعترافه مؤيد على كل حال من ضبط فنيلة صوف لفردوس عنده ومن إقرار على (---) الصائغ بحضوره إليه مع حسب الله ورية وسكينة عند عرض المصوغات المسروقة عليه ومن ملازمته فى كل وقت لزوجته سكينة ولأختها رية ولزوجها حسب الله (---) ومن شهادة زنوبة بنت (---) زوجة حسب الله الثانية بأنه جاء إليها بصحبة حسب الله ومعهما ما ضبط عندها من ملابس فردوس بنت (---).

وحيث أن المحكمة تستنتج من الوقائع المتقدمة بأنها ومن كون المتهمين المعترفين اشتروا فى بحر المدة التى ارتكبت فيها هذه الجرائم من المصوغات ما لم يمكنهم شراؤها إلا من ثمن ما سرقوه من حلى المجنى عليهن ومن كون حالة الجثث دلت على أن تاريخ القتل لم يكن سابقاً على إقامتهم فى البيوت التى وجدت بها تلك الجثث أن المتهمين المذكورين لم يشتركوا فقط فى قتل النسوة الوارد ذكرهن فى اعترافاتهم بل قتلوا أيضاً النسوة الأخريات المبينة أسماؤهن بأمر الإحالة .

وحيث أن المتهم عرابى (---) مع إنكاره ما أسند اليه من التهم ادعى أنه لم يتوجه مطلقاً عند رية وسكينة من عهد إقامتهما بالمنازل التى استخرجت منها الجثث وإن كان يوجد سابق معرفة بينه وبينهما وبين حسب الله (---) ومحمد (-) بمناسبة تردده عليهم بالمحل المشهور بالكامب الذى كانت تديره رية بسوق الجمعة بالإسكندرية ولكن قد كذبه فى ذلك شهود منهم السيدة بنت (---) بغرفة المنزل الكائن بشارع ماكوريس في اليوم نفسه الذى اختفت فيه فاطمة المذكورة ورأت تراباً مكوماً بجوار باب الغرفة وهذا التراب كان قد استخرج من أرضية الغرفة بعد دفن جثة فاطمة فسألت عنه فأخبرها حسب الله ورية أن المرأة قد تقيأت فنقلت التراب إلى تحت سلم المنزل ومنهم زينب بنت (---) التى شهدت بأن ابنتها نظلة إحدى المجنى عليهن كانت تجتمع كثيراً بالمتهم المذكور عند رية وكانت تخشى بأسه لأنه فتوة ومشهور بأنه يخنق ومنهم شفيقة بنت (---) وعبد المحسن(--) اللذان قررا رؤيتهما عرابى (---) يتردد على منزل رية الكائن بشارع على بك الكبير وقد شهد غيرهم بأن نظلة المقتولة كانت خليلة عرابى وكان يريد الزواج بها ولما أختفت لم يهتم بأمرها وأخذ يقول لكل من كان يسأله عنها بكرة تحضر .

وحيث فيما يتعلق بالمتهم عبد الرازق (---) فإنه ثبت من أقوال الشهود أنه كان معاشراً للحرمة أنيسة بنت (---) إحدى المجنى عليهن وكان يجتمع بها فى منزل رية بشارع على بك الكبير وكانت أنيسة المذكورة نسبت إليه قبل اختفائها سرقة قرط من ذهب ونقود لها و وسطت بعض أصدقائها فى استرداد هذه الأشياء منه فرفض وأظهر غضبه عليها خصوصاً لما رأى أن تهمة السرقة الملصقة به أخذت تنتشر فى القهاوى التى كان يذهب إليها فكان حينئذ من مصلحته أن يقتل أنيسة للتخلص من تشهيرها به والاستفادة بجزء من حليها وقد ثبت منها أيضاً أن عبد الرازق كان معاشراً لرية وسكينة و حسب الله ومحمد (---) من بدء سكنهم بالمنازل التى وجدت بها الجثث ومرتبطاً بهم كل الارتباط وكان يرى من واجبه أن يدافع مع عرابى (---) عن سمعة تلك المنازل كلما وجد لذلك فرصة مع علمه بما

هو حاصل فيها من القبائح وكان به عند رية وسكينة من المنزل والمكانة ما يجعله يتصرف فى محلاتهما كيف يشاء ويضاف إلى ذلك أنه من أجلها هذه الدعوى بمبلغ لا يمكنهما الحصول عليها من المكاسب التى كانت تأتيهما بالوسائل المباحة.

وحيث أنه يستنتج من هذه الظروف والظروف السابق بيانها ومن الكشوف الطبية الموقعة على الجثث المؤيدة لما ورد فى أقوال المتهمين المعترفين من حصول القتل بطريق الخنق ومن يد عدة أشخاص ومن القرائن القوية التى تعزز أقوال رية وسكينة وحسب الله (---) ومحمد (---) بالنسبة لكل من عرابى(-) وعبد الرازق (---) ما يحمل المحكمة على الاعتقاد التام بأنهما باشرا قتل السبع عشرة نسوة المتقدم ذكرهن .

وحيث أنه متى تقرر ذلك يكون عقاب حسب الله (---) ومحمد (--)وعرابى(-) وعبد الرازق (---) بصفتهم فاعلين أصليين للجرائم المذكورة وهى سفكهم دماء السبع عشرة نسوة عمداً مع سبق الإصرار فى الظروف المتقدم بيانها واستباحة أموالهن بتبديدها فى المنكرات وذلك فى المدة الواقعة بين نوفمبر سنة ١٩١٩ و١٢نوفمبر ١٩٢٠ بجهة حى اللبان بالإسكندرية هاته الآثام التى لم يشاهد مثلها فى القسوة والفظاعة من عهد تأسيس المحاكم للآن منطبقاً على نص مادتى ٣٩و١٩٤ عقوبات .

وعقاب رية وسكينة بصفة كونهما اشتركتا مع الفاعلين الأصليين فى التاريخ والمكان السابق ذكرهما فى تلك الجرائم بطريق الاتفاق والمساعدة فى الأعمال المسهلة لارتكابها بأن أحضرتا المجنى عليهن إلى محلاتهما وأسكرتهن ليتمكن الفاعلون الأصليون من خنقهن بدون أدنى مقاومة منهن فوقعت جرائم القتل بناء على هذا الاتفاق وهذه المساعدة منطبقاً على نص المادة٤٠ فقرة ثانية وثالثة و٤١و١٤و١٩٩ من القانون المشار إليه .

وحيث أن أوراق هذه الدعوى قد أرسلت بتاريخ ١٢ مايو سنة ١٩٢١ إلى حضرة صاحب الفضيلة مفتى مدينة الإسكندرية لإبداء رأيه طبقاً للمادة ٤٩ من قانون تنظيم محاكم الجنايات ووردت منه مشفوعة برأيه فى ١٥ منه بنمرة ٤٠١ .

وحيث عن تهمة سلامة(---) الملقب بالكيت فإنه لم يوجد ضده سوى أقوال سكينة وحسب الله (---) التى لم تؤيد بأى دليل من الأدلة المقنعة حتى يمكن الأخذ بها والتعويل عليها فى الحكم بإدانة الشخص المذكور فيما هو متهم به كما وأن المحكمة ترى فيما يختص باتهام كل من أمينة بنت (---) ومحمد (---) الشهير بالنص زوجها بالاشتراك فى قتل نبوية بنت (---) بالاتفاق والمساعدة أن الأدلة التى وصلت إليها التحقيقات لا تكفى لإثبات التهمة الموجهة إليهما ويتعين الحكم حينئذ ببراءة الثلاثة المتهمين المذكورين لعدم ثبوت التهمة المسندة إليهم ثبوتا كافياً عملاً بالمادة ٥٠ من قانون تشكيل محاكم الجنايات .

وحيث إن تهمة إخفاء المصوغات المسروقة المنسوبة إلى على (---) فإنه ثابت من اعترافه أنه اشترى جانباً من مصوغات المجنى عليهن على أربع دفع من رية وسكينة بحضور حسب الله (---) ومحمد (---) وذلك أثناء المدة من نوفمبر سنة ١٩١٩ لغاية ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٠ بالإسكندرية ولكنه يدعى أنه كان يجهل مصدر تلك المصوغات الحقيقى .

وحيث أنه مع التقدير المذكور لم يشتر تلك المصوغات إلا فى أربع دفع كما يقول وليست فى ست دفع كما قالت سكينة فقد تبين للمحكمة أنه كان يعلم بسرقة المصوغات عند شرائه إياها بدليل حصول الشراء خفية وبثمن يقل عن نصف قيمتها الحقيقية وبدون أن يحتاط فى أخذ الضمانات التى يكون من شأنها إخلاء مسئوليته عند الاقتضاء وإسراعه بكسر معظم تلك المصوغات لإضاعة معالمها .

وحيث إنه مما تقدم تكون تهم الجرائم المسندة إلى محمد (---) ثابتة قبله فى الأربع وقائع المعترف بها فقط وعقابة ينطبق على نص المادة ٢٧٩ فقرة

أولى من قانونه العقوبات مع مراعاة المادة ٣٦ منه بالنظر إلى تعدد الجرائم ...." ....

"فلهذه الأسباب "

وبعد الاطلاع على النصوص القانونية المتقدم ذكرها حكمت المحكمة حضورياً:

أولا : على كل من رية وسكينة بنتى (---) وحسب الله (---) ومحمد (---) وعرابى (---) وعبد الرازق (---) بعقوبة الإعدام .

ثانياً : على .... على (---) الصائغ بالحبس مع الشغل لمدة خمس سنوات .

ثالثا : ببراءة كل من سلامة (---) والحرمة أمينة (---) الشهيرة بأم أحمد وزوجها محمد (---) الشهير بالنص مما أسند إليهم فى هذه الدعوى ورفض الدعوى المدنية الموجهة قبلهم وقبل على محمد (---) الصائغ "............

هذا ما حكمت به المحكمة بجلستها العلنية المنعقدة بسراى محكمة الإسكندرية الأهلية فى يوم الأثنين ١٦ مايو سنة ١٩٢١ الموافق ٨ رمضان سنة ١٣٣٩) .

ولم ينس المؤلفون أن يتناولوا هذه القضية ويحولوها إلى عمل فني كما تناولوا العديد من القضايا الآخرى

فمثلا نجد من الأفلام التي تناولت هذه القضية فيلم ريا وسكينة سنة ١٩٥٣ بطولة الفنانتين نجمة إبراهيم وزوزو حمدي الحكيم وشاركهما البطولة الفنان فريد شوقي وأنور وجدي وغيرهما ونرى كيف أن الفنانتين نجمة إبراهيم وزوزو حمدي الحكيم قد قدما الدور بإتقان شديد جدا حتى أننا قد تخيلنا ريا وسكينة الحقيقتين من خلال هاتين الفنانتين ومن خلال الأحداث نستطيع أن نقرب من الحقيقة ، ونفس الدور قد قامتا به في فيلم آخر هو إسماعيل يس يقابل ريا وسكينة

ولكن التناول هذه المرة اختلف بعض الشيء واقترب من أفلام المغامرات وأخذ طابعا أقل إثارة إلى حد ما ، ومن الأفلام الأحدث فيلم ريا وسكينة بطولة شريهان ويونس شلبي وفيه يقرران أن يكونا عصابة على غرار عصابة ريا وسكينة فيتنكر يونس شلبي في زي امرأة تظهر باسم ريا و شريهان باسم سكينة ويمارسان سرقة مصاغ النساء .

وفي المسرح نجد أن التناول يظهر ريا وسكينة ولعبت دوريهما في هذا العمل الفنانة سهير البابلي والفنانة شادية بأنهما كانتا ضحيتين لزوجة أبيهما وأنهما تعلمتا القسوة والقتل منها وأن ظروف الحياة هي التي أجبرتهما على ذلك وأيا كان الأمر فإنهما في النهاية قاتلتان لا شك واستحقتا حكم الإعدام نتيجة لإزهاقهما أرواح هذا العدد من النساء .

■ ■ ■

١١

ماري الدموية

أسطورة الشر !!

ooo

هى ماري الأولى أو (ماري تيودر) أو ماري الدموية، و تم إطلاق هذا اللقب عليها لأن عهدها قد أعدم فيه أكثر من ثلاثمائة شخص حرقا في إنجلترا بتهمة الهرطقة، عاشت (غرينيتش ١٥١٦-لندن ١٥٥٨ م) هي ملكة إنكلترا وآيرلندا (١٥٥٣-١٥٥٨ م)، والدها الملك هنري الثامن، ووالدتها "كاترين من أراغون".

تولت الحكم بعد فترة انتقالية عرفت محاولة لتنصيب الليدى جين غراي (Lady Jane Grey) مكانها. بسبب عقيدتها الكاثوليكية، واجهت "ماري" الأفكار التي حملتها الإصلاحات البروتستانتية، والتي أخذت تنتشر في البلاد منذ عهد حكم أخيها الملك إدوارد السادس (Edward VI). بعد أن نجحت في إخماد عدة ثورات استهدفتها شخصيا، أعلنَت حملتها على أصحاب المذاهب الأخرى، فاضطهدت أتباعها حتى أطلق عليها لقب ماري الدموية. تسببت بعد زواجها من الملك فيليب الثاني من أسبانيا (١٥٥٤) في حرب كارثية مع فرنسا. توفيت بدون أن تعقب (تترك أولادا)، فانتقل العرش إلى أختها البروتستانتية إليزابيث الأولى.

ومن شدة دموية ماري و بشاعتها فقد نُسِجَت حولها أساطير كثيرة و تقول الأساطير إنه منذ أكثر من مائة عام كانت هناك امرأة اسمها "ماري"، في يوم من الأيام حدث لها حادث فظيع أدى لتشويه وجهها لتنزف حتى الموت.. لكن روحها لم تسكن.. ليرهب شبحها العالم بأكمله..

إن وقفت أمام المرآة في الظلام وقلت اسمها عدة مرات، سيظهر لك وجهها المشوه المخيف في المرآة.. وإن لم تسارع بإضاءة النور والهرب ستحاول تشويه وجهك، وربما تسحبك لعالم المرآة، أو يجد أحدهم جثتك وعليها علامات الفزع!!..

هذا ما روته الأساطير عن "ماري الدموية" ، التي احتل ذكرها جزءاً مهمًّا من أساطير شعوب العالم والأوروبيين بشكلٍ خاص.. والتي اختلف شعوب العالم بوصفها.. لكن الأسطورة في النهاية كانت واحدة.. أسطورة الشبح الذي يظهر ليؤذيك إن قلت اسمه أمام المرآة عدد مرات معينا.

وأساطير رعب المرآة قديمة قدم الأزل.. فقديماً كانوا يغطون المرايا عند جنازة شخص مًّا لاعتقادهم أن روحه إن ظهرت لأحد في مرآة فإن روحه ستظل محبوسة داخلها إلى الأبد..

والآن نتطرق للأسطورة التي ارتبطت بـ "ماري تيودور" أو "ماري الدموية" التي حكمت إنجلترا وتم إطلاق هذا اللقب عليها نظراً لعهدها الدموي.

اختلف الكثيرون على الاسم الذي يجب قوله في المرآة لتظهر له "ماري الدموية"، واختلفت الوسائل أيضاً، لكن تلك الاختلافات لا تؤثر كثيراً على الوسيلة نفسها التي تدعو "ماري" للظهور. ويعتبر اسم "ماري وورث" ثاني أكثر الأسماء انتشاراً لـ"ماري" بعد "ماري الدموية".

كما أن هناك أسماء كثيرة لـ"ماري الدموية"، فهناك وسائل متعددة أيضاً لاستدعائها.. لكن جميع الباحثين في أصل الأسطورة اتفقوا على أن الشروط الأساسية للطقوس شيئان، أولهما أن تتم الطقوس أمام مرآة في غرفة مظلمة، والثاني هو تكرار اسم "ماري الدموية" أو "ماري وورث" أو النداء عليها بعبارة "ماري، لقد قتلت طفلك" عدد مرات معين يتراوح ما بين خمس مرات، أو عشر، أو ثلاث عشرة، أو مائة مرة.. مع إعلاء الصوت بكل محاولة ليصل الصوت والصراخ كالنداء على "ماري"..

بغض النظر عن الخرافة في الأمر وعدم منطقيته.. لأن قول عبارة واحدة أمام المرآة مائة مرة ليست وسيلة لاجتذاب الأرواح.. وإنما هي الوسيلة المثلى للإصابة بالنُّعاس!..

بعض الروايات اشترطت إشعال الشموع أمام المرآة –ولا يجهل أحد دور الشموع بأي طقس سحري بشكلٍ عام– أو الدوران في دوائر أمام المرآة..

ماذا لو ظهرت "ماري"؟!

تختلف رواية الأسطورة عما يحدث عند ظهور "ماري"، فهناك من يقول إنها تخرج لتشوه وجه من استدعاها بأظافرها "وأحياناً مخالبها"، أو بسكين تحملها في يدها، أو بأسنانها "ارتبطت تلك الرواية بأن "ماري" تأكل لحوم البشر"، أو

تقتلع العينين "وفي تلك الحالة يكون هناك فجوات سوداء مكان العينين"، أو تدفعه للانتحار رغماً عن إرادته، وهناك رواية تقول إنها تصيب المستدعي بالجنون، أو تسحبه داخل عالمها في المرآة..

وهناك أقاويل أخرى بأن ليس هناك ضرر شديد من استدعائها، فهناك ما يُروى بأنها تظهر بوجهها في المرآة فقط، أو تكون مستعدة للإجابة عن بعض الأسئلة -ألا يتذكر أحد المرآة المسحورة في كارتون "ديزني" الشهير؟!- أو تتحول المياه بحوض الاستحمام إلى دماء، وهناك رواية طريفة يتداولها الأطفال وهي أن "ماري" تمنح الحلوى عند ظهورها!..

البعض يقول إن ماري الدموية هي ساحرة معروفة بتعاملها بالسحر الأسود في إنجلترا ، واستطاعت من خلال هذا السحر أن تقتل العديد من الأشخاص الأبرياء الذين وضعهم حظهم العاثر في طريقها .. حتى استطاع أهل القرية في يوم الأيام أن ينقضوا عليها ويحاصروها .. وبعد الكثير من العنف والدماء استطاع الرجال الدخول عنوة إلى منزلها ، لكنهم لم يجدوا لها أي أثر .. لكنهم بالتأكيد لم يرتضوا أن يعودوا بخفيّ حنين.. حيث وجدوا ابنها الصغير فأخذوه معهم وأحرقوه !!

فعلوا به ما لم يستطيعوا فعله بأمه الساحرة .. وقال بعضهم إن النيران حينما امتدت إلى الطفل وتعالت صرخاته ، سمعوا صوت صرخة عالية آتية من كل مكان حولهم ، وبدأ كأن السماء قد تحول لونها إلى لون الدم .

لذلك فإن بعض الروايات التي تتناول هذه الأسطورة تقول إن ماري الدموية تظهر عندما تردد كلمات " ماري الدموية ... لقد قتلت ولدك .. "

"Bloody Mary .. I Killed Your Baby" ..

لكن تلك ليست الرواية الوحيدة ..

البعض الآخر يقول إن ماري تلك هي الملكة ماري الأولى ملكة إنجلترا في الفترة من ١٥٥٣ إلى ١٥٥٨ ، والتي يعتبرها البعض من أسوأ السنوات التي مرت بتاريخ

تلك الإمبراطورية ، حيث قيل عن تلك الملكة أنها كانت تستحم في دماء العذارى حتى تحافظ على شبابها الدائم !!..

حسناً .. لا داعى لكل هذا الامتعاض .. فلست أنا من يقول تلك الروايات ..

الرواية الثالثة أن ماري المقصودة هي ماري ملكة إسكتلندا في الفترة ١٥٤٢ – ١٥٧٦ .. وقد كانت تلك الملكة بالفعل مثالاً للحماقة والدموية ، حتى إنها كانت تستمتع بجمع الفلاحين وشنقهم بين فترة وأخرى .. خاصة إذا كانوا أبرياء من أية تهمة ، لأن صرخات الاستغاثة في هذه الحالة تكون أقوى !!..

لقد استحقت بالفعل أن يطلق عليها التاريخ لقب " الملكة القاتلة " ..

أيا كانت الرواية الصحيحة .. وأيا كانت ماري المقصودة .. فإن النتيجة واحدة في النهاية .. الرعب القادم من المرآة .

▪ ▪ ▪

١٢

مدام دي بومباردور

المركيزة اللعوب !!

OOO

كان " دي تورنهايم " الذي سهر على تنشئتها لا يتورع في المباهاة، في كل مكان، رافعاً صوته بقوله: "ألا تجدون أن "السيدة إيتول" هي تحفة جديرة بملك؟ .. ولم تكن أمها لتنقطع عن ترديد القول بأن ابنتها أجمل بكثير من الدوقة دي شاتورد.

وظلت "سيدة إيتول" من خيرة الزوجات في سنوات زواجها الأولى... وكانت تتهرب من جميع المتهافتين على جمالها دون أن تسيء إلى واحد منهم، وفي هذه الفترة من التسابق إلى طلب رضاها، رفعت صوتها في بعض الليالي وقالت بنبرة جديّة لجميع المحيطين بها: "ما من أحد يستطيع أن يلامس قلبي إلا الملك" .

ثم أسرت إلى صديقها "فولتير" بأنها تشعر بميل رهيب إلى الملك لويس الخامس عشر، و لم يدرِ أحد أهي دعابة أم حب وليد أو إلى أين ستقود العواطف هذه المرأة الجميلة ؟!

هذا ما ستدور حوله أحداث تلك القصة التي أخذت مكانها في أرجاء قصر فرساي في عهد الملك لويس الخامس عشر الذي كان قدره قصة عاطفية ظلت أصداؤها تتردد عبر الزمان لتلك الجميلة "سيدة إيتول" والتي أصبحت فيما بعد المركيزة "دي بومبادور".

المركيزة دي بومباردور هذه لطخت شرف الملك لويس الخامس عشر و أفقدته قوة السلطة و عزّته من جبروت القوة .

وكانت مسألة إيقاع الملك المرح العاشق للهو في مصيدتها في غاية السهولة فلا خبرة ولا حنكة و لا إرادة و لا عقل و لا عقلانية في إصدار واتخاذ القرارات .

فالمركيزة دي بومبادور هي التي تصدر وتتخذ القرارات.. وتضع بصمتها الشخصية عليها منذ أن أصبحت عشيقةالملك لويس الخامس عشر عام ١٧٤٤ ولذلك لم يكن غريبا أن تورط فرنسا في حرب السنوات السبع (١٧٥٦ - ١٧٦٣) في ظل طغيان شخصية المركيزة دي بومبادور وحيدا بلا مستشارين بعد أن أدخلت في روعه أن بإمكانه الاستغناء عنهم ، وعن خدماتهم الحكيمة.

ويتفرغ لمهمته الأولى والأخيرة : الاستماع إلى صوت فتنتها و الاستجابة لمتطلبات هواها وغرامها!

يقول الملك لويس الخامس عشر في إحدى رسائله إليها :

" **من الملك إلى العزيزة المركيزة ..**

فرساي في ٢٣ إبريل ١٧٤٥ ..

عزيزتي :

لم تكن هواجسك و شكوكك في محلها ..

فالمسألة التي أرغمتني على التخلف عن لقائك لم تكن متعلقة بابنة عمنا .. كيف جال بخاطرك ..

إن السبب الحقيقي لتخلفي عن اللقاء هو الاجتماع الطارئ لبحث أمور البلاط وتحديد صلاحيات الوزراء .

أطلب منك العودة فورا إلى القصر و، سألقاك غدا مساءً في الساعة العاشرة.

لن أقبل منك أي عذر تلتمسينه و عليك تنفيذ هذا الأمر الملكي " .

المخلص لويس.

بينما تقول المركيزة دي بومبادور في إحدى رسائلها إلى الملك لويس الخامس عشر التي أرسلتها إليه في روما في ١٠ إبريل ١٧٤٧ .

" **أيها الحبيب .. يا مليكي** "

ليس في وسعك أن تعلم مدى شوقي إليك في كل مرة أجرب فيها ألم البعاد ، أشعر بالغربة و الوحدة في هذه الحياة ..

ها أنذا غريبة تائهة حائرة .. أنتظر بفارغ الصبر عودتي إليك ..

كل شيء جميل هنا ، و لكنني لا أرى هذا الجمال لأنك بعيد عني " ..

وتقول في نفس الرسالة :

" أرجو أن تأمروا يا صاحب الجلالة بتحويل ما تبقى من رصيد نفقاتي الخاصة إلى بنك روما لأنني أريد شراء بعض الهدايا من إيطاليا قبل عودتي ، فكل ما كان معي من مال أنفقته و لم يعد في حوزتي إلا النزر اليسير " .

كان بوسعي ألا أزعجك و أطلب هذا الطلب لو قام أمين صندوق البلاط بتلبية طلبي ، فلقد سبق لي أن طلبت منه تحويل رصيدي إلى بنك روما أكثر من ثلاثة أسابيع ، لكنه لم يلب طلبي مما اضطرني إلى إبلاغ صاحب الجلالة بالأمر " .

" أملي ألا يطول غيابي عن البلاط أكثر من شهر أعود بعده إلى فرنسا الحبيبة و إلى ملكي الحبيب " .

و إلى اللقاء يا أعز إنسان على قلبي ..

المركيزة ....

وعندما لعبت المركيزة بذيلها مع صديقها لكونت أوروري ، أرسل إليها لويس الخامس عشر معاتبا بتاريخ ٥ مايو ١٧٤٨ و كانت لا تزال في روما :

" **سيدتي المركيزة :**

سَرني أن تكوني مبتهجة و سعيدة في روما ، و لكن ساءني ما وصلني من أخبار خاصة بتنقلاتك في الملاهي و النوادي الليلية ، و كذلك الإشاعات التي يثور غبارها حول علاقتك بالكونت و هي الإشاعات التي أرفض تصديقها ..

أطلب إليك الاتصال بالقنصل الفرنسي في روما الذي يحمل إليك أوامر ملكية بالعودة إلى باريس ..

حيث كلفته بتأمين متطلباتك و نفقات سفرك أنت و الحاشية المرافقة لك ..

وعلى أمل اللقاء القريب العاجل لك من تحيتي الصادقة وحبي

لويس الخامس عشر

وبعد عودة المركيزة إلى باريس نسي لويس الخامس عشر كل شيء وعادت العاطفة الملتهبة لتحجب عنه إقحام نفسها و حشر أنفها في شؤون الحكم .

ففي رسالة له إليها بتاريخ ٢٧ مارس ١٧٤٩ يقول لويس الخامس عشر للمركيزة:

صدر قرار اليوم بتعيين بول كاتبا أول في البلاط استجابة لرغبتك كما صدر قرار آخر برفع راتب الوصيفة جوسلين على الرغم من عدم ارتياح الملكة (ماري ليزكزنكا) ابنة ملك بولونيا المخلوع التي تزوجها عام ١٧٢٥ و لما تبلغ العشرين من عمرها بعد " والتي كانت تنوي خلعها من الخدمة .

إن هذه الرغبات الصغيرة تزعجني و بإمكانك أيتها الحبيبة الاتصال بالوزير لتحقيقها من الآن فصاعدا حيث أبلغت الوزير بالاستجابة و تنفيذ طلباتك ممكنة التحقيق ..

وبناء عليه فليس من الضروري أن تطلبي إنجاز أية خدمة من هذا النوع مني شخصيا " .

وبتحليل هذه الرسائل يتضح أن المركيزة قد سلبت الملك لويس الخامس عشر سلطته الحقيقية و أنها كانت الحاكمة الحقيقية حوالي عشرين عاما قضتها مع الملك في قصر فرساي إلى أن ماتت عام ١٧٦٣.

و تكررت حكايتها بعد ذلك بثلاث سنوات أي عام ١٧٦٦ عندما وقع لويس الخامس عشر - و كان قد بلغ السادسة والخمسين من العمر - في هوى غانية أخرى هي "جان فوبرنيه " التي كانت عشيقة الكونت جان دي باري الذي كان يتردد على قصر فرساي أي أن الملك لويس الخامس عشر (خطف) عشيقة الكونت لتصبح خليلته حيث أسكنها قصرا صغيرا جميلا في " كومبيبان "

فلما توفيت الملكة ماري ليزكزنكا في يونيو ١٧٦٨ ، نقل الملك لويس الخامس عشر عشيقته الجديدة ، وزوجها زواجا شكليا من الكونت غليوم دي باري نسيب عشيقها السابق جان دي باري ، وبعد الزواج الصوري أقصى الملك العريس إلى مدينة تولوز و ولاه منصبا رفيعا ليخلو له الجو و لعشيقته .

و كان الملك لويس الخامس عشر يكتب إليها الرسائل أثناء إقامتها في قصر " كومبيبان " معبرا عن أشواقه العارمة و أمله في انتقالها لتكون بالقرب منه في قصر فرساي .

و في إحدى هذه الرسائل التي كتبها في ١٧ فبراير ١٧٦٧ يقول لها : " كم أتمنى أن أكون مثل أي فرنسي أستطيع أن أخرج في الساعة التي أشاء وأن أسير في الشوارع و الطرقات كما أشاء و أتصرف حسبما أشاء .

كم هو مرهق هذا العرش يا جان، قبل أن أعرفك كانت التعاسة تحفر جراحها في قلبي ، و كان الحزن ينشب أظافره في نفسي و بعد أن عرفتك زايلني الحزن ، وبعثرت أشلاء الألم بعيدا عن قلبي .

لقد كنتِ و لا تزالين النور الذي يملأ حنايا قلب الملك يا جان ..

أرجو لك السعادة

واسلمي للمخلص ... لويس "

نفس الأسطوانة ، نفس العزف والآلة واحدة ، والوتر هو نفس الوتر النفس الغاوية التي تنجرف إلى حضيض الشهوة و الطاغية في كل حالة ، أمره في غاية الغرابة، طاووس منفوخ له قبضة فولاذية حين يتعامل مع الرعية ، و ذبابة أو أقل من ذبابة حين يدخل مصيدة العشيقة .. و العشيقة هي اللعنة و هي الجحيم في كل العصور.

▪▪▪

١٣

نازلي صبري ..

الملكةُ الكارثةُ !!

OOO

ربما لم يشهد تاريخ الشرق ملكة أسوأ من ملكة مصر نازلي أم الملك فاروق ملك مصر الراحل .. فقد كانت هذه الملكة معول هدم لعائلتها ، جلبت على ابنها الملك وبناتها العار ، و لم تكتف بحمل لقب الملكة اللعوب ، بفعل علاقاتها الفاضحة، وإنما تسببت في كارثة للعائلة عندما اتخذت من موظف بسيط بالخارجية أعجبها عشيقا ثم قربته من ابنتها الأميرة حتى تزوجها ، ثم قتل زوجته في النهاية و انتحر.. هل هناك أسوأ من هذا !؟

الملكة نازلي ملكة مصر.(٢٥ يونيو ١٨٩٤ - ٢ يونيو ١٩٧٨) هى الزوجة الثانية للملك فؤاد الأول بعد طلاقه من زوجته الأولى الأميرة شويكار.

هي ابنة عبد الرحيم باشا صبري الذي كان مديرا لمديرية المنوفية ثم عين بعد زواجها من الملك فؤاد وزيرا للزراعة، وتوفيقة هانم ابنة شريف باشا رئيس وزراء مصر الأسبق و أبو الدستور المصري وجدها لأمها سليمان باشا الفرنساوي الذي جاء لمصر مع الحملة الفرنسية ولكنه رفض الرحيل ومكث بمصر وأشهر اسلامه.

عندما تولي فاروق عرش مصر في سن صغيرة، فقد نودي به ملكا في ٢٩ يوليو ١٩٣٧ بعد أن تم حساب عمره بالتقويم الهجري بناء على فتوى من الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر، كان في هذه السن الصغيرة في حاجة إلى من يلهمه سداد الرأي، وحسن السياسة وهذا ما لم يحدث.

كان من الممكن لفاروق أن تسير به سفينة الحياة في طريق أكثر أمنا وآمانا، خاصة أنه كان شابا وسيما صغير السن، محبوبا من الشعب، ولكن حاشيته أخذته بعيدا عن نبض الشارع المصري، فلم تراع إلا مصالحها وطموحاتها الشخصية.

وكانت أمه الملكة نازلي أحد الأسباب في تصدع الملكية في مصر وسقوطها بعد ذلك فهي لم تكن حريصة على عرش ابنها ومستقبله بقدر حرصها على الانطلاق، وتحقيق ما تصبو إليه، وأن تعيش حياتها بعيدا عن قيود القصور، وتعوض الأيام التي عاشتها في كنف زوجها الملك فؤاد حيث كانت لاتحب القيود حتى لو كانت من ذهب وها نحن نرى محمد التابعي يصور حياتها عندما ذهبت إلى باريس في صحبة الملك الشاب، حيث بدأت تسير على ما تشتهي.

وقد بدت على جلالتها أعراض التصابي فقد انطلقت تزور صالونات التجميل وصبغ الشعر، وتجرب كل يومين تقريبا صبغة جديدة، ولونا جديدا لشعرها: الذي بدأت تظهر فيه شعرات بيضاء!

و بدأ عشيقها أحمد حسنين باشا يقتصد إلى حد ما في (إخلاصه وتفانيه) في خدمة الملكة نازلي والسير في ركابها فقد كان كان يخشى افتضاح علاقته بالملكة أمام ابنها ملك مصر فاروق !

وقد يكون حسنين قد رأى أن الوقت قد حان لكي ينتقل من الفصل الأول إلى الفصل الثاني، أي من إظهار الحب والتفاني إلى إظهار بعض التحفظ والبرود ، وهي السياسة التي كان يعرف عن حسنين أنه يجيد تطبيقها كل الإجادة مع هذا الصنف من النساء اللاتي جاوزن مرحلة الشباب واخذن في استقبال شمس المغيب؟

ومهما يكن من شيء.. فقد نجح أحمد حسنين في أن يجعل من نازلي رهن إشارة من إصبعه، حتي إنه طلق زوجته وأم أولاده حتي يحقق أهدافه في السيطرة على الملك والقصر من خلال حب الملكة نازلي له..

والتي انتهت على كل حال بزواجه الوفي منها، وبعلم الملك، ومباركته هذا الزواج على مضض، لأنه أراد أن يستريح من رعونتها وعدم قدرتهما على فهم واقع العرش الذي يعتليه ابنها فاروق، الذي كان في حاجة إلى من يقف بجانبه، ويرشده إلى ما فيه نفعه ونفع الوطن..

ولكن لم يجد هذا المرشد الأمين، فقد كان حسنين يكره هو الآخر حزب الأغلبية (الوفد)..

وأن هذا يعني اصطدام الملك بالدستور، فالملك وقد ورث كراهية الوفد عن أبيه كان لابد أن يصطدم بهذا الحزب الذي يمثل الأغلبية.. وبالتالي فإنه لن يتيح له فرصة الانفراد بالحكم لمدد طويلة.. وهذا ما يجعل الصدام حتميا.

ولم تكن الملكة نازلي وحدها هي التي نغصت حياة فاروق، وهزت شخصيته، بل أنه لم ينجح في زواجه من صافيناز ذوالفقار (الملكة فريدة) والتي أنجبت له

الأميرات فريال وفوزية وفادية ربما لأنها لم تنجب له وليا للعهد كما كان يتمنى ويرغب، وكانت بينها وبين أمه نازلي مشاكسات، وانتهى هذا الزواج بالطلاق.

والعجيب أنه كان لايريدها أن تتزوج من آخر بعد الطلاق، وأراد من شيخ الأزهر الشيخ مصطفي المراغي، أن يصدر فتوى بذلك، ولكن الرجل رفض ذلك لأنه يخالف شرع الله.

وقال كلمته الشهيرة:

أما الطلاق فلا أرضاه، وأما التحريم بالزواج فلا أملكه.. إن المراغي لايستطيع أن يحرم ما أحل الله.

وقد تزوج الملك بعد ذلك ناريمان صادق، وكانت في السادسة عشرة، وقد أنجبت له ولي العهد الأمير أحمد فؤاد، الذي تولى العرش وهو لم يتجاوز الستة أشهر بعد أن تكونت لجنة وصاية برئاسة الأمير محمد عبدالمنعم بعد تنازل فاروق عن العرش عقب قيام ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢.

ولاشك أن شخصية الملك فاروق الذي لم يتعلم من الأحداث، وترك نفسه عجينة هينة في يد أحمد حسنين يشكلها كيف يشاء، ودور أحمد حسنين ما كان يأخذ كل هذه القوة لولا ارتباط الملكة العاطفي به، وعدم تقديرها هي الأخرى لحساسية العرش، وأهمية الحفاظ عليه ولكن طيشها دفعها أن تقوم بما لاينبغي أن تقوم به.

وقد تهدلت نازلي ملكة مصر وتهتكت في حب حسنين ولم تخجل من أن تعلن حبها له أمام رجال القصر، ثم أمام ابنها الملك فاروق، ونسيت مقامها كملكة وأرملة ملك وأم ملك ونسيت حرمة سنها وقد تجاوزت الأربعين!

وكانت الصدمة النفسية قاسية عنيفة على فاروق الذي كان يومئذ في الثامنة عشرة من عمره، وكان فاروق يحب أمه، ولم يكن يفوق حبه سوى احترامه لها.

كانت نازلي تناديه أمام الحاشية وأمامنا: فاروق!وكان هو يناديها دائما: ماجستيه.

أي صاحبة الجلالة . وكان فاروق يخشاها ويتقي غضبها ويعمل لها حسابا. وكانت كلمتها عنده لاترد.

وكثيرا ما سمعتها أثناء رحلتنا إلى سويسرا وفرنسا وانجلترا تنهاه أمامنا علنا عن قيادة سيارته بنفسه، أو تنهره وتطلب منه أن يترك سيارته ويركب معها في سيارتها، لأنها كانت تخاف عليه من تهوره في قيادة السيارات بسرعة جنونية.

وكان فاروق دائما يخضع ويطيعها.. ولايرى غضاضة أو بأسا وهو الملك في أن ينزل على إرادتها مثل أي طفل صغير!

هكذا كان مقدار حب فاروق واحترامه لأمه نازلي. ثم ها هي تذله وتنتهك في حب موظف من موظفي القصر! ولاتخجل من أن تعلن أمام موظفي القصر أنها عاشقة ملهوفة على أحمد حسنين!

بل ولاتخجل من أن تصارحه وهو ابنها الملك بأنها تحب هذا الموظف أحمد حسنين، وأنها قدمت نفسها له، لكنه يرفض، فتصرخ وتصيح أنها من لحم ودم! وتطلب من ابنها أن يزوجها من حسنين.

كانت صدمة قاسية لفاروق. تهاوت المثل العليا التي كان يراها في أمه صاحبة الجلالة.

وكانت مثلا عليا أخرى قد تهاوت، وتحطمت في نفس الوقت تحت أقدام فاروق، وزعماء البلاد الكبار وشيوخها وساستها الكبار!

رآهم فاروق واحدا بعد الآخر، ينحنون فوق يده ويقبلونها وينسحبون من حضرته الملكية العليا وهم يمشون بظهورهم إلى الوراء.

وسمعهم واحدا بعد واحد يقولون له. إنهم جاءوا ليلتمسوا منه: توجيهاته السامية وإرشاداته الغالية.

وقرأ لهم جميعا في الصحف تصريحات أدلوا بها قالوا فيها إنهم تشرفوا بمقابلته ليتلقوا نصائحه الغالية وإرشاداته الحكيمة ولم يكن فاروق غبيا!

وكان يعرف أنه لم ينل من العلم إلا قليلا وأنه جاهل ونصف أمي.وأن تغنى هؤلاء الساسة والزعماء الكبار بحكمته ونصائحه ليس سوى نفاق ورياء وأن كل ما يسعون إليه هو الحكم وكراسي الحكم!

وهكذا نرى كيف تفسخت شخصية فاروق.. وكيف بدأ يأخذ طريقه نحو المنحدر؟!

وكيف عجز تماما عن كبح جماح أمه!!

وكيف سار في طريقه لايهاب شيئا ولا يضيره أن يدير ظهره للدستور، والأعراف وأخذت سلوكياته تبعده عن الشعب.

كما ظلت الملكة نازلي تسير وفق أهوائها، وتركت مصر عام ١٩٤٦، وسافرت مع ابنتها فتحية إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث ارتبطت فتحية بقصة حب مع رياض غالي الذي كانت نازلي قد اتخذته في البداية عشيقا لها و قربته منها و من ابنتها فتحية التي تزوجته و كانت نهايتها على يديه !

لقد أحبت نازلي أحمد حسنين حبا كبيرا و كان زواجهما بعقد عرفي و انتهي هذا الزواج بمقتل أحمد حسنين على كبري قصر النيل على يد سائق إنجليزي مخمور عام ١٩٤٦.

قررت الملكة نازلي الرحيل عن مصر العام ١٩٤٦ فجمعت ما تسنى لها من الأموال في سرية تامة و أذن لها الملك فاروق بالسفر إلى فرنسا بحجة العلاج من

مرض الكُلَى و بالفعل سافرت إلى سوسرا و منها إلى فرنسا و استقرت فيها للعلاج عدة أسابيع و لكن حاتها لم تتحسن و سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية أيضا للعلاج و اصطحبت معهاابنتيها فايقه وفتحية و كل من كانوا معها في فرنسا بما فيهم موظف علاقات عامه صغير الشأن اسمه رياض غالي .

وكان الملك فاروق قد تلقى تقارير من بعض أصدقائه في الولايات المتحدة أن رياض غالي كان على علاقة مع الملكة نازلي نفسها، وأن تلك العلاقة هي التي مهدت له الاختلاط بـ "فتحية" .

ووصلت سيطرة رياض غالي على الملكة نازلي إلى حد أنها قالت إنها إذا أرادت أن تختار بين صداقتها لرياض غالي وأمومتها لفاروق فإنها تختار صداقة رياض غالي، لأن فاروقا أثبت في كل مناسبة أنه ولدٌ عاق، أما رياض فقد أثبت أنه ولدٌ مخلص.

ولم يكن رياض غالي يحلم بنازلي ولكن كان يحلم بفتحية، ولكنه كان يعلم أنه لن ينال قلب فتحية إلا برضاء نازلي، بكل ما تعنيه الكلمة، وبكل ما توحي به. وقد كانت فتحية ابنة السادسة عشرة من العمر ترى فيه فارساً من فرسان القصص والروايات الغرامية.

وقيل إن هذا الفارس عثر لفتحية على مشبك من الألماس كان قد سقط منها في أحد المسارح، وبهذا المشبك شبك قلبها.. إلاً أن مجلة "تايم" الأميركية (بتاريخ ٢ يوليو عام ١٩٤٧) نشرت خبرا مفاده أن الملكة نازلي كانت في زيارة إلى مانهاتن مع ابنتيها فتحية وفائقة حين قررن حضور أحد عروض برودواي، وأن فتحية فقدت مشبك صدر يضم ٣٦ ألماسة و ٢٥ قطعة سفير. وأضافت "تايم" أن فتحية استعادت المشبك الثمين في اليوم التالي، ومنحت المرأة التي عثرت عليه مكافأة قدرها ١٠٠ دولار.

وزاد إعجاب فتحية بالشاب رياض عندما وجدته يشتري مسدساً سريع الطلقات؛ ليحميها ويحمي الملكة الأم، ولم يخطر على بالها أن هذا المسدس هو الذي ستُقتَلُ به، وأن الخطر الحقيقي سيكون أقرب إليها مما تتصور .

بدأ رياض غالي يسهر مع فتحية بموافقة الملكة نازلي..وسرعان ما نقل السفير المصري في الولايات المتحدة إلى الملك فاروق أنه رأى الأميرة فتحية وهي في مشهدٍ غرامي مع رياض غالي في ملهى ليلي. استشاط فاروق غضباً فقال للسفير: "يا نهار أسود.. إذا لم تعد غالي هذا فسوف أقتلك"

غير أن محاولات السفير مع غالي باءت بالفشل، فطلب فاروق من رئيس الوزراء مصطفى النحاس الاتصال هاتفياً بالملكة نازلي في الولايات المتحدة لمنعها من تزويج فتحية من غالي، ولكن الملكة العنيدة قالت للنحاس: "أظن أن موضوع زواج ابنتي ليس من اختصاص رئيس الوزراء. قل للملك فاروق إننا لن نعود والبنت حأجوزها لرياض لأنه بيحبها وبتحبه"..ثم أغلقت السماعة في وجه رئيس الوزراء.

طار عقل فاروق وأرسل إلى أمه يحذرها من إتمام مشروعها الخاص بزواج شقيقته وطلب سرعة عودتها، لكنها أصرت على موقفها. كما فشلت محاولة فاروق خطف فتحية من الولايات المتحدة، فوجه طلباً رسمياً إلى الولايات المتحدة لطرد أمه وشقيقته، غير أن نازلي هددت بنشر هذه الفضائح على صفحات الصحف الأميركية. ورفضت نازلي كل المساعي الرامية إلى منع إتمام هذا الزواج، مثلما رفضت مساعي حسن يوسف باشا رئيس الديوان الملكي بالإنابة، وردت طلب شقيقها الذي سعى إليها في الولايات المتحدة لإقناعها برفض هذا الزواج وعاد من هناك يجر أذيال الخيبة .

وأغلب الظن أن إجلاء نازلي عن الولايات المتحدة كان أصعب من إجلاء الإنجليز عن مصر .

وفي لحظة تفككٍ وتشرذم، تحولت العائلة الملكية إلى كتيبة إعدام شديدة القسوة.. فقد انهالت الطعنات على النظام الملكي من الداخل، ولم يكنْ المغامر رياض غالي سوى ريحٍ هبت على العائلة الملكية فإذا بها تقتلع معها جذور الروابط العائلية الممزقة .. ولم يجد فاروق أمامه سوى إعلان الحرب.. على الملكة الأم .

لقد جاء الخبر من كاليفورنيا ليهز أركان العرش في مصر.. خرجت الملكة الأم للصحفيين لتهاجم "رجعية" الشعب المصري و"تخلف"ابنها.. وأكدت"أنها اختبرت زوج ابنتها وعرفت عمق حبه لها".. فهو "جنتلمان" لا "دونجوان".. وهو"رجل"بمعنى الكلمة تثق في أنه سيحافظ على شرفها وشرف عائلتها.

في ذلك اليوم الذي وصفه فاروق بأنه أسود وأسود يوم في حياته أصيب بالسكر والضغط وتعرض لأول أزمة قلبية.. وبعد أن اعتكف عدة أيام في جناحه خرج ليتخذ أصعب قرار في حياته.. دعوة مجلس البلاط لاتخاذ قرار بتجريد أمه وشقيقته من ألقابهما الملكية وحرمانهما من مخصصاتهما المالية.. ويعترف رئيس الديوان حسن يوسف بأن "جلالته" أرسل برقية مطولة إلى أمه.. خاطبها فيه بلغة الابن لا بلغة الملك ووصف نفسه فيها بأنه"رجلها الوحيد"الذي يشعر بمدى الخطأ الذى ارتكبته في حق نفسها وعرشها ووطنها ودينها". إن قلبي يا أمي جرح ولن يضمده أحد سواك".."لقد كسرني تصرفك وأشعرني بالعجز عن رفع عيني في وجه أصغر خادم في حاشيتي".."لا شيء أصعب من ضربة أخلاقية توجهها أم لابنها".."إنها ضربة قاضية تجهز عليه".

لم تكن القضية قضية مسلم أو مسيحي أو قضية مواطن عادي تجرأ واقترن بالدم الملكي الأزرق وإنما قضية صائد نساء بارع نجح في السيطرة على العائلة الحاكمة في مصر وساهم في تدميرها.

لقد كان رياض غالي موظفا في وزارة الخارجية يخدم في سفارتنا بسويسرا عندما رافق الملكة نازلي ليحمل عنها مشترواتها من الأسواق.. وفي ملف خدمته:

تبديد سيارة وتعاطي هيروين.. لكنه.. لفت نظر الملكة إليه بوسامته ونعوميته وقدرته على فهم النساء.. واستسلمت الملكة المحرومة إليه.. وعرف بسهولة أن الجنس والخرافة هما نقطتا ضعفها.. فتسلل منهما إليها.. بل أكثر من ذلك جعلها تشاركه حفلات الشم. كانت نازلي قد عرفت بولعها الشديد بالسحر والشعوذة.. وفي كل بلد كانت تزوره لم تكن لتتردد في زيارة الدجالين.. أو دعوتهم إلى القاهرة. . وقد سيطر رياض غالي على نازلي بالجنس والمورفين والمشعوذين ثم تزوج ابنتها.

وانقسم الشارع المصري في ذلك الوقت بسبب زواج فتحية ورياض غالي إلى فريقين.. فريق يرفضه ويعتبره خروجا عن التقاليد المصرية والشريعة الإسلامية ويرى أنه لا يزيد على زواج متعة بين أميرة طائشة ورجل يدمن الشهرة والأفيون.. وفريق يتحمس للزواج ويرى في رياض غالي محبا وعاشقا مظلوما وقفت الظروف كلها ضده ولم يكن أمامه سوى الهرب من دينه ووطنه ليتزوج من حبيبته.

وانتقلت متاعب الزواج المختلط دينيا من القصر إلى الشارع وفجرت قضايا طائفية كانت مكتومة ومسكوتا عنها.. لكنها سرعان ما تحولت إلى قنابل لهب تهدد الوحدة الوطنية وتثير النعرات الدينية.

لقد حاول رياض غالي تصوير اعتراض القصر على زواجه من الأميرة فتحية بأنه اعتراض طائفي لا اعتراض سياسي وفي ظل مجتمع كان مضطربا ونظام كان يتأرجح نفعت حيلته وقفزت إلى السطح حكايات الزواج الديني المختلط وانقسم الجميع حولها.. ثم تحول الانقسام إلى خلاف.

و إزاء تشبث الملكة نازلي بموقفها من العودة إلى مصر ومن زواج الأميرة فتحية من رياض غالي، أصدر الملك أمراً بحرمان أمه من لقب "الملكة" وشقيقتيه من لقب الإمارة، وطلب عقد مجلس البلاط وهو مجلس يضم عدداً من القانونيين ومن بعض الأمراء للنظر في القضايا والخلافات التي تقوم بين أفراد الأسرة المالكة.

طلب فاروق من المجلس الحجر على أمه والحجز على أموالها هي وشقيقتيه وتعيين ناظر الخاصة الملكية حارساً عليها .

وفيما يلي نص الرسالة التي عرضها الديوان الملكي على مجلس البلاط في ١٢ مايو أيار عام ١٩٥٠:

"جمع ديوان حضرة صاحب الجلالة الملك جميع المستندات التي تقوم مقام أدلة الإثبات في القضايا العادلة، وهي عبارة عن التحريات الخاصة التي قامت بها السفارة المصرية في الولايات المتحدة، في ما يتعلق بشخصية رياض غالي (أفندي)، والكيفية التي تعرف بها على جلالة الملكة نازلي وسمو الأميرتين منذ سنة ١٩٤٦، والطرق التي كان يستغل بها أموالهن، مع بيان الوسيلة التي كان يفرض بها نفسه عليهن، والتقارير التي تلقاها ديوان جلالة الملك من مختلف الجهات عن هذه المسألة، وفيها بيان شامل للمساعي التي قامت بها الحكومة المصرية والسفارة المصرية في الولايات المتحدة.

وقد تفضل جلالة الملك مبالغة من جلالته في العناية بهذه المسألة، فأعد مذكرة مستفيضة تتألف من صفحتين من الحجم الكبير وقعها باسمه الكريم، جاء في مستهلها:

"رأى المغفور له جلالة والدنا الملك فؤاد الأول وضع نظام للأسرة المالكة، فأصدر بذلك القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٢، وقد راعى بثاقب فكره في وضع هذا النظام أن الأسرة المالكة ركن من أركان الدولة لما بينها وبين الجالس على العرش من أواصر القرابة، وهي من جهة أخرى أكبر الأسر وأكرمها، والمثال الذي يُحتذى به في ضبط النفس وكمال السلوك، واعتبر بحُسن تقديره أن مسائل الأحوال الشخصية مسائل عائلية محضة، وأن كرامة الأسرة ومركزها في البلاد يقضيان بأن لا تتعرض مثل هذه المسائل الشخصية لأحاديث الناس، ولذلك فقد أراد والدنا إنشاء مجلس للبلاط وأن يصبح هذا المجلس فوق ما له من اختصاص قضائي،

هيئة استشارية في الأمور المهمة التي تهم الأسرة المالكة عندما يطلب إليها الرأي فيها" .

وانتقلت مذكرة المقام السامي إلى أن ظروفاً قد طرأت على جانب كبير من الأهمية والخطورة وتقتضي العرض على المجلس، إذ إن جلالة والدتنا الملكة قد سافرت إلى الخارج في صيف سنة ١٩٤٦ للعلاج، وقد اصطحبت معها شقيقتينا الأميرتين فائقة وفتحية، وأنهن يقمن الآن في أميركا، ونظراً إلى طول مدة إقامتهن بعيداً عن مصر وعنا، وإلى صغر سن شقيقتينا الأميرتين، وما عليه جلالة الملكة من حالة مرضية ونفسية قد وقعن تحت تأثير بعض المتصلين بهن، وقد دعوتهن مراراً بعد إتمام العلاج للعودة إلى مصر، فلم تقبلن، حتى كان من نتيجة ذلك زواج الأميرة فائقة في أميركا قبل الحصول على موافقتنا، وكان من نتيجة ذلك أيضا أن اعتزمت جلالة الملكة الوالدة أن تُزَوِّج شقيقتنا الأميرة فتحية التي لم تبلغ سن الرشد بعد ولا تزال تحت الوصاية إلى الآن بمن يُدعى رياض غالي المسيحي الذي دَلَّتْ التحريات على سوء سيرته.

ولما عَلِمْنا بما اعتزمته جلالة الملكة الوالدة، بذلنا جميع المساعي الممكنة لمنع هذا الزواج قبل وقوعه، وهي مساعٍ عديدة كانت لدى جلالة الملكة الوالدة ولدى الأميرة فتحية نفسها، وقد قدمت لُهما فيها النصيحة تلو النصيحة بوجوب المحافظة على كرامة الأسرة المالكة.

وقد ساهمت الحكومة كما ساهم سفيرنا في أميركا بنصيب موفور في هذه المساعي، ولكنها كلها مع الأسف الشديد، لم تؤد إلى النتيجة المرجوة. وقد أبلغ سفيرنا في أميركا ديواننا تفصيلات مسعاه التي لم تزد جلالة الملكة إلا إصراراً على تنفيذ ما اعتزمته، وقد كانت تصرح في كل مرة، وعند أي مسعى، بأنه لا يهمها ولا يضيرها أن يكون من يصاهرها من عائلة مالكة أو ممن يُقال أنهم من عائلات عريقة، وكانت تُزيد على ذلك فتذكر بأنها لا تبالي بما ينشب عن هذا الزواج من نتائج وعواقب مهما يكن نوعها.

وقد أوضح جلالة الملك أن جلالته قد أرسل إلى جلالة الملكة الوالدة برقية مُطوَّلة مستفيضة يوضح فيها ما يساور جلالته من الألم المرير، ويناشدها أن تكف عن هذا الزواج، ويدعوها أن تقدر ما قد ينشأ عن إصرارها على ما اعتزمته من العواقب الوخيمة السيئة، ولكنها أصرت على موقفها، وردت على جلالته ببرقية قالت فيها "إن عاطفة الأمومة لديها مقدمة على كل اعتبار"، حتى وقعت المأساة مع الأسف البالغ، فتم الزواج مدنياً في يوم ١٠ من شهر مايو الحاضر.

وقد اشتملت هذه المذكرة السامية الكريمة على بيان تفصيلي بالمبالغ التي أُرسِلت إلى جلالة الملكة نازلي والأميرتين في الفترة الواقعة من صيف سنة ١٩٤٦ حتى الآن، وهي تبلغ في مجموعها نحو أربعمئة وثلاثة وثمانين ألف جنيه.

وقد تبين من المعلومات الرسمية التي وصلت إلى ديوان جلالة الملك من مختلف المصادر أن رياض غالي (أفندي) قد استولى على نحو أربعين ألف جنيه من هذه المبالغ .. وقد ختم جلالته هذه المذكرة الكريمة بقوله: "لهذا كله أود أن نقف على ما يشير به المجلس من إجراءات نحو هذا الزواج، وما يَصِح أن يُتَّبَع نحو جلالة الملكة".

لكن الأميرة فائقة استطاعت بعد ذلك أن تحصل على عفو أخيها، فعادت إلى مصر مع فؤاد صادق تضع نفسها ومعها زوجها تحت أمر الملك ومجلس البلاط، في حين بقيت نازلي مع فتحية صغرى بناتها في الولايات المتحدة.

وفيما يلي نص المذكرة التي قدمها رئيس الديوان الملكي حسن يوسف (باشا) بالإنابة إلى مجلس البلاط بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٥١ بطلب الحجر على الملكة نازلي وفتحية، والإشارة بالعفو عن الأميرة فائقة:

"وصل إلى ديوان جلالة الملك أن زواجاً مدنياً عُقد في أميركا بين حضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة فتحية ورياض غالي المصري الجنسية المسيحي

الديانة، وبما أن هذا الزواج باطل شرعاً، إذ إن الشريعة الإسلامية لا تُجيز لمسلمة أن تتزوج من غير مسلم، فضلا عن عدم توافر شرط الكفاءة بينهما على افتراض أنه اعتنق الدين الإسلامي كما يزعُم. لذلك يطلب ديوان جلالة الملك الحكم ببطلان هذا الزواج.

وقد تقدم محمد نجيب سالم (باشا) ناظر خاصة جلالة الملك وجلالة الملكة نازلي بطلب النظر في الطلب المرفوع بتوقيع الحجر على جلالتها، وتعيين قيم عليها، وبعزلها من الوصاية على كريمتها فتحية هانم، وإقامة وصي آخر بدلا منها، وقد أعلنت بالتوقيع منها بالاستلام .

وقد وقع رفع مذكرة مجلس البلاط من سعادة محمد نجيب سالم (باشا) في هذا الصدد ما يأتي:

بناء على الأمر السامي الكريم، يتشرف ناظر خاصة جلالة الملك بأن يطلب إلى المجلس الموقر:

أولاً: توقيع الحجر على حضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلي وتعيين قيم على جلالتها.

ثانياً: عزل جلالتها من الوصاية على كريمتها فتحية هانم. وذلك للأسباب الموضحة بالطلب المؤرخ ١٢ مايو سنة ١٩٥٠، والمستندات المُرفقة به .

وبناءً عليه يتقدم حضرة صاحب السعادة محمد حسن يوسف (باشا) إلى المجلس بوصف كونه "كاتم سر مجلس بلاط الملك" يطلب النظر في الموضوعين الآتيين:

أولاً: إجازة صدور التصادق على زواج حضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة فائقة من صاحب العزة فؤاد صادق (بك) أمام فضيلة وكيل الجامع الأزهر نيابة عن مجلس البلاط، والإذن بتسجيله في سجلات المجلس (وكان ذلك الزواج قد تم فعلاً وقضى العروسان شهر العسل في جزر هاواي)

ثانياً : تعديل قرار المجلس الصادر في ٢٠ مارس سنة ١٩٤٥ الخاص بإنابة شيخ الجامع الأزهر عن المجلس في سماع إشهادات الزواج الخاصة بأمراء وأميرات ونبلاء ونبيلات الأسرة المالكة بإضافة نص يبين العضو الشرعي الذي يحل محل شيخ الجامع الأزهر عند غيابه، وذلك حسبما يراه المجلس في هذا الشأن

وهذا وأتشرف بأن أرفع إلى المجلس الموقر أن حضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة فائقة شقيقة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم قد استجابت لرغبة المجلس التي أبداها في ١٦ مايو سنة ١٩٥٠ ، بشأن عودة سموها من أميركا، فعادت فعلاً إلى القاهرة في ٢١ مايو سنة ١٩٥٠ .

وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم، فأَذِنَ بالتصادق على عقد زواج سموها من صاحب العزة فؤاد صادق (بك) الصادر بينهما في أبريل سنة ١٩٥٠ وفقا لأحكام الشريعة الغراء لدى إمام مسجد ساكرامنتو بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الأميركية. كما تعطف حفظه الله بقبول الوكالة عن سموها في إقرار التصادق والإقرار بقبض المهر. وبناء على هذا الإذن السامي الكريم صدر هذا التصادق في ٤ يونيو سنة ١٩٥٠ بقصر القبة العامر لدى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الجامع الأزهر نيابة عن مجلس البلاط، على اعتبار أن فضيلته يحل محل الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وفقاً للمادة الأولى من القانون رقم ٤ لسنة ١٩٤٨ ، وعلى أن شيخ الجامع هو النائب عن مجلس البلاط في سماع شهادات الزواج الخاصة بأمراء وأميرات ونبلاء ونبيلات الأسرة المالكة بناء على قرار المجلس الصادر في ٢٠ مارس سنة ١٩٤٥

وبمناسبة ما أُثير حول هذه الإنابة في سماع الإشهاد الخاص بالتصادق سالف الذكر، أرجو من المجلس الموقر التفضل بما يأتي:

أولاً : إجازة صدور التصادق المذكور أمام وكيل الجامع الأزهر نيابة عن مجلس البلاط، والإذن باتخاذ اللازم نحو تسجيله في سجلات المجلس، وذلك منعا لكل شبهة في صدور الإشهاد أمام جهة غير مختصة .

ثانياً : تعديل القرار الصادر في ٢٠ مارس سنة ١٩٤٥ بإنابة شيخ الجامع الأزهر عن المجلس في سماع إشهادات الزواج الخاصة بالأمراء والأميرات والنبلاء والنبيلات، وإضافة نص الإنابة الذي يحل عن شيخ الجامع الأزهر عند غيابه حسبما يراه المجلس الموقر في هذا الشأن .

صدمت نازلي بقرار حرمانها من مخصصاتها الملكية فراحت هي وابنتها تبيع مجوهراتها لتأكل وتنفق على رجل لم يتعود العمل.. فلم تجد فتحية مفرا من أن تبحث عن مهنة تطعمها هي وأمها وتجلب الهيروين لزوجها.. لكنها مع الأسف لم تكن تجيد شيئا سوى أنها أميرة.. وهي ليست وظيفة مطلوبة.. فتنازلت درجة وعملت موظفة استقبال في فندق خمس نجوم.. ثم تنازلت درجتين وعملت موظفة إدارية في فندق ثلاث نجوم.. ثم تنازلت خمس درجات وعملت بارميد في بار صغير.. ثم تنازلت عشر درجات وعملت خادمة في مطعم.. تغسل وتكنس وتنظف الصحون.

لم يتحرك رياض غالي من مكانه وحاول أن يكسب رزقه من لعب القمار وترويج المخدرات لكنه لم ينجح حتى في ذلك.. فلم يجد أمامه سوي زوجته المسكينة يسرق منها ما تدخره من دولارات قليلة كي تشتري بها ثيابا شتوية لها ولأمها.. ولم يتردد في أن يضربها ويعاملها بقسوة حتى يحصل منها على ما يريد.

وأرسلت نازلي خطابات إلى ملوك عرب مختلفين تطلب منهم إعانة تعيش عليها وتلقت أموالا مناسبة من التسول دخلت بها في مشروعات تجارية مع شاب أحبته فاستولى عليها ولم تستول عليه.

وفي تلك اللحظة وقع خلافٌ وشجار وصراع، انتهي بدماء سالت و أرواح زهقت ، و جريمة مروعة تحولت إلى قضيةٍ ذات أبعاد سياسية شغلت العالم !!

فقد أطلق رياض غالي النار على زوجته ثم أطلق النار على نفسه ليسدل الستار على قصة حب لم يكن من الممكن أن تستمر.

ومن المُحزن أن الملكة نازلي كانت لا تزال على قيد الحياة حين أقدم رياض على قتل فتحية، وقد سارت في جنازة ابنتها تتوكأ على عصا . و بقيت نازلي في لوس أنجليس حتى توفيت هناك في ٢٩ مايو عام ١٩٧٨ .

■■■

١٤

أولريكه ماينهوف ..

أكبر زعيمة إرهابية !!

ooo

في عام ٢٠٠٢ ، أعلنت جامعة ألمانية قامت بإجراء بحوث على مخ زعيمة لجماعة "الجيش الأحمر" الإرهابية أولريك ماينهوف عزمها الالتزام بقرار تسليم بقايا المخ إلى مدعي عام شتوتغارت.

وقال المتحدث باسم مدعي عام شتوتغارت إنه سيتم تسليم المخ إلى ابنة ماينهوف بعد تأكد الجهات المختصة بعدم وجود عينات أخرى من المخ لدى جهات أخرى.

وكشفت بتينا روويل، إحدى بنات الإرهابية التوأم في مقاله نشر في صحيفة ألمانية عن احتفاظ إحدى الجامعات، وبصورة سرية، بمخ أمها، التي انتحرت في السجن عام ١٩٧٦. وطالبت روويل باسترداد العضو لإكمال مراسم دفن أمها بصورة لائقة.

وتخطط روويل للقيام بمراسم دفن هادئة بمشاركة شقيقتها التوأم، رجين، وأفراد العائلة المقربين وفقاً لما نشرته صحيفة "بيلد".

وكانت ماينهوف العقل المفكر لجماعة "الجيش الأحمر"، وهي مجموعة يسارية ثورية بثت الذعر في ألمانيا الشرقية في فترة السبعينيات والثمانينيات.

وعُرفت المجموعة باسم عصابة "بايدر - ماينهوف" نسبة لمؤسسيها أولريك ماينهوف وأندريه بايدر.

وكان بروفيسر في جامعة "ماغدبيرغ" قد اعترف باحتفاظه بالمخ منذ عام ١٩٩٧ لإجراء بعض الفحوصات والتأكد من مدى تأثير إجراء عملية إزالة ورم من مخ ماينهوف في الستينيات وربطه بتصرفاتها العنيفة والإرهابية.

وكانت الجهات المختصة في ألمانيا قد أعلنت في وقت سابق أنها تحقق في ظروف اختفاء مخ كل من بابيدر وغودران أنسلين وجان-كارل راسبي، الذين انتحروا جميعا عام ١٩٩٧ من معامل مدينة توبينغين حيث تم تشريحهم.

وكان قد تم العثور على بادر وإنسلين وراسبه قتلى في زنزاناتهم بسجن شتامهايم في ولاية شتوتجارت في عام ١٩٧٧م.

وخلص محققون في ذلك الوقت إلى أن بادر وراسبه تبادل إطلاق النار على بعضهما البعض بمسدسين كان قد تم تهريبهما إلى داخل زنزانتيهما وأن إنسلين انتحر بشنق نفسه، بينما كانت ماينهوف قد انتحرت في ما يبدو في السجن نفسه قبلهم بعام أي في عام ١٩٧٦.

وكان يتم الاحتفاظ بأمخاخهم في مستشفى جامعة تيوبنجن من قبل طبيب الأعصاب يورجن بفايفر الذي كان يخضعهم لعمليات تشريح، إلى أن توقف عن ذلك بسبب إحالته إلى المعاش في عام ١٩٩٨.

وقال بفايفر إنه لا يعرف ما ذا حدث لتلك المخاخ، كما أكدت مستشفى جامعة ماجدبورج أنها تحتفظ بالفعل بمخ ماينهوف بعد تقرير صحفي كتبته الصحفية بتينا روهل ابنة ماينهوف.

وزعمت روهل في تقريرها إن مخ والدتها نقل وخضع لفحوص وتجارب طبية دون معرفة أقاربها.

وتعتبر أولريكه ماينهوف أشهر زعيمة إرهابية في تاريخ ألمانية و ربما في تاريخ العالم يعتبر اندرياس بادر واولريكه ماينهوف الأبوين الروحيين لمنظمة جناح الجيش الأحمر التي روعت المانيا حتى نهاية التسعينيات.

ولد اندرياس بادر في ميونخ عام ١٩٣٤، وساهم في أعمال العنف خلال ثورة الطلبة في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، وانضم إلى أجنحة الطلبة المتشددين التي اتخذت اسم " المعارضة غير البرلمانية ".

وكان بادر ميالا للعنف والجريمة بطبعه إذ سبق أن سجن لمدة ثلاث سنوات بسبب اقتحامه لمتجر كبير في فرانكفورت عام ١٩٦٨.

و قد ساهمت أولريكه ماينهوف مع " يان كارل راسبه " و " غودرون انسلن " في عملية دموية لتحريره من السجن عام ١٩٧٠ ليضعوا حجر الأساس لجماعة " بادر– ماينهوف " الإرهابية الشهيرة ليتشكل منها بعد ذلك" الجيش الأحمر الإرهابي " .

و قد أُلقِيَ القبض على بادر في عام ١٩٧٢ وحكم عليه بالمؤبد، غير أنه وجد ميتا في زنزانته في سجن شتوتجارت يوم ١٨ أكتوبر ١٩٧٧، ويعتقد البعض أنه قتل في سجنه ولم ينتحر كما تدعي الشرطة.

أما أولريكه ماينهوف فتتحدر من وسط مثقف يختلف عن الوسط الذي نشأ به بادر. وكانت ماينهوف زوجة اليساري كلاوس رول الذي يحرر مجلة "كونكريت" اليسارية. لها طفلتان توأم من رول وأصبحت محررة في كونكريت، ثم لاحقا تركت زوجها في نهاية الستينيات وتقربت أكثر إلى اليسار المتطرف في حركة الطلبة.

وتزعمت ماينهوف مجموعة مليشيات متطرفة عُرفت باسم "بايدر ماينهوف" التي قامت بسلسلة من عمليات القتل والتفجيرات والاختطاف التي روعت ألمانيا في السبعينيات. وانتحرت ماينهوف في السجن عام ١٩٧٦.

▪▪▪

١٥

كاميلا بركر باولز ..

المرأة التي حطمت أسطورة ديانا !!

ooo

كاميلا باركر باولز كانت و لا تزال إحدى أسوأ النساء في تاريخ بريطانيا على الأقل من وجهة نظر الغالبية من شعب هذه الدولة ، ما لم تكن كذلك في أعين العالم.. و لعل السبب الرئيسي في ذلك هو أنها في نظر هؤلاء المرأة التي حطمت قلب أميرة القلوب ديانا ، باستيلائها على زوجها الأمير تشارلز ولى العهد ، و تصيبها بجنون الغيرة فتتخبط في ظلمات الرغبة المميتة في الانتقام ، و تبادل الزوج خيانة

بخيانة ، ثم يعترف كل بخيانته على الملأ ، ثم انفصال ثم طلاق ، ثم تتردى الأميرة أكثر فتذهب من علاقة عاطفية لأخرى ، قبل أن تلقى حتفها في النهاية في حادثة نفق باريس الشهير عام ١٩٩٧ هى و صديقها المصري عماد الفايد !!

والغريب في الأمر أن الأمير تشارلز ،ورغم الحملات الشعبية والإعلامية الضارية التي تعرض لها وعشيقته كاميلا ، ومعهم القصر الملكي باعتبارهم المسئولين عما انتهى إليه حال أميرتهم المحبوبة ، التي لم تكن تستحق الحياة مع زوج خائن ، أو الموت مع عشيق حالم !!

لقد تمكنت كاميلا التي تفتقد الجمال ، و السحر و الجاذبية و كل ما كانت تتمتع به ديانا من أن تنصب فخا للإيقاع بالأمير ، الذي كان يفتقد الخبرة في التعامل مع امرأة مجربة ، فسار إلى الفخ بقدميه ، ليحطم زواجه الأسطوري الذي لطالما كان يتغنى به البريطانيون و معهم العالم !!

لقد لعبت كاميلا باركر باولز أسوأ أضلاع المثلث الفرنسي الشهير " الزوج والزوجة والعشيقة " ، و بالطبع كانت هى العشيقة ، و أظهرت استطلاعات الرأي أن البريطانيين لا يريدون " تشارلز " الضلع الأول " ملكا ويصرون على ألا تشاركه كاميلا حتى بعد زواجه مؤخرا منها الجلوس على العرش أبدا ، و السبب دورها في تحطيم أسطورة ديانا " الضلع الثاني " الذي غيبه الموت !!

وقد تزوج الأمير تشارلز من خليلة حياته كاميلا بعد علاقة غير مشروعة بينهما استمرت ٣٤ عاما وتسببت في طلاق كل منهما.

وفي ختام الحفل الخاص، الذي استمر ٢٠ دقيقة، استقل الزوجان ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز، ٥٦ عاما، وكاميلا باركر باولز ، ٦٠ عاما، سيارة رولز رويس عادت بهما إلى قلعة وندسور حيث تمت مباركة دينية أجراها كبير أساقفة كانتربري روان وليامز. وأقيم حفل على شرفهما حضره ٨٠٠ مدعو.

وكانت كاميلا ترتدي فستانا ومعطفا من اللون الأبيض العاجي وقبعة كبيرة من اللون نفسه من تصميم البريطاني الشهير فيليب تريسي. أما الأمير تشارلز فقد كان يرتدي بذلة تقليدية خاصة بالزواج.

ويأتي هذا الزواج الذي حضره ابنا تشارلز الامير وليام والأمير هاري، ولكن لم تحضره الملكة اليزابيث بعد سنوات ليست بالبعيدة من وفاة زوجته الأولى الأميرة ديانا.

وخرجت كاميلا من الحفل وهي تحمل لقبها الجديد "دوقة كورنوول" لتصير ثاني امرأة من حيث الأهمية في بريطانيا بعد الملكة اليزابيث الثانية. وكان جدل كثير قد دار إزاء اللقب الذي ستحمله كاميلا بعد زواجها.

وساهمت فيه كاميلا نفسها، ردا على "استكثار" البعض كل الألقاب الملكية عليها- ربما تعاطفا مع غريمتها الراحلة الأميرة ديانا، بقولها إنها ستكون سعيدة بألا تكون ملكة.. وهي عبارة تركت كثيرا من الخيارات مفتوحة وخلفت أسئلة بلا إجابات عند المراقبين. وتعرف كاميلا جيدا أن غالبية البريطانيين لا يرغبون في ارتدائها تاج الملكة.. فبالنسبة لقسم كبير من مؤيدي الملكية فإن ذكرى الأميرة الراحلة ديانا لا تزال حية بشدة دواخلهم. كما أن حقيقة أن علاقة كاميلا بتشارلز على مدى ٣٥ عاما أدت في النهاية لتدمير زواج ديانا ما تزال تشعر البريطانيين بالغضب و الاستياء منها .

وكانت ديانا نفسها قبل مصرعها قد أنحت باللائمة دائما على كاميلا قائلة إنها أسهمت في فشل زواجها. وقد أشارت استطلاعات الرأي إلى أن الغالبية الكبيرة من البريطانيين يعارضون فكرة أن تصبح كاميلا ملكة.

"أميرة القلوب" هكذا لُقبت، دخلت حياة الأمير تشارلز ودخلت معها قلوب الملايين بسبب تواضعها، ولأنها تمثل مسابقة بورجوازية وسط مجتمع طبقي تقبع

على رأسه الأسرة المالكة، لكن النهاية مأساوية لبداية رومانسية، ففي أغسطس عام ٩٧ ماتت هي وصاحبها عماد الدين الفايد المعروف بدودي الفايد نجل رجل الأعمال المصري الأصل محمد الفايد في قلب العاصمة الفرنسية باريس، وقع الحادث المروع فماتت هي وصديقها وسط صدمة الكثيرين، ماتت لكن الجدل حول موتها لم يمت كما كان بالضبط في حياتها !!

هكذا ديانا تلك المرأة الإنجليزية التي نالت من الشهرة ما لم تنله امرأة في القرن العشرين، حيث تزوجت بولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز عام ١٩٨٠، وأقيم حفل الزواج الكبير في قصر بكنجهام ، وشاهد العالم ذلك الحفل عبر شاشات التلفاز. ومنذ ذلك الحين والإعلام العالمي بكافة وسائله لا يفتأ يذكر اسمها، ويتابع أخبارها، وينشر صورها.

وظل الناس يتابعون كل دقيقة وجليلة من أمرها، حتى أصبح كثير من نساء العالم يقلدنها في شتى أحوالها، حتى في مشيتها، وتسريحة شعرها، وطريقة ابتسامتها، ونوع ملبوسها، ونحو ذلك من شؤونها.

وعلى مدى سنوات طويلة كان لدى الشعب البريطاني، وسائر شعوب العالم اعتقاد بأن ديانا وتشارلز هما أسعد زوجين على وجه الأرض، كيف لا وقد امتلكا جميع مباهج الحياة ، فالشهرة، والمجد ، والثراء ، والنفوذ ، والمستقبل الذي ينتظر الذرية كل هذه الأمور كانت نصب أعين الزوجين .

ولكن هذا الاعتقاد لم يكن صائباً، وكل القصص والحكايات الوردية التي صنعها خيال الناس لم يكن لها أي نصيب من الواقع ، فلقد استيقظ العالم ذات صباح من شهر مايو ١٩٩٢ على فضيحة مدوية عصفت بتلك الخيالات ، وطوحت بها مكاناً قصيًا ، فقد ظهر كتاب جديد في بريطانيا تحت عنوان " ديانا القصة الحقيقية" .

وهذا الكتاب يروي قصة إخفاق ذلك الزواج التاريخي، ويكشف تعاسة ديانا وشقاءها، ومحاولتها الانتحار في عام ١٩٨٩ بعد أن يئست من حياتها.

يقول الكتاب المفاجأة – آنذاك – إن الليدي ديانا أصبحت أشهر امرأة في العالم لحظة زواجها من الأمير تشارلز ولي عهد مملكة بريطانيا.. عندما شاهدها للمرة الأولى وهي في السادسة عشرة من عمرها قال إنها مفعمة بالحيوية ومسلية وجميلة.. فتزوجها في حفل أسطوري بلندن في كاتدرائية القديس بولس في ٢٩ يوليو ١٩٨١، تابع حفل الزواج نحو ٧٥٠ مليون شخص حول العالم.. كانت تبلغ من العمر ٢٠ عاماً بينما يكبرها تشارلز ب ١٢ سنة..أثمر الزواج عن ولدين وهما ويليام وهاري..استمر زواجهما ١٥ عاماً حيث انتهى بالطلاق عام ١٩٩٦،

بالرغم من أن الامير تشارلز قال بأن ديانا مفعمة بالحيوية والنشاط عندما رآها أول مرة..إلا أن هذه الحيوية وهذا الجمال تحولا إلى ذبول حيث فقدت من وزنها الكثير في أول ثلاثة شهور من زواجها وبدأ مرض شراهة الطعام الذي توصلت للقضاء عليه بعد ١٠ سنوات من زواجها.

فقد عاشت في توتر دائم منذ دخولها العائلة المالكة، بالرغم من ابتسامتها الدائمة إلا إنها كانت تعيسة جدًا.. عاشت زواجاً انعدم فيه الحب... كانت تحب تشارلز كثيراً وتأمل بأن يبادلها الحب ويظهر لها الاهتمام، لكن آمالها ذهبت مع الريح..فعلاقة تشارلز بعشيقته كاميلا كانت مستمرة.. ويقال بأن الامير تشارلز لو أتيح له الاختيار لظل عازباً لانه كان سعيداً بحياة العزوبية، إلا أنه كان ملزماً بالزواج وإنجاب وريث للعرش.

وقد تدهورت العلاقة بينهما بسبب إهمال تشارلز لها وقلة الاحترام التي كان يظهرها في الوقت التي كانت بحاجة إلى مساعدته، ولم يعد يكترث بوجودها في الحفلات الرسمية فكانت نظراته تتابع عشيقته كاميلا... فعاشت على هامش حياة تشارلز وإهتماماته.. كان يقول تشارلز لا أستطيع الابتعاد عن ذراعيّ كاميلا ولا يمكن أن أعيش بدونها!! وبالمقابل مهما فعلت وبذلت ديانا من جهد لم تكن تحصل على كلمة تشجيع من زوجها أو من العائلة المالكة.....ساءت حالتها النفسية وترددت

على أطباء نفسيين فكانت تعاني من فراغ عاطفي كبير وخاضت مغامرات عاطفية عديدة.. إلا أنها كانت تحب ولديها أكثر من أي شخص في العالم فكانا يشكلان لها الامان في حياتها، كان همها الوحيد أن توفر لهما طفولة سعيدة عكس التي عاشتها، حاولت الانتحار مراراً ولجأت إلى المهدئات لإيجاد توازن في حياتها.. ولكنها خرجت من القصر الملكي مطلقة عام ١٩٩٦ ونذكر هنا أنه بالرغم من كل هذه الظروف التعيسة التي عاشتها إلا أنها كانت رمزاً للأناقة والجمال طيلة هذه السنوات..لم تمل وسائل الإعلام من نشر أخبارها وصورها..فكانت متوجة كأميرة للقلوب لإنسانيتها.

التقت الليدي ديانا بأميرة موناكو غريس كيللي التي لطالما أعجبت بها في حفل خيري والجدير بالذكر أنه كان أول ظهور لديانا، كانت ديانا مرتبكة جدًّا أمام الناس والمصورين..فتعاطفت معها وهي التي دخلت القصور الملكية قبلها..فأخذتها غريس لتتحدث معها...ودار حديثهما حول شعور ديانا بالعزلة ومخاوفها من المستقبل..

استحقت الليدي ديانا لقب أميرة القلوب على مستوى العالم أجمع..لفتت أنظار نساء ورجال العالم باناقتها وجمالها وتواضعها فقد كانت بعيدة عن البروتوكولات الرسمية التي تفرضها العائلة الملكية البريطانية.. ظهرت على أغلفة المجلات ونشرت أخبارها الصحف حتى بدأ تشارلز يشعر بالغيرة من اهتمام الإعلام بها عندما يكونان سويًا، سخرت حياتها للأعمال الخيرية منها مكافحة الإيدز والمخدرات والألغام، وضحايا العنف الجنسي ومساعدة الأولاد المشردين، وساعدتها الأعمال الخيرية على إدراك قيمتها الخاصة، كانت تحب قراءة القصص لمؤلفين مثل دانيال ستيل ومؤلفات الفيلسوف البلغاري "مايكل ايفانوف" كما كانت تقرأ للفيلسوف اللبناني جبران خليل جبران، في السنتين الأخيرتين من حياتها اكتسبت الثقة بنفسها وعاد لها توازنها النفسي... والجدير بالذكر أن ديانا ولدت في ١ يوليو عام ١٩٦١ لعائلة أرستقراطية مقربة من القصر الملكي في بريطانيا، عندما كانت في سن السادسة انفصل والداها وعاشت مع والدها وواجهت ظروفاً صعبة فيما بعد مع زوجة أبيها، لحظة انفصال والديها كانت بداية فقدان الثقة

والأمان..كانت صدمتها النفسية عنيفة من جراء الطلاق فأصيبت بمرض يسمى "بوليميا نرفوزا" ويكون المريض نهماً للأكل ومتقلب المزاج يميل للاكتئاب، التحقت ديانا بالمدرسة وكانت متميزة بالمجال الرياضي وخصوصا السباحة والرقص الكلاسيكي والكلاكيت، وبعد تخرجها من المدرسة عملت كمشرفة في إحدى دور الحضانة في لندن .

رحيلهما كان مأساوياً وحدثاً لا ينسى.. رحلت الليدي ديانا هي وخطيبها المصري عماد الفايد وهو ابن محمد الفايد صاحب متاجر هارودز على إثر حادث سيارة بفرنسا ويقال بأن سيارتهما اصطدمت بدعامة في نفق ألما الباريسي بسبب فقدان سائق السيارة "هنري بول" السيطرة على عجلة القيادة وذلك بسبب تناوله كميات كبيرة من الكحول والمخدرات، فقد كان يقود بسرعة ليهرب من المصورين، وكما ورد في التحقيقات الفرنسية أن ديانا اصيبت بنزيف حاد في الرئة وتوفت في المستشفى، بينما توفي عماد الفايد على الفور-٤١عاماً-، رحلت ديانا في ٣١ اغسطس ١٩٩٧ عن عمر يناهز ٣٦ عاماً.. أي بعد عام من طلاقها، وقد بدأت التحقيقات البريطانية في بداية عام ٢٠٠٧ حيث لا يزال الكثيرون يعتقدون بوجود مؤامرة.

الأمير تشارلز مشهور بمشاعره وأحاسيسه الباردة أو بالأحرى المتجمدة وكان معروفاً بكثرة علاقاته الغرامية، بعد رحيل ديانا لم تسؤ حالته الصحية أبداً.. بل تزوج بعشيقته كاميلا باركر..ديانا بظروفها العائلية والنفسية السيئة كانت تطمح في زوج المستقبل إلى رجل يدعمها ويشعرها بالأمان والحب .

ويذكر الكتاب أحد المواقف التي زلزلت كيان الأميرة، وجعلتها تحيا أسوأ أيامها، فعندما رآها تشارلز تبكي لوفاة والدها ، وعدم وجوده بجانبها عنّفها، ووبخها ، وقال لها بمنتهى القسوة : اخرجي من أحزانك بسرعة ، فلا وقت لدينا لهذه الأحاسيس.

ولم يكن هذا الموقف هو الأخير ، فقد توالت عبارات الأمير تشارلز، وإهاناته البالغة لديانا، حتى قررت التخلص من حياتها، خاصة بعد الأنباء التي أشارت إلى

وجود علاقة غرامية بين الأمير وبين سيدة أخرى تدعى كاميلا باركر باوز ، ومن ثم ابتلعت ديانا كل ما لديها من حبوب مهدئة ، رغبة في التخلص من حياتها، إلا أن قدرها لم يحن بعد، فنجت من الموت.

ولم يكن صدور ذلك الكتاب نهاية المطاف ، فقد بدأت الصحف تكشف جوانب أخرى، وأسراراً جديدة تعكس إخفاق الزوجين في تجاوز خلافاتهما، واستعادة ما كان بينهما من صفاء في بداية حياتهما الزوجية.

وكشفت صحيفة " صنداي إكسبرس " النقاب عن أن الأميرة ديانا تعاني من كوابيس مرعبة، وأحلام مخيفة تداهمها ليلاً في نومها؛ لتحيل حياتها إلى عذاب لا يتوقف، وشقاء لا ينقطع.

وأضافت الصحيفة أن ديانا تتلقى العلاج ، للتخلص من هذه الكوابيس والأحلام المزعجة التي يرى الطبيب المعالج أنها تعكس مدى ما تعانيه الأميرة في حياتها من مصاعب، وما تعجز عن تحقيقه من رغبات مكبوتة.

وقالت: إن الأميرة التعسة بلغت درجة من الشقاء والضيق الشديد اضطرت معها إلى اللجوء إلى طبيب نفسي كي يعالجها.

وأكدت الصحيفة أن الأميرة أسرعت عقب تدهور صحتها؛ بسبب الكوابيس والأحلام المزعجة إلى الطبيب النفساني الشهير آلان ماكجلاشان.

وتقول الصحيفة : إن ديانا ترى في نومها وحوشاً غريبة تثير الرعب والهلع، وترى مشاهد بحرية مخيفة تزلزل كيانها، وترتعد لها فرائصها.

وأكدت بأن الأمير تشارلز نفسه بدأ يشعر بالقلق إزاء ما يجري لزوجته التي أصبحت تقطع نومها؛ لتنهض مذعورة لما تراه.

وبعد ذلك زادت المشكلات بينها وبين زوجها، وحاولت والدة تشارلز الملكة إليزابيث تهدئة الأمر، وحث الزوجين على تجاوز خلافاتهما، والتوقف عند هذا الحد.

ورغم ذلك فقد اتفق الطرفان على أن حياتهما على هذا النمط أصبحت مستحيلة، ولكن الطلاق ثقيل، خصوصاً على نفس تشارلز؛ لأنه سيؤدي إلى فقدانه وفقدان أبنائه من بعده حق الجلوس على العرش؛ حيث لا يجوز دستوريًّا أن يكون الملك مطلقاً.

ولأن كان الأمير عَيْنُه على العرش، وليس لديه أية فكرة للتنازل عنه – فقد قرر ألا يطلق.

أما الأميرة التعسة فلم يعد لديها سوى ولديها هاري وويليام يملآن الفراغ والوحدة التي تقاسيها، ولا تريد أن تُطَلَّق؛ حتى لا يفقدا حق الجلوس على عرش بريطانيا في المستقبل ومن أجل هذا قررا الانفصال دون طلاق؛ ليبدأ كل منهما حياته بالطريقة التي يحبها.

وبعد هذا اعترف الزوجان بالخيانة الزوجية، وأصبحت ديانا تترامى من أحضان عشيق إلى عشيق، إلى أن آل بها الأمر إلى آخر واحد منهم وهو عماد الفايد.

وآخر فصل من فصول حياة تلك المرأة هو تلك النهاية المؤلمة التي أودت بحياتها عندما كانت في فرنسا بصحبة عماد الفايد، حيث ركبا في السيارة التي خرجت بهما من الفندق الذي كانا يقيمان فيه، فلما خرجا إذا بعدسات المصورين تضيق عليهما الطريق، فأسرع السائق هروباً من المصورين، فوقع الحادث الذي أودى بحياة ديانا وعماد الفايد.

وفي عام ٢٠٠٨ ، حيث يدخل حادث مصرع الأميرة ديانا وصديقها المصري دودي الفايد سنته العاشرة ، لايزال ملفه مفتوحا ليس فقط في نظر محمد الفايد مالك إمبراطورية هارودز وإنما أيضا في نظر كثيرين ما زالوا يعتقدون أن الحادث لم يكشف أسراره.

تعددت النظريات إلا أن أغلبها حتى الآن محصور في: المخابرات البريطانية بأوامر خفية من العائلة المالكة ، وصراع الحيتان الذي يضم كبار رجال الأعمال

في بريطانيا الذين ساءت علاقاتهم مع محمد الفايد ، والقضاء والقدر والدور الذي لعبه المصورون الصحفيون في مطاردة الأميرة وصديقها.

بقي أن نقول إنه لم يمض وقت طويل على الأمير تشارلز بعد قيامه بوضع خاتم الزواج في إصبع كاميلا باركر باولز ليكتشف الخطأ الفادح الذي ارتكبه بإقدامه على تلك الزيجة. وما هي إلا أيام قليلة حتى كشرت العروس الخجولة عن أنيابها وتحولت إلى زوجة متسلطة.

وأخذت دوقة كورنوول المتسلطة والمزهوة بلقبها الكبير الجديد تتصرف كأنها ملكة إنجلترا، بينما زوجها التعيس يراقب تصرفاتها في حيرة وقلة حيلة أمام التغيير المفاجئ الذي لا يصدق في شخصية كاميلا.

ويقول أحد المقربين من العائلة المالكة: «تحولت العشيقة الودود بين عشية وضحاها إلى ما يشبه الغول! إنها تخاطب الملك المرتقب كأنه أحد خدمها». وأساءت تصرفات كاميلا المشينة وأغضبت كل من الأميرين ويليام وهاري. ويقول مصدر ملكي آخر: «إنه شيء يدعو إلى الغضب. فويليام لا يصدق أذنيه عندما تتحدث كاميلا إلى والده. وبلغ به الغضب حداً دفعه إلى أخذ كاميلا جانباً وتحذيرها من الاستمرار في عدم احترام أمير ويلز. وبعد ذلك أصبحت حذرة أمام ويليام، وأخذت تلزم الصمت في وجوده. ولكن الأمير أطلع أصدقاءه المقربين على أن تلك المرأة الملعونة ليس لها مكان في أسرته. وأنها في الحقيقة أحالت حياة والده إلى جحيم!».

والإهانة الأكبر كما يقول المقربون من العائلة المالكة أن كاميلا منعت تشارلز من دخول غرفة نومها بعد فترة وجيزة من شهر العسل الذي أمضياه في هايلاندز باسكتلندا.

ويقول أحد المطلعين على خفايا الحياة الملكية: «لقد طالبت بأن يكون لها جناح خاص يتضمن غرفة نوم خاصة. واتخذت كل الاحتياطات لضمان خصوصيتها

بوضع لوحة مكتوب عليها - ممنوع الدخول - على باب غرفتها. وقد كان كل من تشارلز وكاميلا يعيشان كزوجين لمدة ثلاثين عاماً، وقد فتر ولعهما ببعضهما البعض خاصة بالنسبة لكاميلا. فأبلغت تشارلز أنها تريد النوم بمفردها. وشعر تشارلز بالغضب في البداية، لكن كاميلا كانت حازمة في قرارها».

وسددت الزوجة المتجبرة ضربة أخرى تحت الحزام للأمير التعيس، كما يقول المقربون من ولي العهد، عندما وضعت يدها على المكان الذي يسبب الأذى للأمير، وهو محفظة نقوده. حيث أصبحت كاميلا تنفق إنفاق من لا يخشى الفقر على تصميمات ملابسها وتصفيف شعرها والعناية بجمالها. ويقول تشارلز إن نفقاتها تفوقت على ما كانت تنفقة الأميرة الراحلة ديانا، وإنه يتوقع أن يزيد إجمالي الفواتير التي عليه أن يسددها من حر ماله على مليون جنيه استرليني في العام. **وتشمل قائمة مظاهر القوة والجبروت لكاميلا ما يلي:**

❖ طالبت بأن تعين لها حراسة شخصية مسلحة على مدار اليوم.

❖ تقيم الدنيا ولا تقعدها إذا لم تعاملها أي امرأة من أعضاء الأسرة المالكة في مستوى أقل منها بما يليق بها من احترام وتبجيل.

❖ التأكد من أن ولي العهد سيستمر في دفع أجور الخدم والبستانيين الذين يعتنون بمنزلها الذي تصل قيمته إلى مليوني جنيه استرليني حتى بعد انتقالها إلى قصر كلارنس هاوس القريب من قصر بيكنغهام.

❖ رفضت القيام بأول مهامها العامة كزوجة لولي العهد بزيارة أحد المستشفيات متعللة بتوتر أعصابها.

❖ التصرف بسيطرة الأم البديلة التي تعرف كل شيء، مع أنها مسؤولة عن انهيار زواج تشارلز وديانا.

ويقول صديق الأمير تشارلز مصمم الأزياء الشهير نيكي هاسلام بأن حياة الأسرة المالكة قد اضطربت كثيراً بسبب عجرفة كاميلا لدرجة أنهم أخذوا يطلقون عليها في سخرية لقب «الملكة» وعلى أختها أنابيل «الأميرة مارغريت» .

ويقول خادم سابق في قصر بكنغهام ما زال على صلة بزملائه: «بلغ التعالي بكاميلا درجة تتوقع فيها أعضاء في الأسرة المالكة في مستوى الأميرة صوفي زوجة الأمير إدوارد أن تبدي لها الاحترام والتبجيل عند التقائهما. وأصبح تشارلز التعيس دمية في يديها. إنه يسير خلفها كطفل صغير، وهي تعرف كيف تحركه».

وننهي قصة هذه المرأة الأسوأ كما يلقبها البريطانيون بالإشارة إلى أن الأميرة الراحلة ديانا قبل رحيلها وإبان فترة إقامتها في القصر الملكي لم تجد مكانا أفضل من دورة المياه لكي تعلق فيه صورة كاميلا باركر!

الغريب أن الأمير لم ينزعج خاصة بعدما علم الجميع أنه كان في أحضان صاحبة هذه الصورة يوم زفافه على أميرة الكون التي سحرت قلوب العالم بأسره كان العالم يتابع كل ثانية من تجهيزات العرس الملكي بينما الأمير يشارك عشيقته الفراش فيما وقف زوجها الهمام أندرو باركر باولز ينتظر انتهاء الموقف كي يتأبط ذراعها عائدا إلى المنزل استعدادا للنزول مرة أخرى للذهاب إلى العرس!

في الواقع لم يكن كل من الزوج أو العشيق سوى أداة لإثارة غيرة الآخر فعندما تعرفت كاميلا إلى الأمير تشارلز كان ذلك عام١٩٧٠ أثناء مشاركة الأمير في مباراة للبولو حيث أمطرت السماء وقتها وتوقف كل شيء ما عدا تفكير كاميلا التي كانت تذوب عشقا في حب الأرستقراطي باركر باولز ولمن لأن هذا الأخير لم يكن لينظر إليها يوما فقد قررت أن تثير غيرته على طريقة حواء المعروفة فذهبت إلى الأمير الذي كان وقتها يحمر خجلا إذا صافح أحدا وتكلمت معه بمنتهى الجرأة والبساطة فهي لم ترفع التكليف بينهما لأنه في النهاية ملك المستقبل ولكنها تعاملت بدهاء الأنثى الذي يوقع أي رجل في الشرك وتم لها ما أرادت فمن ناحية كانت تلك هي

المرة الأولي التي يتحدث فيها الأمير الصغير إلى أنثى غير جدته ووالدته وأخته إذ بدا وكأنها المرة الأولي التي يكتشف فيها أن هناك كائنات أخرى غير هؤلاء فلقد كان يعاني من الوحدة ومن التقاليد الملكية القاتلة حتى جاءت هذه الكاميلا وحطمت كل التقاليد فشعر معها أنها المنقذ المرسل من السماء.

أثناء ذلك كانت الغيرة قد بدأت تدغدغ أوصال باركر باولز الذي شعر أنه طالما أعجب الأمير بهذه الفتاة فلابد أنها تستحق الحب حتى ولو لم تكن من أسرة نبيلة وربما كان هذا الأمر هو الذي جعل الملكة ترفض اقتران الأمير بها فلم تجد الفتاة بدا من الزواج من باركر الذي طالما حلمت به والذي كان مزهوا بحب الأمير لزوجة المستقبل وكأنه أراد أن يقول للجميع إنه انتصر على الأمير وخطف منه حبيبته وتزوجها.

استمرت الخيانة حتي بعد إنجاب كاميلا لأبنائها والذين طلبت من تشارلز بمنتهي الوقاحة أن يكون والدهم الروحي.

لم يكن زواج تشارلز وكاميلا بالأمر اليسير في ذلك الوقت فهي أولا لا تزال متزوجة كما أن الكنيسة والأعراف الملكية لا تسمحان بزواج ولي العهد من امرأة سبق لها الزواج إلا في حالة واحدة فقط هو موت زوجته. وقد كان له ما تمناه إذ توفيت الأميرة الجميلة ديانا في حادث " نفق ألما " الشهير وكانت كاميلا قد طلقت بالفعل من زوجها قبل ذلك بعام واحد الأمر الذي يعني أن الأجواء قد أصبحت خالية للطرفين لفعل ما يريدان ولكن أي تصرف متسرع منهما سيحسب لمصلحة الراحلة ديانا خاصة بعد أن حامت الشبهات كلها حول تورط العائلة المالكة في مصرع الأميرة والذي ضرب عدة عصافير بحجر واحد فقد أسدل الستار أخيرا على فضائحها الغرامية التي ارتج لها قصر وندسور ثانيا أوقف كل التكهنات بإمكانية أن تحمل الأميرة من عماد الفايد لتنجب أخا مسلما لولي العهد البريطاني ثالثا: سمح للأمير بالزواج من عشيقته دون أن يفقد حقه في تولي

العرش يوما ما. رابعا: آلت الثروة التي أخذتها من الأمير تشارلز عند طلاقها- والتي وصلت إلي٣٢ مليون دولار مفرغة بذلك جيوب الأمير- إلى جيوب ولديها أو بمعنى أدق جيوب والديهما الأمير تشارلز الذي ظلت الفضائح تلاحقه متهمة إياه بالشذوذ الجنسي عندما تم ضبطه عاريا ذات يوم مع كبير الخدم الأمر الذي لم يزعج كاميلا على الإطلاق وكأنها تقول لن أتنازل عنك أبدا فإذا كانت جدتي الكبري أليس كيبل عشيقة جدك الأكبر لويس السابع ولكنها لم تستطع الزواج منه فأنا سأظل عشيقتك وسأصبح زوجتك رغم أنف الجميع وسألقي بفساتيني الحقيرة التي تملأ دولابي وستشتري أنت لي ملابس تليق بي كزوجة ملك المستقبل.

وفي شهر يونيو عام ٢٠٠٦ ، عصفت فضيحة أخرى بالأسرة المالكة في بريطانيا، تقوم على مزاعم بأن كاميلا، قرينة الأمير تشارلز رجل. وانطلقت هذه المزاعم من سلسلة من الصور التي التقطت سرًا بدون موافقة الأمير، توضح فيها مقاطع وجه كاميلا أنها رجل كامل الرجولة.

والصورة المستقاة من الكتابات الشهيرة التي نشرها أشخاص على معرفة دقيقة بحياة كاميلا تنطبق في كل تفاصيلها على التكوين النفسي لذكر تحول إلى أنثى.

والمؤسف، أن هذه البيانات النفسية، إن كانت صحيحة، تثبت أن كاميلا باركر باولز، قد تكون رجلا حبيسا في جسد امرأة، وأن زواجها من ولي العهد مجرد خدعة.

لكن هل ما أورده عالم الاجتماع آرون ديفور، من جامعة فيكتوريا بكولمبيا البريطانية في كندا، في دراسته التي تحمل اسم قلق الجنس الأنثوي أن الرجال الذين يكونون حبيسين في أجساد نساء يسعون ما أمكن إلى الظهور بمظهر ذكوري، هل ينطبق ذلك على كاميلا ؟!

▪▪▪

١٦

سوزان سميث..

أسوأ أم في التاريخ !!

ooo

الطفلان مايكل وا ليكس

جريمة شنيعة حدثت في الماضي القريب. تلك الجريمة التي راح ضحيتها طفلان في عمر الزهور غرقاً، لقد ظهرت سوزان سميث الأم لتخاطب الجمهور على الهواء وتستجدي عواطفهم من أجل أطفالها المختطفين، وتخاطب الخاطفين

بإرجاعهم إليها، وبكت، وبكت الأمة الأمريكية كلها معها. لقد كانت طريقة وصفها للمجرم الذي هاجمها هي وأطفالها صادقة بشكل كبير ومقبولة جداً!

الآن نحن نعرف بعد أن انتهى التحقيق وأغلق ملف القضية أن سوزان سميث، نفسها، هي التي قتلت أطفالها! نعم، إن الأمر غير القابل للتصديق كان حقيقيًّا. لقد قامت الأم الشابة بإغراق أطفالها بيديها حتى الموت من أجل عشيقها، هذا ما كشفت عنه التحقيقات، إنه أمر لا يصدّق. إنه أمر لا يمكن أن يكون، لكنه كان!

لقد حاولت سوزان سميث إلقاء اللائمة بجريمتها على شخص يكون مثاليًّا لأن تنطبق عليه القصة، رجل مشرد تبدو عليه سمات الإجرام، بينما هي ظلت في مأمن لأن لا أحد سيصدق أن أمًّا يمكن أن تقتل أطفالها بنفسها لأي سبب كان!

ولولا أن التحقيق كان فعالاً وناجحاً لما عرفت الحقيقة، وكنتيجة لذلك فقد أخذت العدالة مجراها وألقيت تهمة القتل على سوزان سميث ولقيت جزاءها العادل.. و قصة هذه الأم القاتلة غاية في الغرابة!

في البداية ، اقتنع الجميع بمن فيهم الشريف نفسه بما قالته سوزان سميث حول تعرضها هي وطفلاها لحادث اختطاف.. زوجها وعشيقها والشريف ورجال الشرطة والمحققون.. كلهم صدقوها ووقفوا بجانبها بعد أن فقدت طفليها.. وكانت على وشك الحصول على براءتها حتى تعرضت لاختبار كشف الكذب.. هنا فقط انكشف المستور!

القصة الحقيقة لجريمة سوزان سميث البشعة دارت وقائعها منذ ما يقرب من ١٥ عاما في ولاية ساون كارولينا بالولايات المتحدة، كانت ليلة ٢٥ أكتوبر من عام ١٩٩٤ ليلة تميل إلى البرودة، لكن سوزان سميث كانت تشعر في داخلها ببرودة أكبر.. وهي تقود سيارتها النبيتي الغامقة من طراز مازدا ١٩٩٠في الطرق الريفية المحيطة بمدينة يونيون بولاية ساوث كارولينا الأمريكية.. في محاولة منها لتهدئة

أعصابها الثائرة وعواطفها الجياشة. مضت سوزان تجول بسيارتها على غير هدي لمدة زادت عن الساعة وفي المقعد الخلفي من سيارتها كان طفلاها الصغيران مايكل وإليكس مقيدين إلى مقاعد الأطفال الخاصة بهما، مايكل.. كان قد أتم عامه الثالث منذ أسبوعين، أما اليكس فكان مايزال طفلا رضيعا، وعندما وصلت إلى الطريق المؤدي لبحيرة جان لونج.. قامت بقيادة سيارتها إلى الرصيف المائل المستخدم لإنزال القوارب في الماء.. وتوقفت في منتصفه.

كانت هذه هي المرة الأولى التي تذهب فيها سوزان إلى بحيرة "جان لونج" مع طفليها، فلقد كانوا يفضلون الذهاب إلى البركة الصغيرة الموجودة في "فوستر بارك".. حيث يتمكنون هناك من إطعام البط الصغير المنتشر في البركة، ولا أحد يعلم على وجه اليقين.. ما الذي كان يدور في ذهنها في تلك الليلة المشئومة، لكن ما نعلمه على وجه اليقين... أنها كانت قد تلقت خطابا من عشيقها الثري "توم فيندالي" يقطع فيه العلاقة التي استمرت بينهما طوال عام ، كانت سوزان قد بدأت عملها الجديد في الشركة التي يملكها والد توم في عام ١٩٩٣ ونشأت بينها وبينه علاقة آثمة.. حيث إنها كانت ماتزال متزوجة من والد طفليها "دافيد سميث".

بدأت هذه العلاقة بالخروج لتناول الطعام والذهاب إلى السينما، وانتهت إلى علاقة حميمة خلال فترة قصيرة... فقد كانت سوزان تطمع في الزواج منه، وتحلم بالانتساب إلى أسرته البالغة الثراء، تلقت سوزان هذا الخطاب منذ بضعة أيام، وقد أخبرها توم في خطابه أنه لا يستطيع الارتباط بامرأة لديها طفلان، وأنه يريد تكوين الأسرة الخاصة به، دون أن يتحمل عبء تربية أبناء رجل آخر.

كانت السيارة تقف الآن في منتصف الرصيف الذي يبلغ طوله ٢٥ مترا .. عندما خرجت سوزان منها.. ونظرت بتبلد إلى الطفلين البريئين النائمين في المقعد الخلفي، وبطريقة آلية.. كالشخص المنوم مغناطيسيا.

تحركت يدها الآثمة وأطلقت فرامل السيارة.. وأغلقت الباب بهدوء بدأت السيارة في الانحدار ببطء.. وأكملت الأمتار القليلة الباقية من الرصيف.. وشرعت

في الدخول إلى مياه البحيرة الداكنة، أما سوزان.. فإنها وقفت تشاهد هذه المأساة بعيون جامدة ووجه مخدر خال من التعبيرات عندما أصبحت السيارة في منتصف البحيرة.. انقلبت فجأة رأسا على عقب... وبدأت تغوص في الأعماق عندما اختفت السيارة تماما عن نظرها.

كانت الخطة قد تبلورت بالفعل في عقلها المريض، وانطلقت تعدو نحو أحد لمنازل القريبة من البحيرة.. والذي دلت أنواره المضاءة على أن ساكنيه مازالوا مستيقظين، ولتبدأ واحدة من أشهر المآسي في تاريخ جرائم القتل التي ارتكبت في الولايات المتحدة الأمريكية.. بل وفي العالم أجمع، عندما ارتكبت سوزان مالا يمكن لمعظمنا تصوره.. أفظع فعل يمكن لأم التفكير فيه.. وحطمت إحدى أقوي الروابط المقدسة الموجودة بين البشر.. عندما خانت الثقة الفطرية الوراثية التي تربط بين الأم وأطفالها.

كان ساكنو المنزل القريب من البحيرة رجل وزوجته وابنه، وكانت الزوجة قد انتهت لتوها من قراءة الجريدة المحلية.. عندما فوجئت بسماع الصرخات الهستيرية والقرع الجنوني على باب بيتها، قبل أن تفتح الزوجة الباب.. أضاءت كل الأنوار التي تضيء المدخل المسقوف المؤدي إليه، وعندما تبينت وجود امرأة شابة تصرخ بطريقة غريبة.. وتطلب المساعدة قائلة: لقد اختطفت السيارة وبها أطفالي، قامت الزوجة بإدخال سوزان إلى غرفة المعيشة محاولة أن تتفهم حقيقة الأمر، وتجمع من حولهما كل من الأب والابن، عندما انتهت سوزان من رواية قصتها المختلقة عن الزنجي الذي تمكن من الدخول إلى سيارتها عند أحد التقاطعات المهجورة والذي طبقا لقصتها قام باجبارها على القيادة إلى هذه المنطقة.. قبل أن يطردها من السيارة... ويبتعد بها مسرعا والطفلان بداخلها، عند هذا الحد من القصة.. تدخل الزوج.. وأمر ابنه الواقف بجواره بأن يتصل بالشرطة.

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة والربع مساء.. عندما توجه عدد من رجال الشريف هاورد ويلز إلى منزل السيدة التي تعيش بالقرب من البحيرة، وهناك..

قام كبير المحققين بالاستماع للقصة التي روتها سوزان لساكني المنزل.. قبل وصوله في هذه المرة.

كانت القصة أكثر تفصيلا، كما أنها كانت تحمل بعض أوصاف الشخص الذي قام باختطاف السيارة والأطفال، روت لهم سوزان كيف أنها أخذت تعدو على غير هدي.. بحثا عن من يساعدها.. حتى وصلت إلى المدخل المسقوف المظلم.. المؤدي للبيت القريب من البحيرة.

خلال الساعات الأولي من التحقيقات.. لم تساور الشريف أو رجاله أي شكوك في القصة التي روتها سوزان.. رغم عدم اتساقها فلقد كانت كل جهوده مركزة على تجميع قدر كاف من المعلومات يمكنه من تحديد موقع السيارة المخطوفة.. والأطفال الأبرياء الموجودين بداخلها، أما مساعدو الشريف.. فقد انطلقوا إلى الطرق المجاورة في محاولة منهم للعثور على السيارة المفقودة.

عندما جاوزت الساعة منتصف الليل.. كان زوجها "دافيد سميث" قد وصل مع العديد من أقربائها إلى مسرح الأحداث، وعندها.. اقترحت سوزان أن ينتقلوا إلى منزل والدتها (ليندا) وبالفعل.. ركبت سوزان مع دافيد في سيارته.. وتوجه الجميع إلى هناك، خلال الرحلة إلى منزل والدتها.. ركبت سوزان مع دافيد في سيارته.

وتوجه الجميع إلى هناك خلال الرحلة إلى منزل والدتها.. أخبرته سوزان بأن عليه أن لايغضب إذا ما أتى "توم فيندالي" لزيارتها هناك، وكانت أمثال هذه العبارة.. هي بداية الطريق الذي أدى بالمحققين للكشف عن شبكة الأكاذيب التي حاولت سوزان سميث أن تغطي بها جريمتها: فحتى خلال تلك اللحظات التي يفترض أن تكون عصبية على أي أم.. كانت كل ما تفكر فيه سوزان.. هو عشيقها توم فيندالي.

في تلك الليلة الليلاء.. استمر البحث عن السيارة المفقودة حتى الساعات الأولَى من صباح اليوم التالي، وبالطبع.. لم تسفر كل هذه الجهود عن أي نتيجة إيجابية،

وتم استدعاء أحد الفنانين الذين يعملون مع الشرطة.. لرسم صورة توضح مظهر الشخص الذي قام باختطاف السيارة وملامح وجهه، قد اشتكي هذا الفنان من أن الأوصاف التي أعطتها له سوزان عن الشخص الزنجي... كانت شديدة العمومية.

بعد مرور يومين على هذه الأحداث وبالتحديد في يوم الخميس ٢٧ أكتوبر ١٩٩٤ خضع كل من دافيد وسوزان لإجراءات اختبار كشف الكذب، وتمكن دافيد من اجتياز الاختبار بنجاح، أما سوزان. فإن الاختبار أظهر أنه لديها ما تخفيه، وكانت أكثر الإسئلة إحراجا لها.. هو السؤال: هل تعرفين مكان الأطفال؟

لقد أظهر الجهاز أن إجابتها على هذا السؤال لم تكن صادقة كل الصدق.

كانت قصتها عن أحداث ذلك اليوم مليئة بالثغرات البسيطة، ومع هذا.. فانها عجزت عن تفسيرها، وكان أهم هذه الثغرات.. متعلق بلحظة لقائها مع الشخص الذي قام باختطاف سيارتها: فحسب ادعاءاتها.. فإن الإشارة كانت حمراء في ذلك التقاطع من الطريق.. وهو ما مكن الرجل الزنجي من الاقتراب من سيارتها والدخول إليها، لكن النظام الآلي في ذلك التقاطع.. يقضي بأن تظل الإشارة خضراء دائما.. ما لم تأت سيارة من الاتجاه العمودي وتدفع الجهاز الآلي لتغيير الأشارة، وإذا لم يكن هناك أي سيارات استخدمت الاتجاه العمودي.. فإن الأشارة في طريق سوزان كان يجب أن تظل خضراء، وبدأت أبحاث مكثفة عن أي سيارات يمكن أن تكون قد استخدمت الطريق العمودي.

أما الثغرة الأخرى.. فكانت ثغرة منطقية ونفسية.. أكثر منها ثغرة عملية، فخلال الساعات الطويلة التي قضتها سوزان مع رجال التحقيقات.. والخبراء.. تكلمت اكثر من مرة عن أطفالها بصيغة الماضي، ولفتت هذه السقطة أنظار الكثيرين نحوها، فان أي أم طبيعية.. تتمسك بأوهي الآمال في أن أطفالها لايزالون على قيد الحياة، أما سوزان.. فإنها تكلمت في أكثر من مناسبة عن طفليها بصيغة الماضي، كما لو أنها كانت فاقدة للأمل تماما.. في استعادتهما أحياء.

أما آخر هذه الثغرات.. فكان بكاؤها الدائم، والذي كان يتميز.. بأنه بكاء بلا دموع، وهو ما لاحظه أيضا.. الخبير الذي تولى إدارة أمر جهاز كشف الكذب، فلقد أخبر زملاءه على أصوات البكاء التي كانت تصدرها.. وكيف أنها لم تكن مصحوبة بأي دموع حقيقية .

و بعد عشر سنوات من قيام سوزان سميث بقتل ولديها بلا رحمة، استطاع والدهما ديفيد سميث أن يقاوم مشاعر الأبوة الكامنة في نفسه، ويسامح زوجته القاتلة من أعماق قلبه، رغم أنه يود لو أنها ماتت ولحقت بولديها. وقال ديفيد، الذي يعمل مساعداً لمدير متاجر وول سمارت في سبارتانبيرغ بولاية كارولاينا الجنوبية، إنه لن يستفيد بكراهية زوجته شيئاً سوى زيادة همومه وغمومه.

يقول ديفيد أنه يعتقد أنه كان ينبغي على هيئة المحلفين إصدار حكم الإعدام بحقها لقتلها كل من ابنيهما مايكل واليكس .

فقد قامت سوزان سميث بحبس الولدين في المقعد الخلفي للسيارة ودفعها في مياه البحيرة. وقد وجه ديفيد انتقاداً حاداً لهيئة المحلفين موضحاً أنهم لم يقدروا ذرة واحدة من مشاعره حيال ابنيه ومدى حبه العميق لهما.

وقد حاول ديفيد أن يعيش حياة جديدة وأنجب طفلين، ولكن في الذكرى العاشرة لرحيل ولديه، اجتاحته مشاعر حزن قوية لم يستطع منها نجاة. يقول ديفيد: شعرت بقلق وضيق في الصدر شديدين، كما أصابني شيء من الاكتئاب. فقد قابلت سوزان بعد شهر من القبض عليها، وسألتها عن الدافع لفعلتها، فردت بأنها لا تعرف السبب. وعبرت عن أسفها لما حدث، وأعتقد أنها بالفعل لم تكن تقصد قتلهما. فقد كانت تحبهما حباً كبيراً، وكانت كل تصرفاتها معهما تحكي تأصل هذا الحب وعمق جذوره في قلبها .

وخلال وجودها خلف القضبان، أقامت سوزان (٣٣ عاماً حينئذ) علاقات محرمة مع اثنين من حراس السجن ما دعا المسؤولين إلى نقلها إلى سجن آخر

مخصص لإصلاح المنحرفين. ويمكن لسوزان أن تغادر السجن بعد ٢٠ عاماً بإفراج مشروط.

وكان ديفيد وسوزان قد انفصلا عن بعضهما وتزوج كل منهما وبدأ حياة مستقلة، عندما أبلغت سوزان الشرطة أن رجلاً أسود هاجمها وانتزع منها ولديها في ٢٥ أكتوبر ١٩٩٤. وتناولت وسائل الإعلام المحلية الخبر وعرضت سوزان وهي تبكي ملء عينيها مطالبة الجميع بمساعدتها على إرجاع ولديها إليها سالمين.

ولكن سرعان ما انكشفت الحقيقة المريعة واتضح أن الرجل الجديد أفادها أنه لا يحب وجود الولدين بجانبه ما دعاها إلى حبس ولديها في المقعد الخلفي لسيارتها ودفعهما داخل مياه بحيرة جون دي لونغ.

ونجح ديفيد في تناسي الماضي وبناء حياة جديدة، ولديه اليوم طفلان في نفس عمري ولديه الراحلين مايكل واليكس عند موتهما، هما سافانا (٣ سنوات) ونيكولاس (٢١ شهراً) من زوجته الجديدة تيفاني موس. يقول ديفيد: «لم أكن أظن انه سيأتي على يوم أرزق فيه بأطفال آخرين. ولكني كثيراً ما أزور قبر مايكل واليكس اللذين دفنا في قبر واحد. وعندما رأت سافانا صورتهما وسألت عمن يكونا، رد عليها ديفيد "إنهما ولدان صغيران يحبهما أبوهما حباً ليس له مثيل. وانهما لحقا بالرفيق الأعلى. ولكني لم أعطها تفاصيل المأساة كاملة لأنها لا تزال صغيرة".

وأكد ديفيد أنه لن يترك سوزان وسوف يتصدى لها إذا حاولت المطالبة بالإفراج المشروط.

وقالت توني هوايت المحامي الخاص بسوزان إنها تتطلع للخروج من السجن، وهذا الأمل هو الذي يجعلها لا تزال متعلقة بالحياة. فلم يمر عليها يوم إلا وذكرت فيه ولديها وعبرت عن عميق حبها لهما وسكبت الدمع سخينا على فراقهما.

وقد تلقت سوزان عدداً من الرسائل من بعض الرجال المتعاطفين معها يؤكدون لها عن الرغبة الصادقة في الارتباط بها بعد خروجها. وعندما كتبت في أحد مواقع الإنترنت مطالبة بالتعرف على بعض الأصدقاء جاءتها عدة ردود إيجابية.

تقول سوزان: "خلال أوقات فراغي، أستمتع بالقراءة وأحل الألغاز والكلمات المتقاطعة وأكتب بعض القصص القصيرة. إنني أحب قوس قزح وميكي ماوس والجبال والسحب والزهور ومساقط المياه".

"إنني أقضي مدتي بالسجن بعد إدانتي بالقتل. وقد استفدت كثيراً في السجن ونضج عقلي وتفتحت مداركي كثيراً. ولكنني أتألم كثيراً لما سببته من مواجع للكثيرين لا سيما أطفالي وزوجي. وكم أتمنى من أتلقى بعض الرسائل من معارفي المخلصين. وأنا اعتبر نفسي إنسانة حساسة ورؤوفة وذات قلب كبير".

وقالت هوايت عن سوزان إنها أكثر من عرفت من الناس حاجة للتعاطف والرأفة والمؤازرة. واللافت أن هوايت ذكرت أن سوزان ترغب في تقديم المشورة للأمهات من صغار السن اللائي يعانين من الاكتئاب بعد خروجها من السجن.

وأوضحت هوايت قائلة: "كأنها تريد أن تقول للناس إنني كنت أمًّا جيدة. فقد كنت أحب أطفالي. ولكنني أخطأت. وإنني مستعدة لتقديم المساعدة لمن أراد".

وأضافت "إنها تريد أن تصبح عضواً صالحاً في المجتمع، فلِمَ لا نعطيها الفرصة"؟!.

■■■

١٧

اليهودية روكسلانا ..

خائنة الإمبراطورية العثمانية !!

ooo

بعد أن قويت شوكة المسلمين في القرم وأصبحت أغلب المناطق التي عُرفت فيما بعد بالاتحاد السوفييتي خاضعةً لحكمهم زهاء ثلاثة قرون، بدأ الروس يهاجمون المسلمين واستولوا على الجزء الشمالي من شبه الجزيرة عام ١٠٩١هـ (١٦٨٠م)، وحينها هبّت الدولة العثمانية لنجدة التتار المسلمين، وتحالفت معهم قرابة قرنٍ من الزمان لصد أي عدوان روسي.

ثم ضعف أمر المسلمين وضعفت الخلافة الإسلامية العثمانية التي كانت رمزًا لوحدة المسلمين، وقوةً تُدافع عنهم وعن قضاياهم لأسباب عدة؛ كان منها زواج السلاطين بغير المسلمات؛ كزواج السلطان "سليمان القانوني" بـ"روكسلانا" الروسية التي لعبت دورًا خطيرًا في سقوط القرم ؛ حيث جعلت زوجها السلطان العثماني يمنع المسلمين في شبه جزيرة القرم من محاربة الروس؛ حتى تمكّن الروس بموجب اتفاقية "كوتشوك كاينارجي" .

في ٢١ يوليو ١٧٧٤م تم فصل القرم عن سيادة الدولة العثمانية وإعلانها دولة مستقلة، ثم توالت النكسات .

نقضت الإمبراطورة الروسية "كاترين الثانية" العهود والاتفاقيات الموقَّعة مع الدولة العثمانية، واستولت على شبه جزيرة القرم في ٨ أبريل ١٧٨٣م (١١٩٨هـ) وضمتها إلى الإمبراطورية الروسية، وكانت هذه الإمبراطورة شديدة التعصب للمسيحية، وبدأ منذ ذلك الوقت الاضطهاد الديني ضد المسلمين في القرم.

لقد تغلغل اليهود في جسد الدولة العثمانية في أواخر عهد السلطان سليمان القانوني والذي يعتبر من أعظم السلاطين العثمانيين منذ أن تزوج من الجارية اليهودية روكسلانا والذي أهديت له أو دُست في مخدعه من قبل حكماء صهيون من بقايا يهود الخزر والذي قوض العثمانيين مملكتهم وشردوهم في أوروبا وقد نجحت روكسلانا في استنبول كما نجحت قبلها أستير في بلاط الأمبراطورية الفارسية وأقنعت السلطان سليمان القانوني في آخر أيامه من خلع ابنه محمد عن ولاية العهد وتنصيب ابنه سليم (ابن روكسلانا) وليا للعهد والذي أصبح فيما بعد (السلطان سليم) ومنذ أن اعتلى سدة الحكم أصبح اليهود أصحاب النفوذ الأقوى في البلاط العثماني لدرجة أن وصل عدد الوزراء اليهود في البلاط العثماني ٤ وزراء مقابل وزير عربي واحد مع العلم بأن نصف مواطني الأمبراطورية كان من العرب.

كانت روكسلانا كسيرة ، حين دخلت البلاط السلطاني لأول مرة، كأية جارية مهداة إلى أعظم سلاطين ذلك الزمان.

مجرد هدية متواضعة هي عندما أهداها تتار القرم للسلطان سليمان الأول، أعظم سلاطين الدولة العثمانية.

كانت تسمى خرم (أي الباسمة)، وكان لها جمال يفوق الوصف، إلا أنها كانت يهودية..

إنها روكسلانا..المرأة التي نكست رأس أعظم امبراطورية عرفها التاريخ الحديث.

تفيد بعض المراجع التاريخية ان تلك الصبية الرائعة الحسن والجمال أعطيت اسم " حوريم " عندما أدخلت إلى البلاط العثماني عام ١٥٢٠، وهو اسم يعني السعادة والمرح، لأن الابتسامة وحيوية التعبير لم تكونا تفارقان محياها.

وفي ذلك الحين، لم يكن يعرف عن تلك الصبية الحسناء، التي تمكنت، خلال عام واحد فقط، من الاستحواذ على قلب السلطان العثماني سوى أنها تنحدر من أصل سلافي أو بولوني، وأنها تدعى (روكسلانا). وفيما معظم القليل المعروف عن نشأتها وحياتها السابقة يعتمد على الروايات والأحاديث المنقولة، فإن مراحل وتفاصيل حياتها بعد زواجها من (السلطان سليمان) موثقة جيدا وهي في غاية الدقة والوضوح وتفيد أنها أنجبت له بين الأعوام ١٥٢١ و١٥٢٥ خمسة أطفال هم (محمد) وابنتها الوحيدة (ميريما)، و(سليم) (الذي أصبح لاحقا السلطان سليم الثاني) و(بيازيد)، وفي عام ١٥٣١، أنجبت له صبيا خامسا سمي " جهانجير ".

بذلت روكسلانا أو " حوريم " جهودا مضنية لتمحو العاطفة التي يكنها السلطان لخليلاتها الأخريات المفضلات مثل (ماهيدوران) و(غولبابار)، ولم تعدم وسيلة لتحقيق هذه الغاية .

افتتن السلطان سليمان بجمالها حين وقعت عيناه عليها لأول مرة، لدرجة جعلته يتخلى عن قيادة حملاته العسكرية، وكان قد قاد ١٢ حملة عسكرية بنفسه، ليمكث مع تلك الفاتنة إلى الراحة والدعة.

أعتقها ثم تزوجها، فزادت منزلتها في البلاط السلطاني، وخاصة بعد أن أنجبت له (سليما)، قبل أن تبدأ في التخطيط لإزالة الابن البكر مصطفى من خلافة أبيه، فاستغلت وفاة الصدر الأعظم ياسر باشا ليتم تعيين لقيط كرواتي يدعى رستم باشا، والذي تدرج إداريا في الدولة.

ولم يكن رستم باشا هذا سوى تحفة من صنائع روكسلانا، حتى إنها استطاعت أن تقنع السلطان بتزويج ابنتها منه، حيث إن العثمانيين لم يكونوا يهتمون بالنسب بقدر ما يهتمون بكون المرء عثمانيا.

واستغل رستم باشا الأحداث التي كانت تجري بين الفرس والدولة العثمانية عام ٩٥٤ هـ، حيث كان مصطفى يقود جيش الدولة العثمانية في محاربتها للصفويين، فكتب للسلطان سليمان بأن ابنه يعتزم اغتصاب الخلافة كما فعل جده سليم الأول بأبيه بايزيد، وهو يحرض الإنكشارية على ذلك.

وامتلأ صدر السلطان سليمان غضباً على ولده مصطفى، فاستدعاه يوم ١٢ شوال سنة ٩٥٤ هـ إلى خيمته ثم أمر بعض الخدم فخنقوا مصطفى حتى قتلوه، وعندما بلغ الخبر الناس ثارت الإنكشارية وهموا بعمل انقلاب، وطالبوا السلطان بقتل رستم باشا إلا أنه اكتفى بعزله لتهدئة الاضطرابات، وعين بدلا منه أحمد باشا، لكن روكسلانا استطاعت إقناع السلطان سليمان بقتل الصدر الجديد، ليعود زوج ابنتها مرة أخرى للصدارة العظمى.

ولم تكتف روكسلانا بذلك، بل أرسلت إلى مدينة بورصة من يقتل ابن مصطفى، وكان طفلا رضيعا.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، فقبل موتها استطاعت روكسلانا بدهائها أن تدبر مكيدة لابن آخر للسلطان وكان يدعى بايزيد، فبتحريض من لالا مصطفى مربي سليم تمرد الابن بايزيد على أبيه، لكنه هُزم، ففر إلى إيماسيا ومنها إلى بلاد

الفرس، حيث التجأ هو وأولاده عند السلطان طهماز شاه الصفوي، والذي غدر بهم وسلمهم لرجال السلطان العثماني فقتلوهم جميعا في مدينة قزوين، في حين قام السلطان سليمان بقتل حفيده ابن بايزيد في بُورُصَّة.

ولم يكن هذا فقط هو الدور الذي قامت به روكسلانا، فلأنها من أصل روسي توسطت عند السلطان سليمان ليمنع المسلمين في شبه جزيرة القرم من محاربة الروس وكف أيديهم عنهم.

لكن القيصر إيفان الثالث والمعروف بالرهيب للأفعال الرهيبة التي فعلها مع المسلمين، استطاع توحيد الروس، فأغاروا على القرم داخل بلادهم وسيطروا عليهم، وظلوا يحاربون الدولة العثمانية حتى سقطت في نهاية الأمر.

هذا بالإضافة لما حدث في الأندلس عندما سقطت في يد الصليبيين حيث كان بها أعداد كبيرة من اليهود الذين لاقوا أسوأ معاملة من الصليبيين الذين خيروهم بين اعتناق النصرانية أو الرحيل من الأندلس، فاضطر الكثيرون للدخول في النصرانية، في حين رحل الباقون، وهنا استطاعت روكسلانا أن تجعل السلطان سليمان يقبل وفودهم إلى الدولة العثمانية، حيث كان لهم أكبر الأثر في سقوط الدولة العثمانية، حيث عرفوا بيهود الدونمة.

وبوفاة السلطان سليمان الأول، أصبح ابنه سليم والذي يعرف بالسلطان سليم الثاني الحاكم الشرعي للدولة العثمانية، والذي خلد التاريخ مدى انحطاطه لما عرف عنه، فقد كان كثير السكر، وكان عهده هو عهد بداية الضعف في الدولة العثمانية.

وكتب السفير النمساوي غيزلان دوبوسبك ، الذي خدم في تركيا بين ١٥٥٥ و١٥٦٢، في مذكراته يقول : حصل سليمان على بضعة أبناء آخرين من روكسلانا (السلطانة حوريم) الذي دفعه حبه لها إلى منحها موقع الزوجة الشرعية وتخصيص

(مهر) من أجلها. ومعروف ان تخصيص المهر هو الأسلوب الأضمن لإعلان الزواج الشرعي عند الأتراك. وبهذه الطريقة، سجل (سليمان) سابقة، وخرج على التقاليد والعادات التي كانت معتمدة لدى من سبقه من السلاطين).

وكتب الديبلوماسي النمساوي " هانز ديرنشاوم "، وكان أمضى بعض الوقت في اسطنبول عام ١٥٥٥ في مذكراته : " إن سليمان وقع في حب تلك الفتاة المجهولة العائلة، والتي يغلب الظن بأنها من أصل روسي، فأعتقها وتزوجها وسمح لها بالانتقال للعيش معه في نفس القصر ".

ويلفت " ديرنشاوم " إلى أن جميع طلباتها كانت مجابة من دون قيد أو شرط، وكانت هي التي طلبت أن يتم نقل مقر الحريم الإمبراطوري من قصر " بيازيد " القديم، إلى قصر " توبكابي "، لتكون على مقربة من سليمان. ويقول: " كان نفوذها على السلطان عظيمًا لدرجة دفعت البعض إلى التكهن بأنها ربما تكون سيطرت عليه بفعل السحر .. لكن من المهم، وفي جميع الأحوال، أن نعرف بأن روكسلانا أو حوريم حققت غاياتها وأهدافها بفضل الذكاء والطموح والحب !

أعلن سليمان وحوريم حبهما، الواحد للآخر، عبر القصائد الشعرية والرسائل أيضا، وغالبا ما كان يخاطبها على أنها المليكة والحبيبة والقمر المتلألئ ورفيقة الدرب الطويل وكل شيء.. وطبعا لم يكن لينسى ان يناديها بـ السلطانة.

وفي إحدى رسائلها إلى سليمان، كتبت حوريم تقول: يا سيدي ويا سلطاني، مر شهر ونصف الشهر من دون أن أتلقى أخبارا من سلطاني.. لا أعرف طعم الراحة من دون أن أرى وجهك كل يوم، وأمضي ليلي ونهاري في الندب والبكاء.. لقد أثقلت على حياتي وضاق العالم في عيني وأنا بعيدة عنك.. إني أترقب رؤيتك بفارغ الصبر.

وفي رسالة أخرى، كتبت له تقول: يا سيدي، أنت شمسي وسلطاني ومنبع سعادتي، أريد أن أسجد وألثم قدميك بدموعي وقبلاتي.. إن حبي لك جنوني.

وتفيد المراجع أن المبعوثين الأجانب إلى اسطنبول كانوا يحملون الهدايا النفيسة إلى السلطانة حوريم. ومن جهتها، ارتبطت حوريم ، عن طريق المراسلة، بعلاقات صداقة مع عدة ملكات في العالم، ومع شقيقات الشاه " تحمسب " ، ملك بلاد فارس آنذاك. إنه عندما لجأ الأمير الفارسي " إلكاس ميرزا " إلى البلاط العثماني، عاملته بكل الحنو والعطف الذي قد تكنه أم لولدها، وخاطت له بنفسها، قيمصا حريريا وثوبا مطرزا بالذهب.

وتذكر بعض المراجع أن السلطانة روكسلانا أو حوريم ساهمت إلى حد كبير في فرض ذوقها في الأزياء على نساء ذلك الزمن وأثرت فيهن بتسريحة شعرها غير المألوفة وملابسها وحليها. وظهرت في لوحة بريشة الفنان " جاكوبو تينتوريتو" وهي ترتدي قفطانا حريريا بأكمام طويلة وياقة عنق مثنية إلى الخلف و"هوتوز" (نوع من الرداء).

أما الفنان " ملشيور لوريكس" فأحب أن يظهرها في لوحته كامرأة جميلة ممتلئة قليلا وتحمل زهرة في إحدى يديها، وتضع أقراطا من اللؤلؤ في أذنيها، وتضفر شعرها.. ويضم متحف قصير " توبكابي" لوحة أخرى للسلطانة تظهرها في شكل امرأة ذات وجه صغير نحيل، وعينين سوداوين واسعتين، وثغر صغير وترتدي (هوتوز) مرصعا باللآلئ والأحجار الكريمة، إضافة إلى أقراط أذن هلالية الشكل. واللوحة في مجملها، تظهر امرأة تبث الجمال وقوة الشخصية والشكيمة.

ويروي التاريخ كيف كانت السلطانة روكسلانا تحيك المكائد والمؤامرات، وأنها دبرت اغتيال الوزير الكبير إبراهيم باشا وابن زوجها مصطفى وكان الابن الأكبر لسليمان من خليلته "ماهيدوران" . كما تآمرت لتنصب ابنها " بيازيد " وليا للعرش.

ومن جهة أخرى، خبرت السلطانة حوريم " روكسلانا " المأساة والفاجعة مع الوفاة المبكرة التي لحقت بابنيها (محمد) و(جهانجير)، وأمضت ما تبقى من حياتها معتلة الصحة، وفي شبه عزلة.

■ ■ ■

١٨

كريستين كيلر ..

فتاة المَسْبَح العارية !!

ooo

لعب الجنس ولايزال دورا كبيرا في عالم الجاسوسية وذلك لأنه قوة عاتية تسيطر على العقول فتتحكم فيها كيفما تشاء ، وعلى الرغم من أن السياسيين يتعلمون في بداية مهنتهم الحذر من الجنس وأنه من أقدم وأشهر الوسائل للإيقاع بهم بواسطة الجواسيس، لأنه يخدر العقول ويأسرها ويلغي أي سيطرة عليها ، إلا أنهم كثيرا ما يقعون في شراكه المميتة !!

الضحية هنا وزير بريطاني، ذو منصب حساس وخطير وغير قابل لأن يكون شاغله من الأشخاص الهوائيين، أو ممن يسهل التأثير عليهم أو جذبهم في علاقات مشبوهة تعرض أمن بلدهم ودولتهم للخطر، الوزير هو "جون برونيمو"، ومنصبه هو وزير دفاع المملكة المتحدة (بريطانيا).

وكالعادة فإن النساء مارسوا عادتهن معه في إسقاطه، وفتاة هذه الحلقة هي ليست مجرد فتاة عادية، بل مختلفة تماماً عن معظم بنات جنسها، فهي على قدر عالٍ جداً من الجمال والذكاء، يضاف إلى جمالها وذكائها مهمة أخرى أكثر خطراً وهي الجاسوسية، حيث جندت للإيقاع بوزير الدفاع البريطاني من قبل أجهزة المخابرات السوفيتية، وإقامة علاقة غير شرعية معه، واستدراجه للحصول على معلومات معينة كلفها بجمعها من تعمل لحسابهم.

والبداية انطلقت من مكتب في وسط لندن وفي أكثر أحيائها ثراءً، كان عبارة عن عيادة لأشهر طبيب عظام في ذاك الوقت واسمه "د.ستيفن وارد"، وكانت شخصية هذا الدكتور شخصية حقيرة وقذرة فالبرغم من مكانته العلمية والاجتماعية العالية، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يقيم علاقة غريبة بين طبقتين من المجتمع، وأن يعيش بين هاتين الطبقتين بقناعين مختلفين تماماً عن بعضهما البعض.

القناع الأول يرتديه أثناء عمله بعيادته ولقاءاته مع كبراء قومه. والقناع الثاني يرتديه في حفلاته الخاصة التي يقيمها مع طبقة شاذة من المجتمع تحوي المومسات والعاهرات وفتيات الليل، وكان هذا الدكتور يقوم بالجمع بين الطبقتين في حفلات خاصة في قصره أو في مزرعته لخدمة أهداف ومطامع ذاتية تعود عليه بالنفع والمادة.

ومن بين مرضى "د.ستيفن" كان السير "كولن كوت" رئيس تحرير صحيفة "الديلي تلجراف" الذي كان يُعالج من مرض "اللومباجو"، وفي أحد لقاءاته معه عرّفه الأخير بالكابتن "يوجيه إيفانوف" الملحق العسكري الروسي في بريطانيا،

والذي كان ضمن وفد يزور الصحيفة للاطلاع على أحدث ما تم التوصل إليه في سير العمل الصحفي، وكان إيفانوف هذا يشترك مع د.ستيفن في أنه زير نساء، ويحب أن يقيم علاقات عديدة معهن، لذلك اتفق الاثنان على تحقيق اللذة المنشودة كلٌّ عن طريق الآخر

أما الفتاة اللعوب التي أوقعت بالوزير فهي "كريستين كيلر" وكانت تعمل في ملهى ليلي في أحد شوارع لندن، ووظيفتها في هذا الملهى هي أن تسير بين (طاولات) الزبائن عارية، نظراً لما تتمتع به من جمال باهر وجسم فاتن، وقد التقى بها د.ستيفن أثناء إحدى سهراته، فدعاها لشقته، وقدم لها المخدرات إضافة للجنس، بعدها تحولت الفتاة إلى مدمنة، وأصبح فراقها عنه شبه مستحيل، لذلك بدأت تستجيب لكل طلباته وأوامره مهما كان الثمن.

وفي إحدى المرات كان الدكتور في زيارة لواحد من أصدقائه الأثرياء في مقاطعة "كليفيدين" اسمه "لورد استور" وهو ثالث أغنى رجل في بريطانيا، وقد تعرف عليه بعد أن قام بعلاجه من كسور خطيرة تعرض لها نتيجة حادث وقع له، وقد أهداه "اللورد استور" منزلاً ريفياً جميلاً في هذه المقاطعة وسمح له باستخدامه هو وأصدقاؤه في أي وقت يشاء، وقد اصطحب معه "كريستينا" في هذه الزيارة، هي ومجموعة من الأصدقاء من بينهم الكابتن "إيفانوف" الملحق العسكري الروسي الذي تعرف عليه في صحيفة "الديلي تلجراف" بمكتب رئيس تحريرها، وسرعان ما قامت علاقة غرامية متبادلة بين إيفانوف وكريستينا وبعدها تعددت اللقاءات والحفلات الخاصة.

إلى هنا والسيد "جون بروميمو" وزير الدفاع لم يكن التقى بتلك الفتاة ولا تعرف عليها، حتى جاء وقت كانت فيه كريستينا في زيارة "لكليفيدين" وقابلت "بروميمو"، في منزل اللورد "استور" لكن كان لقاءً عادياً لم يجذب أيًّا من الطرفين الآخر إليه، وبعد عدة أسابيع من هذا اللقاء، عاد "بروميمو" إلى زيارة اللورد "استور" في

منزله الذي سكنته كريستينا لكن لقاءه معها هذه المرة كان لقاءً مختلفاً تماماً عن لقائه السابق.

فقد كانت هذه الفتاة تستحم عارية تماماً في حمام السباحة الملحق بالمنزل وحينما شعرت بأقدام تقترب من الحمام سارعت في الخروج من المسبح لارتداء ملابسها، لكن كانت هناك يد سبقتها إليها وقذفت بهذه الملابس بعيداً حتى يستمتع "بروميمو" أكثر بمنظرها وبجمال جسمها.

ولم يستطع الوزير أن يتحمل جمالها الصارخ، وأرقت ليله وباته سهران يفكر فيها، وصمم على أن يلتقي بها وكان له ما أراد بعد أن تكفل بذلك صديقه اللورد "استور" وأصبح الوزير والفتاة عاشقين، يجتمعان ويذهبان معاً في أماكن خاصة لقضاء بعض الوقت والاستمتاع، بل إنه كان يأخذ سيارته الحكومية مصطحبها معه ليفرجها على مبنى البرلمان ومنزل رئيس الوزراء في داوننج ستريت، وتعددت لقاءاتهما في شقة "وارد" وقد استطاعت هذه الفتاة أن تجمع على فراشها الملحق العسكري الروسي ووزير الدفاع البريطاني.

لكن الأمور لم تظل على ما يرام فقد شعرت الفرقة إم - ١٥ (M - 15) في شعبة مكافحة الجاسوسية في لندن بالقلق إزاء تشعب علاقة د. ستيفن بالعديد من الرجال ذوي المناصب الحساسة بالدولة، لكن ملفه كان يغلق دائما كلما فتحته هذه الفرقة لعدم وجود أدلة لإدانته.

وبعد مناقشات كثيرة قرروا الاستفادة في الشعبة من "ستيفن" هذا في أن يقوم بتوفير الجو الملائم والترفيهي للدبلوماسيين الأجانب الذين يزورون بريطانيا، بعدها طلبوا منه معلومات كافية عن "إيفانوف" الذي كان على علاقة بكريستينا "لأنهم اكتشفوا أنه جاسوس سوفيتي خطير، وعلى الفور تدخلت هذه الفرقة لدى وزير شؤون مجلس الوزراء السير "ثورمان يورك" كي يبعد وزير الدفاع عن هذه الفتاة اللعوب بأسرع وقت. أمَّا "إيفانوف" فقد شعر بحاسته الأمنية أنه في خطر،

وأنه قد يقبض عليه في أي وقت فأبرق لقيادته في موسكو فأرسلوا إليه تعليماتهم بأن يترك لندن على الفور لكنه قبل سفره حرص على أن يأخذ معه كل الأشرطة التي سجلها د. ستيفن لبعض الدبلوماسيين الأجانب في لقاءاتهم الخاصة مع بعض الفتيات، لاستعمالها فيما بعد لأغراض ابتزازية.

نجح إيفانوف في الفرار من لندن مع هذه الأشرطة، بعدها أقامت كريستينا العديد من العلاقات الشاذة بمساعدة د.ستيفن إلى أن تعرضت لمحاولة اغتيال من واحد من الذين كانت تمارس معهم الرذيلة، وأحست برعب شديد بعدها ولم تفلح معها كل المحاولات التي بذلت لتهدئتها، حتى أنها أصبحت تهذي بعلاقاتها مع الكبار في (الكباريهات) والملاهي كي تطمئن نفسها أن لا أحد يستطيع أن يقتلها، إلى أن ساق القدر محررين كانا يعملان في صحيفة "بيكتوريال" لأحد هذه الملاهي واستمعا إلى هذيانها وذكرها لاسم وزير الدفاع فقاما بنشر كل ما سمعاه، بعدها حدثت ضجة في الشارع الإنجليزي ومجلس العموم، ليقف وزير الدفاع مدافعاً عن نفسه نافياً كل كلمة كتبها هذان المحرران، طالباً بأن تدفع الجريدة التعويض المناسب له وتكذب كل ما نشرته، لكن الأدلة كانت كثيرة ضده، خصوصاً تلك التي قدمتها الفرقة (M - 15) وحينما زادت الضغوط عليه، اعترف لزوجته بكل شيء فنصحته بأن يذهب لرئيس الوزراء لمقابلته ومصارحته بكل شيء.

لكن رئيس الوزراء "هارولد ماكميلان" في ذاك الوقت رفض مقابلته فلجأ إلى مدير مكتبه كي يكتب أمامه اعترافاً كاملاً بكذبه أمام مجلس العموم مرفقاً بهذا الاعتراف استقالته، وكما تقتضي الأعراف كان عليه الذهاب إلى مقر "باكنجهام" لتقديم إخلاء طرفه إلى الملكة، ولكنه لم يذهب وأرسل شخصاً ينوب عنه لمقابلة الملكة، بعدها تم القبض على د. ستيفن وارد وأودع السجن وأغلق مكتبه الفخم في وسط لندن، وأثناء التحقيق معه كشف عن أنه كان واحداً من شبكة جاسوسية هو وكريستينا، كونها الملحق العسكري السوفيتي السابق في لندن، ووجد بعد فترة منتحراً داخل السجن.

أما الفتاة فقد حكم عليها بالبراءة لعدم بلوغها السن القانوني وتقديم المعلومات المطلوبة منها بحسن نية ودون دراية بما كان يحاك حولها، ووقف زير الدفاع أمام "لورد وينج" أشهر قضاة لندن والذي كان يتولى التحقيق في هذه القضية، وبعد أن هدأت العاصفة قليلاً حول "بروميمو" قرر أن يعتزل الحياة السياسية ككل وفضل أن يعيش في زاوية النسيان في غرب لندن متطوعاً في منظمة خيرية تساعد المتخلفين عقلياً والمعاقين وذوي العاهات ليسدل بذلك الستار على واحد من أشهر الشخصيات العسكرية والإنجليزية فترة الستينيات الميلادية.

وهكذا كان جون بروفيمو ذا منصب حساس وخطير وغير قابل لأن يكون شاغله ممن يسهل التأثير عليهم أو جذبهم في علاقات مشبوهة تعرض أمن بلدهم ودولتهم للخطر ، فيتم تجنيد مواطنته كريستين كيلر من قبل أجهزة المخابرات السوفيتية لتقيم علاقة غير شرعية معه ، و تستدرجه للحصول على أسرار في غاية الخطورة كلفتها بجمعها من تعمل لحسابهم.

لقد تعاقب على حكم بريطانيا في عهد الملكة اليزابيث الثانية ١٢ رئيسا للوزراء حتى العام ٢٠٠٨ بعضهم شغل الوزارة أكثر من مرة ، و لكن يبقى هارولد ماكميلان هو الأتعس حظاً فيمن شغلوا هذا المنصب ، والسبب تورط وزير حربيته الأشهر جون بروفيمو في علاقة جنسية مع كريستين كيلر التي خانته ، و خانت بلدها ، حيث كانت في ذات الوقت على علاقة مع الملحق العسكري السوفيتي، و كانت تتجسس على بريطانيا لحساب السوفييت و تنقل لهم أدق و أخطر الأسرار !!

ورغم مرور ما يقرب من نصف قرن على أكبر قصة خيانة بطلتها امرأة تشهدها أوربا في تاريخها الحديث ، و التي تفجرت معها فضيحة سياسية مدوية ، أطاحت بحكومة ، وأجهزت على مستقبل سياسيين لامعين ، إلا أن البريطانيين – و حتى يومنا هذا – لا يستطيعون نسيان كريستين كيلر ، أشهر خائنة ، و أخطر جاسوسة استخدمت حسنها الطاغي ، و جمالها الأخاذ ، في نسج خيوط شبكتها العنكبوتية

حول أشهر وزير عرفته بريطانيا – آنذاك – وتصويرها العديد من المشاهد الفاضحة مع كبار السياسيين في بريطانيا .

و رغم مرور كل هذا الوقت ، إلا أنه لا تزال الكتب و الدراسات التي تحمل المزيد من الأسرار تخرج كل يوم لكى تروى ما يرضي نهم الشعب البريطاني الذي لا يزال ينتظر ما يضيف إلى ما يعرفه من خفايا و خبايا هذه الفضيحة !!

لقد كان عام ١٩٦٣ هو أسوأ عام في تاريخ بريطانيا .. هو كما يقول الانجليز ففي هذا العام.. عاشت بريطانيا أشهر فضيحة في القرن العشرين.. فاحت منها رائحة الخيانة المغلفة بالجنس والجاسوسية ، وكشفت عن الانحلال الخلقي داخل المجتمع البريطاني آنذاك .. و أصبح لقب كريستين كيلر هو " الراقصة العارية" التي أسقطت حكومة حزب المحافظين ، وغيرت إلى الأبد نظرة التقديس التي كان يكنها البريطانيون لرجال السياسة بعد أن ثبت تعاونها مع المخابرات السوفياتية!!

وكان وزير الحربية البريطاني بروفيومو، خريج هارو وأكسفورد قد اضطر للاستقالة من حكومة هارولد ماكميلان عام ١٩٦٣ بعد أن كذب على البرلمان البريطاني حول علاقته بالآنسة كيلر، وكانوا يصفونها آنذاك بالمرأة المُغْوِيَة ، والفاتنة عند الطلب ثم " التورتة " المحشوة بالعسل.

وقال بروفيومو لأعضاء البرلمان إن علاقته بها كانت محتشمة لم ترق لغير ذلك، وفي الحقيقة كان الوزير قد التقى بعارضة الأزياء ذات التسعة عشر ربيعاً قبل ذلك بعامين عندما رآها تسبح في حوض سباحة خاص باللورد أستر وبدأ معها علاقة حميمة في الوقت ذاته الذي كانت تبادل فيه الحب الملحق البحري الروسي في قمة أيام الحرب الباردة .

في عام ١٩٦٣ كان الدكتور ستيفن وارد طبيباً حسن السمعة في مجال تقويم العظام، وذلك في الظاهر أمام الطبقة الأرستقراطية البريطانية العليا، وكان

فناناً موهوباً وقد جلس إلية رجال مشهورون ليحظوا برسم من ريشته، ولكن ما لم يعرفه زبائنه في المجالين عنه صلته المريبة بالحسناوات وتخصصه في دعوة الكبار لحفلات ماجنة، وكانت نجمة حفلاته الصاخبة الآنسة كريستين كيلر، وكان من أصدقائه وزبائنه جون بروفيومو، وكان الدكتور وارد يعمل أيضاً في خدمة المخابرات البريطانية حيث يقدم الحسناوات لرجال السلك الدبلوماسي الأجنبي ويأخذ صورهم في أوضاع مشينة تستغلها المخابرات في تجنيدهم لمصلحتها، ولم تعرف أن السحر سينقلب على الساحر.

في عام ١٩٥٦ اعتنق الدكتور وارد الشيوعية مذهباً وعقيدة، وفي عام ١٩٦١ عرف الدبلوماسي الروسي إيوجين إيفانون بنجمته الراقصة كريستين كيلر، وكان إيفانون ملحقاً بحرياً بسفارة روسيا لدى لندن في ظاهر الأمر، ولكنه كان مجنداً من قبل المخابرات الروسية .

وهكذا التقى وتصادق الرجلان د. وارد و(إيفانون)، وكل منهما في خدمة المخابرات، وكان الروسي يصر على الدكتور وارد بأن يظهر حماسه للنظام الشيوعي الذي اعتنق مبادئه بإثبات ولائه من خلال التجسس لصالح الروس وتجنيد حسناواته لهذا الغرض، وكان بروفيومو سيء الحظ قد وقع في حبائل كريستين كيلر فأوحى إليها (وارد) بمحاولة استدراج وزير الحرب البريطاني بروفيومو للبوح لها بسر يحاول الروس الحصول عليه، فقد كان السوفييت يرغبون في معرفة ما إذا كانت الولايات المتحدة الأميركية ستزود ألمانيا الغربية بقنابل نووية.

وقد بدأت الخيانة من مكتب في وسط لندن وفي أكثر أحيائها ثراءً، كان عبارة عن عيادة لأشهر طبيب عظام في ذاك الوقت واسمه "د.ستيفن وارد"، وكانت شخصية هذا الدكتور شخصية حقيرة وقذرة فالبرغم من مكانته العلمية والاجتماعية العالية، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يقيم علاقة غريبة بين طبقتين من المجتمع، وأن يعيش بين هاتين الطبقتين بقناعين مختلفين تماماً عن بعضهما البعض.

القناع الأول يرتديه أثناء عمله بعيادته ولقاءاته مع كبراء قومه. والقناع الثاني يرتديه في حفلاته الخاصة التي يقيمها مع طبقة شاذة من المجتمع تحوي المومسات والعاهرات وفتيات الليل، وكان هذا الدكتور يقوم بالجمع بين الطبقتين في حفلات خاصة في قصره أو في مزرعته لخدمة أهداف ومطامع ذاتية تعود عليه بالنفع والمادة وذلك كما ذكرنا سابقا.

وبدأت كيلر وهي في مقعد الشهود بالمحكمة تفضفض بما سئلت عنه وما لم تسأل عنه وقالت إنها على علاقة بأربعة رجال: تاجر المخدرات، والدكتور وارد، والملحق العسكري الروسي إيفانون ثم فجرت قنبلة حين أضافت لهذه الأسماء اسم وزير الحربية البريطانية بروفيومو في عز أيام (الحرب الباردة).

وقالت نكاية في الوزير الذي أعلن قطع صلته بها قبل ذلك بأيام إنها لا تعرف كيف أن وزيراً في الحكومة يتخلى عن مسؤولياته ويعاشرها رغم أنه متزوج، ولم تكتف بذلك بل قالت إن الدكتور وارد قد أجبرها على الحصول على معلومات سرية من الوزير، وقد فعلت، وحملت شرطة إسكتلنديارد على د. وارد لتخفيف الضغط الصحفي عن الوزير، وأعلن الوزير بدوره أنه لا علاقة له بهذا الوضع المشين، ولكن أحداً لم يصدقه من زملائه في مجلس العموم البريطاني فقد فاحت الرائحة.

وفي الرابع من يونيو لعام ١٩٦٣ قدم جون بروفيومو مضطراً استقالته من منصبه كوزير للحربية البريطانية، واعتقدت كريستين كيلر أن اعترافها بالتجسس لصالح الروس سيزيد من شهرتها وأنها وقد لعبت دور الجاسوسة في الواقع سيتاح لها تمثيل هذا الدور في أفلام جيمس بوند (٧٠٠) ولكنها حظيت بدور ثانوي ثم طواها النسيان !!

وفي الوقت الذي كرس فيه بروفيومو حياته عقب تركه العمل السياسي للاعمال الخيرية ، أظهر بعض الساسة البريطانيون تعاطفًا معه ، و أنه كان ضحية سقوطه أسيرًا في براثن فتاة استخدمت مكرها و دهاءها و الأخطر جمالها و سحرها للإيقاع به .

وقد منحت الملكة إليزابيث الثانية ملكة بريطانيا بروفيومو عام ١٩٧٥ لقباً ملكياً تقديراً لخدماته الخيرية للمحرومين والمعوزين في القطاع الشرقي من العاصمة البريطانية .

وفي عام ٢٠٠٣ بدأت حملة من كل الأحزاب البريطانية تطالب بمنح العجوز بروفيومو عضوية المجلس الاستشاري (مجلس الملكة الخاص)، وقد قام بتكريمه بعد ذلك رئيس الوزراء – آنذاك – جون ميجور لأعماله الخيرية، وكان ضمن ٦٥٠ ضيفاً في الاحتفال ببلوغ رئيسة الوزراء السابقة البارونة مارجريت تاتشر – آنذاك- الثمانين من عمرها وكان الرجل في التسعين.

صور الوزير في الحفل أعادت للأذهان من جديد اسمي كريستين كيلر وبروفيومو، ثم أضرم النار من جديد في القصة القديمة مسلسل وثائقي لقناة التليفزيون البريطاني (BBC-2) يحكي قصة الجاسوسة كيلر والوزير، وقد حدث ما حدث للوزير ولكن ماذا حدث للآنسة كيلر؟

تزوجت كيلر مرتين وأنجبت ابنين، وعملت في مصبغة لغسل وكي الملابس، وظهرت في مجلة " للرجال فقط "، واستخدمتها إحدى المدارس ولكن مديرها سرعان ما طردها حين علم بقصتها.

وفي عام ٢٠٠١ ، أصدرت كريستين كيلر كتابا بعنوان " أخيرا الحقيقة..قصتي"..
وهو اعترافات لصاحبة أشهر فضيحة في القرن العشرين ، التي أنهت مستقبل جون بروفومو وزير الدفاع ، وأسقطت حكومة المحافظين التي رأسها هارولد مكميلان.

وفي الكتاب اعترفت لأول مرة و بنفسها عما حدث في بريطانيا في أوائل الستينيات وعرف باسم فضيحة العصر .

وكشفت كيلر أن ستيفن وورد الرجل الذي عرفها على بروفيومو وعلى الجاسوس الروسي كان جاسوسا للروس، وأنها شهدت لقاءات بينه وبين سير روجرز هوليس

مدير الإم آي فايف فرع من جهاز المخابرات البريطانية. واتهمت هوليس أيضا بالتجسس لصالح الروس.. واعترفت أنها سلمت نيابة عنهما وثائق للسفارة السوفيتية.

وتنفي كيلر في كتابها أنها كانت عاهرة وتؤكد أن التقرير الرسمي عن الفضيحة عمد إلى تشويه صورتها في محاولة لتقليص حجم فضيحة التجسس وتحويلها لفضيحة جنسية وقصة حب بين عاهرة ووزير وجاسوس .

وتتعجب كيلر عن السرعة التي غفر بها البريطانيون لبروفيومو الذي كذب على مجلس العموم. ثم عاد واعترف بالحقيقة واستقال . لقد وصفت مرجريت تاتشر بروفيومو بأنه بطل قومي. أما هي فمازالت العاهرة التي ينبذها الجميع حتى أمها وابنها يلفظونها.. وتعيش وحيدة مع قط من الشارع يرفض أن يلمسه أحد.. تحاصرها الديون كما تقول لمراسلة الإندبندنت.

وتقول كيلر إن طفولتها كانت صعبة.. في السابعة عشرة من عمرها.. فرت إلى لندن وعملت راقصة في ملهى مستغلة جمالها الساحر وهناك التقت بستيفين وورد الذي قدمها للمجتمع الراقي وعرفها على بروفيومو الذي سقط في حبالها منذ اللحظة الأولى حتى إنه لم يستطع منع نفسه من مغازلتها رغم وجود زوجته معه.

كما عرفها على الجاسوس الروسي إيفانوف الذي كان يجمع معلومات عن سياسة بريطانيا العسكرية وترسانتها والصواريخ الجديدة والطائرات والغواصات والخطط الاستراتيجية لحلف الأطلنطي والعلاقات الأمريكية البريطانية الخاصة..

ومن أخطر ما جاء في الكتاب هو ما كشفت عنه بالنسبة لجريمة اغتيال الرئيس الأمريكي – آنذاك – جون كيندي : " بدلا من الحقائق التي ذكرتها في التحقيق قام اللورد ديننج قاضي التحقيقات بنشر الأكاذيب ، لقد أخبرته بكل شيء ، ولكنه تجاهل كل ما قلته تماما وتحاشي الحقائق التي تمس مجلس الوزراء البريطاني

والبيت الأبيض الأمريكي ، والأكثر من هذا هو أنني أطلعته على التهديدات التي كانت تقول إن جون كنيدي سوف يغتال في مدينة دالاس بعد عدة أشهر قليلة " !!

وكانت فضيحة كريستين كيلر انفجرت قبل اغتيال كينيدي بعدة أشهر ، أي أن أجهزة المخابرات البريطانية والأمريكية والسوفيتية كانت على علم بخطة الاغتيال تماما!

وهذا يطرح سؤالا آخر: من هو مصدر معلومات كريستين كيلر؟!..يعني من كان الذي يبوح بالأسرار ومن كان يجمعها؟!

وفي كتابه " الجاسوس العاري " كشف ايفانوف دوره في فضيحة التجسس التي أسقطت حكومة ماكميلان.. وأوقعت أضرارا بالغة بالأمن القومي البريطاني.. واعترف بأن لقاءه في حفل للسفارة الروسية بكولين كوت رئيس تحرير ديلي تلجراف كان لحظة سعده فقد عرفه بستيفن وورد.

رأي ايفانوف كيلر في صحبة وورد في ١٩٦١ وكانت فتاة ريفية رائعة الجمال وبلا أخلاق تعيش هي وماندي رايف ديفيز البطلة الثانية للفضيحة في منزل وورد وقد لاحظ افتتان وزير الحرب البريطاني بكيلر. طلب منه وورد توصيلها للندن بعد انتهاء السهرة في ضيعة لورد استور. وبدأت علاقته بها.

أصبحت كريستين كيلر عشيقة لبروفيومو والجاسوس الروسي ايفانوف وكان الجاسوس يبلغ رؤساءه في جهاز GRU (مخابرات الجيش الروسي) بالحوارات التي تجري في ضيعة لورد استور مع أعضاء البرلمان والوزراء والسياسيين. كما قام بتصوير بريد استور وعندما لم يكن يجد فرصة للتصوير كان يسرق الرسائل والوثائق وكانت كثيرة لدرجة أن أستور لم يكن يلحظ غيابها.

إحدى هذه الرسائل كانت من صديق أمريكي وكانت عن توقف محتمل لبرنامج صواريخ سكاي بولت وبفضل هذه الوثائق عرفت موسكو نوايا واشنطن بالتراجع عن برنامج الصواريخ قبل عام من وقوعه.

وكانت نقطة تحول في الخطط البريطانية الأمريكية وأعطت الضوء الأخضر لبرنامج تزويد الغواصات البريطانية بصواريخ بولاريس الأمريكية ذات الرءوس النووية المنتجة في بريطانيا.. استغلت روسيا المعلومات وبثت الفرقة بين الدول النووية في حلف الأطلنطي.. وأصيبت فرنسا بصدمة بسبب تصرف أمريكا من جانب واحد وفقدت ثقتها في بريطانيا كحليف أوروبي.

لقد حرصت موسكو على تتبع تطور العلاقة بين بروفيمو وكيلر.. وخططت لابتزاز بروفيمو بسبب هذه العلاقة للحصول على معلومات سياسية وعسكرية سرية إلا أن خطتها أصيبت بالإجهاض بعد تسرب علاقة كيلر وبروفيمو للصحافة .

ورغم أن الذين يرون كيلر الآن لا يربطون بين السيدة المحبة للقطط، والجاسوسة ولكنها تقول: " طوال حياتي لم أستطع أن أهرب من اسمي " ، وهي ترفض الإدلاء بأحاديث صحفية عن الماضي أما المستقبل فيلخصه كتابها الجديد: " لقد بقيت على قيد الحياة ولا أرغب في أكثر من هذا" ، كما تقول.

أما آخر ما كتب عنها في أنها كانت تسعى للشهرة واعتبرت أن معرفة الآخرين بها ستروج لمهنتها، الخارجة عن الزواج الشرعي، وقادتها رغبتها في الشهرة إلى الخيانة .

■ ■ ■

١٩

كريستين السويدية

ملكة لا ترحم !!

ooo

كانت امرأة جميلة للغاية وكانت تزيد جمالَها ثقافتُها العامة وسرعة بديهتها، تقدم للزواج بها الكثير من الأمراء لكنها كانت ترفض ذلك بحجة أن زواجها سيشغلها عن مصالح شعبها إلا أن الحقيقة غير ذلك فقد كانت هذه الملكة تهوى الفتيات الجميلات وتمارس معهن الحب وبعد أن تمل منهن كانت تأمر بقتلهن حتى لا يفضح أمرها .

كانت كريستين ملكة لا ترحم أحدا وكانت عندما تشك في أي شخص ممن حولها تأمر بقتله فورا وبدون محاكمة ، وكانت عملية القتل فيها الكثير من العذاب حيث كانت تأمر المتهم بلبس درع مغروس فيها قطع حديد صغيرة بحيث تكون قطع الحديد هذا باتجاه جسده من الداخل ثم تأمر بعض الحراس بالضغط على الدرع فتبدأ قطع الحديد المدببة في الدخول في جسمه واختراق أضلاعه وكانت تأمر الحراس بالاستمرار في الضغط حتى يخرج الدم من جسم الضحية ومن أذنيه وفمه عندها تأمرهم بالابتعاد ثم بالمشي على الدم ذهابا وإيابا ثم تدوس بقدميها على جثة الشخص وتنصرف .

وهكذا قد يمتزج الجمال بالدم، والمتعة بالقتل.

■■■

٢٠

زوجة لنكولن ..

عدوة الأمريكيين !!

OOO

كان زواج الرئيس الأمريكي الراحل أبراهام لنكولن – لا مقتله ! مأساة مؤثرة! كانت مسز لنكولن دائمة الشكوى ، دائمة الانتقاد ، حتى مظهر زوجها لم يسلم من انتقادها ، فكتفاه في رأيها – متهدلتان – ، ومشيته تنقصها الرشاقة ، وأذناه كبيرتان ، وأنفه معوج ، و شفته السفلى مدلاة ، وقدماه ويداه كأقدام القرد وأياديه! هكذا كانت تصفه ، لا فيما بينه و بينها ، بل أمام معارفها و معارفه !!

كان أبراهام لنكولن و ((ماري تود لنكولن)) على طرفي نقيض من كل ناحية: في التعليم ، و البيئة ، و الخُلق ، و الذوق و الثقافة ، و قد كتب " ألبرت يفريدج " – عضو مجلس الشيوخ الأمريكي – و لعله أعظم مرجع في تاريخ لنكولن – ذات مرة يقول : كان صوت مسز لنكولن المجلجل يُسْمَع من الطريق ، و كان غضبها يتخذ سبيلا آخر إلى الظهور غير الكلمات ، و ليس لحوادث شراستها وفظاعتها من حد يحدها .

(مثال ذلك : أن لنكولن وزوجته كانا يعيشان في الفترة التي تلت زواجهما – مع مسز " جاكوب آرلي " ، و هي أرملة أحد الأطباء ((سبير نجفيلد)) ، اضطرتها الظروف إلى تأجير جانب من مسكنها لتستعين بالأجر على المعاش – و في ذات صباح ، و بينما " لنكولن " وزوجته يتناولان الإفطار ، إذ أخطأ " لنكولن " خطأً تافها ... أما ما هو الخطأ ؟ فلم يعد أحد يذكره من فرط تفاهته ، و أما ما فعلته "مسز لنكولن" فقد دونه التاريخ لفرط شذوذه و فظاظته .. فقد قذفت بقدح القهوة الساخنة في وجه زوجها و هي تسب و تلعن !

((ولم يقل " لنكولن " شيئا ، ولم يفعل شيئا ، بل جلس ساكنا في ذلة وكأنه طفل صغير .. أسرعت مسز ((آرلي)) بخرقة مبللة مسحت بها وجهه و ثيابه))!.

نعم كانت " مسز لنكولن " من الحماقة والشراسة بمكان لا يصدقه العقل ، حتى إن مجرد قراءتك شيئا من حوادث غلظتها بعد كل هذه المدة ، تجعلك تحبس أنفاسك دهشة وعجبا .. و قد انتهى بها الأمر إلى الجنون ، و لعلى أقل ما توصف به أفعالها أنها كانت أفعالا جنونية حقا !

فهل غير النكد و التنغيص ، و الشجار من لنكولن ؟

نعم : فقد غير موقفه منها : و جعله يندب حظه العاثر الذي أوقعه في براثنها ، و حدا به إلى أن يتجنب رؤيتها ما استطاع !

وكان في ((سبير نجفيلد)) أحد عشر محاميا ، و لما كان من المتعذر عليهم أن يكسبوا أرزاقهم في هذه البلدة وحدها ، فقد كانوا يمتطون صهوات الجياد ويتنقلون من بلدة إلى بلدة أخرى في أعقاب القاضي ((دافيد ديفيز)) ، رئيس القضاء في الولاية ..

وكانوا يعودون أدراجهم جميعا إلى ((سبير نجفيلد)) ، مساء كل سبت ليقضوا نهاية الأسبوع بين أسراتهم .. ماعدا " لنكولن " ، فقد كان يخاف الذهاب إلى بيته، وكان يفضل عليه الفنادق ، الريفية المتواضعة !

ولد لنكولن في كوخ بسيط في ولاية كونكتيكي، وكان والده أميا لا يقرأ ولايكتب، وكان يتعجب من رغبة ابنه في التعلم حتى إنه· قال: أن ابراهام يخدع نفسه بالتعليم، قد حاولت أن أوقفه عند حده، لكن هذه الفكرة الطائشة كانت قد تملكت عقله فلم أستطع انتزاعها منه!!

وكانت أمه اسمها نانسي هانكز من مواليد فرجينيا وعاشت مع ابنها حتى بلغ التاسعة من عمره، ثم ماتت بعد أن تركت في نفسه أثرا لايمحى فهي التي شجعته على حب القراءة.

وقد انفصل عن عائلته في سن الحادية والعشرين من عمره، وقد كان طويل القامة.. نحيفا.. ودرس القانون.

وقد عاش إبرهام لنكولن قصة حب من جانب واحد عندما أحب فتاة اسمها آن رتلدج، وتقدم لخطبتها عام ١٨٣٥ ولكن هذه الفتاة ماتت بعد خطبته لها بعدة شهور مما ترك في نفسه أثرا عميقا حزينا لازمه فترة طويلة من حياته، ولكن تزوج عام ١٨٤٢ من ماري تود ولم يكن هذا الزواج عن حب، وربما كان حبه للقائد والسياسة جعلاه يعيش لهما.

وكان من هموم لنكولن قبل أن يتم اتحاد الولايات المختلفة وأن يلغى الرق.. فكان يحز في نفسه أن يري الرجال والنساء والأطفال يباعون في سوق الرقيق وكان يقول: لو كان في مقدوري أن أوقف كل ذلك لأوقفته فورا وبمنتهي العنف.

عندما أقام في مدينة نيو اورلينز، حدثت له حادثة تنم على شخصيته وقدرته على ضبط النفس وعلى التحدي في نفس الوقت.. فقد كان في هذه المدينة جماعة من الشبان يرأسهم (جاك أرمسترونج) وكان مشهورا بشجاعته وممارسته للمصارعة، وطلب هؤلاء الشباب من ابرهام لينكولن مصارعة أرمسترنج، وحتى لايتهم بالجبن قرر منازلة الخصم، وصرعه وانتصر عليه، وعندما حاول أنصار الخصم مهاجمته أعلن لهم أنه سوف يهزمهم جميعا، إلا أن أرمسترونج عندما آفاق من صدمة الهزيمة أعلن أحقية لنكولن في النصر وأصبح صديقا له!!

عمل لنكولن محاميا، ولكنه كان مهموما بمسألة العبيد، وكان نظام العبيد معمولا به في الولايات الجنوبية، ولكنه غير مسموح به في الولايات الشمالية، بينما احتدم النقاش حول هذا النظام وهل يعمل به في الولايات التي بدأت تنشأ في الغرب.. واختلف الناس بين مؤيد ومعارض وكان من رأي إبرهام لنكولون أن يكون تحرير العبيد على مراحل ، وكان يقول:

عندما يحكم الرجل الأبيض نفسه بنفسه فهذه هي الحكومة الذاتية ، ولكن عندما يريد الرجل الأبيض ان يتحكم في غيره من الملونين فهذا هو الاستبداد والطغيان.. ولايجب إطلاقا أن يتحكم الإنسان في أخيه الإنسان دون رغبة هذا الأخير وموافقته!:

وقد كتب خطابا لأحد أصدقائه يقول فيه::

: إني أومن بوجود الله. وأعرف أن الله لايقبل الظلم، ولايرضى بأن يستعبد الإنسان أخاه الإنسان، وإني أرى أن العاصفة قادمة لامحالة.. وأعرف أن الله معي،

وأنا مستعد أن أبذل كل جهدي وحياتي لتحقيق الحق.. فأنا لاشيء على الإطلاق.. أما الحق والعدل فهما كل شيء!

وقد دخل لينكولن في معركة الرئاسة ضد دوجلاس، وكانت المعركة تتطلب بالطبع أن يعرض كل واحد منهما منهجه ورؤيته لمختلف القضايا.. وكان على كل منهما أن يتجول في مختلف الولايات حتي يجذب إليه أصوات الناخبين.. كان نكولن عن الجمهوريين ، والآخر عن الديمقراطيين والغريب أن النصر في هذه المعركة كانت لابراهام لينكولن.. وأصبح رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية..

وغادر بلدته في فبراير ١٨٦١ مصطحبا زوجته وأولاده الثلاثة الصغار متجها إلى واشنطن ولم يكن الأمر سهلا ولاهينا أمام الرئيس الأمريكي الجديد، فقد اعلنت سبع ولايات في الجنوب انفصالها ، واختارت لنفسها رئيسا آخر، بسبب أنها ترى في نظام العبيد الذي نجنده ضرورة اقتصادية على عكس ولايات الشمال.. وكان لابد أن تندلع الحرب الأهلية، واندلعت هذه الحرب التي تمكن فيها الشمال من الانتصار..

ولكن رغم قيام هذه الحرب الأهلية، فقد اتخذ ابراهام لينكولن قرارا خطيرا.. وفي اثنائها .. فقد وقع على وثيقة تحرير العبيد في الجنوب.

وأعيد انتخاب لينكولن سنة ١٨٦٤م وكان خطابه بمناسبة انتخابه رئيسا للمرة الثانية في ٤ مارس ١٨٦٥ ممهدا الطريق لما يريد، وقد ختمه بقوله:

إننا لانضمر الكراهية لأحد بل نضمر المحبة للجميع، ونؤمن بالحزم في الحق كلنا هدانا الله إلى أن نتلمسه .. هيا بنا نعمل ماوسعنا الجهد لنضمد جراح الأمة ونرعى هذا بالذي ذهبت به الحرب في أرملته وفي أبنائه. لنعمل كل مافي وسعنا لكي نحقق سلاما دائما عادلا بيننا وبين سائر أمم العالم .

في مساء الجمعة السابق على عيد الفصح سنة ١٨٦٥، كان هناك رجل من الجنوب يدعي (بوش) كان قد قرر التخلص من الرئيس الأمريكي إبراهام لينكولن، عندما علم أن الرئيس سوف يذهب إلى مسرح فورد في واشنطون، فقد تسلل إلى المقصورة التي يجلس فيها الرئيس، وصوب رصاص مسدسه إلى رأسه، وأطلق عليه النار، واسرع إلى خشبة المسرح، حيث اختلط بالممثلين، ووسط الارتباك الذي ساد المسرح، وبين ذهول الحاضرين، استطاع الجاني، ان يخرج من المسرح حيث كان ينتظره حصان قفز على ظهره واختفى.

بينما لفظ الرئيس إبراهام لينكولن أنفاسه الاخيرة في صباح اليوم التالي، حيث نقل جثمانه في قطار حمله إلى مدينة سيرنج فيلد بولاية الينوى. حيث ووري التراب.

دفن الرجل الذي أحبه الناس في بلاده، وخاصة الرقيق الذي حررهم من ذل الرق، وكانت تتداعي إلى أذهان الجميع خطبته المؤثرة التى ألقاها عقب انتهاء الحرب الأهلية والذي قال فيها:

منذ سبعة وثمانين عاما أقام اجدادنا على هذا الإقليم أمة جديدة تسود فيها مبادئ الحرية وتؤمن بأن الناس جميعا قد خلقوا سواسية.. والآن وقد خضنا غمار حرب أهلية مروعة ، يجتاز امتحان جديدهو، على هذه الامة.. او آية أمة أخرى هكذا للحرية ستحيا إلى أمد محدود؟

لقد تلاقينا في ميدان هذه الحرب، ووهبنا شطرا منه مرقدا لهؤلاء الذين بذلوا حياتهم كي يعيش سائر أفراد الأمة، فمن الواجب ومن العدل أن نعمل على تحقيق ماضحوا بحياتهم من أجله.. ولكنا لايمكننا أن نعبد.. ولايمكننا ان نقدس، ولايمكننا أن نؤله هذه الأرض.. إن الأبطال الشهداء منا والأحياء، والذين جاهدوا هنا قدسوها بقوة أعظم من قوتنا الراهنة. إن العالم قد يصغى إلى مانقوله هنا، ولكنه لن ينسى مطلقا مافعله هؤلاء هنا.

لقد كان من أجلنا نحن الأحياء هذا العمل الذي لم يكملوه، واستشهدوا في سبيله، ومن الوفاء لأنفسنا أن نثبت في مكاننا ونتابع العمل الذي أمامنا.

ومن دعاء الشهداء الأبرار نستمد نحن دعاءً متزايدا كي نقوم بإتمام العمل الذي وهبوه دماءهم ودعاءهم .. إننا هنا لكي نقرر أن هؤلاء الموتى لم يهبوا حياتهم عبثا. وأن هذه الأمة تحت السماء سيكون لها ميلاد جديد من الحرية، وأن حكومة الشعب التي هي من الشعب وللشعب لن تزول من الأرض ولن تموت..

والذي يقرأ قصة حياة إبراهام لينكولن الذي ولد في كوخ من الأكواخ الفقيرة وعاش حياته مدافعا عن مبدأ أخلاقى هام وهو تحرير العبيد، كما آمن بأهمية اتحاد الولايات الامريكية تحت علم واحد.. الذي يقرأ هذه الصورة ويرى ماعليه اليمين الامريكي الآن لابد أن يتساءل: أين المبادئ التي نادى بها رجل كالرئيس الأمريكي لينكولون ؟!!

▪▪▪

٢١

ميسالينا ..

الشيطان امرأة !!

ooo

دخل كلوديوس قيصر الرومان على زوجته القيصرة ميسالينا ، وهو ثائر تقدح عيناه شررا ، وفي يمناه خنجر يخطف بريقه الرهيب عين القيصرة وصاح في وجهها صيحة رهيبة :

- أيتها الخائنة .. تعلمين مبلغ حبي لك ، وثقتي بك ، وإيثاري لولدك وابنتك اللذين أنجبتينهما مني .. فكيف سولت لك نفسك خيانتي ؟!

وهمت القيصرة أن تقول شيئا فصرخ القيصر فيها صرخة زلزلت قدميها ، ثم انطلق يقول وقد بلغ منه لغضب غايته :

- لو أستطيع أن أقتلك ثم أحييك ثم أقتلك .. ألف مرة لفعلت .. ولكن - للأسف ليس لك إلا روح واحدة سوف أزهقها بهذا الخنجر .

وأهوى القيصر عليها بخنجره وقد جمع فيه كل قوته ، وقوة غضبه ويأسه .. فخرت على الأرض تتخبط بالدماء !

لم يكن القيصر (كلوديوس) رجلا فاضلا ولا زوجا أمينا ولا كان يضمر هوى لزوجته ، ولكنه غيظ مما اقترفت من خيانه وأحس حين قتلها بيده كأنه قتل معها جريمتها ، وقتل الخزي الذي ساور ضميره حين عرف أن زوجة القيصر تخون القيصر !

وانطلق كلوديوس يبحث من جديد عن امرأة وفية رائعة الجمال تحتل مكان القيصرة الراحلة (ميسالينا)..فوجد ضالته في حسناء عاقلة تدعى (بريتانيكو) ذات ولد اسمه (نيرون).

وتزوج كلوديوس من أم نيرون وكلف بها أشد الكلف وأنعم على ولدها بأشرف الألقاب حتى إذا بلغ الخامسة عشرة من عمره زوجه من ابنته (أوكتافيا)..

وهكذا ظفرت (بريتانيكو)أم نيرون بمآربها من زوجها القيصر .. فقد رفعت منزلة ولدها ، وزوجته من بنت القيصر ، ولم يبق إلا أن يخلو عرش القيصر ليتربع فيه ولدها !

وكان هذا الأمر هينا على امرأة رومانية أصيلة ! .. فسرعان ما قضى القيصر نحبه بيدي زوجته المخلصة !

وأصبح نيرون وهو في السابعة عشرة من عمره عاهلا للدولة العظمى وسيدا لشعب الرومان واندفع في التيار القيصري .. تيار الخلاعة والإثم ، وطفق ينتقل من

جارية إلى جارية ، ويسطو على نساء حاشيته ومملكته حتى ساق القدر امرأة شابة رائعة الجمال تدعى(بوبيا) .

كانت بوبيا إحدى نبيلات الرومان قد ملأتها الطبيعة سحرا ، ووهبت لها افتن ما في جمال المرأة .. فسلبت عقل نيرون ، وتمنعت عليه وصدته والتوت على شهواته قائلة إنها لن تستطيع أن تخون زوجها الشريف العريق ولا تقوى على التفريط في حق القيصرة اوكتافيا زوجة نيرون العظيم .

وفطن نيرون إلى ما تهدف إليه لحسناء الماكرة .

ان بوبيا تريد امرين ..فهي تريد أن يقتل نيرون زوجته (أوكتافيا) وان يبعد زوجها - زوج بوبيا - عن روما !

مطلبان يسيران على القيصر العظيم .. أمر ، فنفذا في لمح البصر

واطمأنت بوبيا بعد مصرع عدوتها القيصرة السابقة ، وعاشت في كنف زوجها الجديد عاهل الرومان ، يحيط بها جلال الملك وأبهته .. ولم يدخر نيرون وسعا في إكرامها وإسعادها حتى اتخذت لها - من فرط الترف - حماما تملؤه بلبن الحمير كل صباح لتغتسل فيه ! وكان الذي يكنه نيرون لزوجته الجديدة من الحب ، شيئا عظيما فقد أخلص لها شهورا - وهو ما لم يفعله من قبل - حتى حملت منه ، فانصرف عنها إلى اللهو والخلاعة .

وأقام ذات ليلة حفلا صاخبا انتهكت فيه الفضيلة حتى اشمأزت منه الرومانيات أنفسهن .. فأظهرت بوبيا غضبها مما اقترف نيرون ، وجاوبها نيرون بغضب أشد ، فضربها وهي حامل ضربا مبرحا حتى سقطت جثة هامدة !

وعكف الطاغية على شهواته وأهمل أمر مملكته ، فنصحت له أمه وتلطفت في نصحه ، فلم يرعِ .. وأنما افتتح صفحة جديدة من سجل رذائله . وكان جزاء النصيحة الخالصة من الأم التي أجلسته على العرش ، أن تموت مخنوقة بأيدي جنود ولدها العاق المخبول .

وفي يوم من العام الرابع والستين بعد الميلاد ، وقف نيرون بطل على روما من شرفة قصره الباذخ ، يستمتع بمرأى النيران الهائلة مندلعة في المدينة لا يقف في وجهها شيء .

وظلت النار مستعرة سبعة أيام بلياليها في عاصمة الدنيا حتى أتت عليها وتركتها قاعا صفصفا .

وكان نيرون كلما زادت النار توهجا ، زاد حماسه في لهوه وغنائه وشرابه . لقد كان الطاغية الذاهب العقل يريد تخطيط روما من جديد بما يواكم ذوقه الفني الذي كان يتغنى به ويراه أكمل ذوق فني في العالم !

ومن أجل ذوقه الفني المزعوم أحرق روما ليرسم لها تخطيطا جديدا من بدائع قريحته العبقرية وخمدت النار ، واندثرت روما وأطل عليها نيرون تجلجل قهقهته في الفضاء ثم اندفع ينشد أغنية معربدة ويملأ جوفه بأقداح الشراب .

وكان تخطيط روما من جديد على حسب ذوق نيرون تستنفد نفقات لا قبل لخزانة الدولة بها ، فانطلق الجباة الغلاظ ينهبون الناس ويثقلون كواهلهم بالضرائب الهائلة . وبدأ نيرون البناء ، فشيد لنفسه قصرا ضخما اسماه (قصر الذهب) وأنفق عليه أموالا لا يحصيها الخيال

وفي مجلس الشيوخ الروماني وقف شيخ كهل يقول للأعضاء :

- قد لمستم أيها الرومانيون ماآلت إليه الدولة على يد الطاغية من خراب ، وما اجتاح روما من وباء خبيث أودى بالألوف من سكانها بعد أن أذهب الحريق بالوف قبلهم لقد سقطت هيبة روما ، وثار عليها الألمان والإسبان والغال ، وتمزقت إربا أوصال الدولة .. فناشدتكم الوطن وحقه ، وآلهتنا وحرمتهم أن تتحدوا وتعزلوا الطاغية ، وتأمروا به فيُقتل أو يُحرق ، كما قتل الناس وأحرقهم .

وظن نيرون أن حرسه الملكي سيبادر ويدافع عنه ويحميه من مجلس الشيوخ ، ولكن خياله ضاع وتبدد حين رأى الحرس يغادر القصر تاركا إياه وحيدا أعزل لا حول له .

وذعر نيرون العظيم ، وفر يلتمس النجاة في بيت صغير خارج روما .. لكنه سمع بعد قليل حوافر الخيل تنهب الأرض جادة في أثره .. ونفث اليأس في نفس القيصر المسكين آخر عقدة من عقده .. فأمسك بخنجره وأغمده في صدره .. وحين لحق به الجند كان دمه الأحمر قد صبغ وجهه ، كأنما النار التي أحرقت روما قد خلعت على دمه المهدور لونَها الرهيب !

■ ■ ■

٢٢

زوجة سقراط ..

العذاب امرأة !!

OOO

كان سقراط الفيلسوف اليوناني الذي عاش بين عامي ٤٧٠ ، ٣٩٩ قبل الميلاد ، زوجا لامرأة سليطة اللسان تعَوَّد أن يهرب منها قبل طلوع الشمس ، ولا يعود إليها إلا بعد أن يغوص قرصها الملتهب الهائل وراء الأفق .

قال يوما يصف حياته معها :

أنا مدين لهذه المرأة !! فلولاها ما تعلمت أن الحكمة في الصمت .. وإن السعادة في النوم .. مسكين الرجل إنه يقف حائرا بين أن يتزوج أو يبقى عازبا بلا زواج وهو في الحالتين نادم ونادم ..

وكان سقراط يجد سلواه مع تلاميذه عندما يجتمع بهم ويجادلهم ويحادثونه في أمور الدنيا وأحوالها .

قال مرة لأحد تلاميذه ينبغي أن تتزوج !! فإنك إن ظفرت بزوجة عاقلة صرت سعيدا ، أما إن وقعت في براثين زوجة طائشة منا كفه صرت فيلسوفا مثل حالي!!... حدث يوما إنه كان يتناقش في أفكاره الفلسفية مع بعض تلاميذه ، حين صاحت زوجته ونادته طالبة منه أن يذهب إليها ويساعدها في بعض الأعمال ولكنه لم يسمعها أو بالأحرى كان مندمجا بالنقاش . فما كان منها إلا ان احضرت وعاء مملوءا بالماء وصبته فوق رأسه .

وبالطبع انزعج تلاميذه من مثل هذا السلوك الفظ ، واندهشوا من جرأتها مع معلمهم ، ولكنه نظر اليهم وقال بهدوء وهو يسوي خصلة الشعر الوحيدة في رأسه الأصلع ، بعد كل هذه الرعود ، فلابد أن نتوقع هطول الأمطار !!!..

وهكذا يمكن أن تكون المرأة ينبوع سعادة ومصدر إلهام.. يمكن أن تكون سبب الشقاء والألم والتعاسة.

فامرأة سقراط ما أن يُذكر العباقرة التعساء في بيوتهم حتى يقفز اسمها على الفور حتى أصبحت مضرباً للمثل في سلاطة اللسان.

فكل الروايات تشير إلى أنها كانت سيئة الطباع، دائمة الشجار مع زوجها الفيلسوف، وقد حكم عليها التاريخ بأنها امرأة عاشت في كنف عظيم دون أن تقدر قيمته. دائمة الشجار معه.

■ ■ ■

٢٣

لانا تيرنر ..

ثمن الغواية !!

ooo

لانا تيرنر (٨ فبراير ١٩٢١ - ٢٩ يونيو ١٩٩٥) ممثلة سينمائية أمريكية اشتهرت بكونها رمزا للإثارة في عصرها . اشتهرت لانا تيرنر بأسلوبها الإغوائي اللعوب التي طبعت به معظم أدوارها . حياتها الخاصة كانت عاصفة أيضا بجميع أنواع الحب والعلاقات ، تزوجت سبع مرات واشتهرت أيضا بجريمة القتل التي قامت بها ابنتها بقتل أحد عشاق أمها وهو جوني ستامبناتو

قصة الحب الغامضة بين لانا وجوني ستومباناتو الذي كان يعمل كحارس خاص لأحد رؤساء العصابات مايكي كوهن، وانتهت علاقتهما بمقتل جوني على يد ابنة الفنانة عندما طعنته بسكين حتى لقي حتفه في أبريل ١٩٥٨، لتتخلص لانا تيرنر من معاملته السيئة لها فلم يكف عن إهانتها والاعتداء عليها خاصة في الأيام الأخيرة من حياته ولكن تم تبرأة ابنتها بحكم من المحكمة حيث اعتبرتها جريمة قتل للدفاع عن النفس مما دفع معظم الصحف والمجلات لتناول الحادث من مختلف الزوايا في محاولة لتفسير الأسباب الحقيقية لقتل ستومباناتو التي أعاده البعض إلى وجود علاقة جمعت ابنة الفنانة وصديقها بينما البعض الآخر قال إنها قامت بقتله دفاعا عن والدتها في حين ذكرت بعض الروايات أن لانا تيرنر قتلته بنفسها.

ولم تكف الصحف والمجلات عن التكهنات. مما أثر سلبيا على مشوارها الفني، ويذكر أن جوني ستوباناتو كان جنديا شارك في الحرب العالمية الثانية وحاول أن يدخل مجال التمثيل أكثر من مرة لكنه فشل فتحول إلى حارس خاص.

وعلي الرغم من تلك الأحداث واصلت لانا مشوارها الفني، وقامت ببطولة فيلم تقليد الحياة الذي حقق أعلي الإيرادات عند عرضه مما أثبت للجميع أنها لم تفقد ساقيها من جراء تلك الشائعات.ويذكر أن لانا تيرنر كانت تدعى جوليا جين تيرنر لكنها غيرت اسمها للشهرة وقد وصلت إلى أعلى مراتب النجومية ما بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٥٠ وتم اكتشافها في سن ١٥ عاما بواسطة صحفي يدعى ويليام ويلكرسون وعرفها بالنجم الكوميدي زيبو ماركس وقد شاركت في العديد من الأفلام وتم ترشيحها للأوسكار عام ١٩٥٧ عن فيلم موقع بيتون كما اشتهرت بتعدد زواجها فقد تزوجت ثماني مرات لسبعة أزواج مختلفين.

السعادة لاتساعد المرء في أن ينضج، التعاسة وحدها تعمل على ذلك لهذا أشعر بالامتنان ففراشي كان من الورود والأشواك في آن معا.. أجزاء من حياتي غلفتها الإثارة والسعادة والأجزاء الأخرى الأقل بهجة ساعدت في إعدادي واختباري وتقويتي كانت تلك فلسفة لانا تيرنر في الحياة.

"لانا تيرنر" من مواليد ٨ فبراير ١٩٢١ في مدينة دالاس.

وتوفيت بسرطان الحنجرة في ٢٥ يونيو ١٩٩٥ في كاليفورنيا عن عمر ناهز الخامسة والسبعين.

لقد ألقت حياة لانا الخاصة بظلالها على مسيرتها الفنية، حيث كانت حياة صاخبة فهي تزوجت ثماني مرات وأقامت العديد من العلاقات خارج إطار حياتها الزوجية وهذا ما جعلها مادة دسمة للصحافة وكان هذا بمثابة تهديد دائم لحياتها الفنية توفي والدها عام ١٩٢٩ قتلا مما اضطر والدتها إلى اصطحابها والانتقال للعيش في ولاية كاليفورنيا، وهناك ترعرعت حيث أصبحت تلك الفتاة الخارقة الجمال.

كان عام ١٩٣٧ العام الذي دخلت "لانا تيرنر" من خلاله عالم السينما وهي لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها حيث لعبت أدوارا صغيرة في لن ينسوا وجاريك العظيم وفيلم مولد نجم، وفي عام ١٩٣٨ لعبت دورا صغيرا آخر في فيلم الحب يجد اندي هاردي من بطولة ميكي روني، تمكنت لانا في هذا الفيلم من أن تمتلك القلوب وتجعلها تخفق لمجرد رؤيتها ومن شاهد الفيلم يدرك لماذا؟!

في عام ١٩٤٢ بدأت مسيرة "لانا تيرنر" السينمائية الحقيقية حيث أخذت الادوار الجيدة تبحث عنها فظهرت في فيلمين الأول حمل عنوان "جوني ايجر" والثاني ساجدك في مكان ما، وظهرت عام ١٩٤٥ في فيلم حمل عنوان نهاية الأسبوع عند والدورف توالت بعدها الأدوار الرئيسية فظهرت مع كلارك جيبل في فيلم هونكي تونك ومع جون هوديالك في فيلم "الزواج علاقة خاصة" ومع فان هيفيلن في فيلم "شارع جرين دولفن" ومع كلارك جيبل في "عائد للوطن" لايمكن أن ننسي فيلمها الرائع مع جون جارفيلد ساعي البريد يقرع مرتين وقد أطلق هذا الفيلم "لانا تيرنر" على أنها آلهة الإغراء يعتبر فيلمها" الحسناء والشرير" من كلاسيكيات هوليوود، أما أبرز أدوارها المتأخرة فكان في فيلم "تقليد الحياة".

مع بداية الستينيات بدأت تنضب الأدوار التي تعرض عليها مع بروز نجمات جدد في هوليوود مع ذلك ظهرت في أدوار تبقي في الذاكرة كفيلمها "لوحة سوداء" ١٩٦٠ وفيلم "عازب في الفردوس" ١٩٦١

آخر أفلامها كان بعنوان تدبير الساحرة عام ١٩٨٠ وآخر ظهور لها فكان من خلال المسلسل التليفزيوني فالكون كريست عام ١٩٨١.

كانت "لانا تيرنر" تعشق التحدي وكانت تقول الرجل الناجح هو ذاك الرجل الذي يتمكن من جمع أكثر مما تنفقه زوجته من مال، أما المرأة الناجحة فهي تلك المرأة التي تعثر على مثل ذلك الرجل.

▪▪▪

٢٤

مايرا هندلي ..

شبح يطارد البريطانيين !!

ooo

بدأت لندن مشوارها لاستضافة أولمبياد ٢٠١٢ بخطوة في الاتجاه الخطأ. جاءت هذه العثرة في احتفال بالمناسبة بُعَيْد إسدال ستار الختام على أولمبياد بكين.

في هذا الاحتفال عرضت هيئة «زوروا لندن»، وهي الجهة المكلفة الترويج بشكل عامٍ للسياحة في العاصمة البريطانية (وبالضرورة لأولمبياد ٢٠١٢) فيديو دعائيا قصيرا عن بعض المعالم اللندنية والحياة في بريطانيا. وكان للمسألة أن تمر بسلام لولا أن الفيديو احتوى لقطة لم تدم أكثر من ثوان ظهرت فيها لوحة كبيرة لشخصية معينة اسـمها مايرا هـندلي. امـرأة قد لا تعني شيئا للجمهور الذي يعنى به الفيديو. لكن بريطانيا نفسها ماجت بالغضب وصدرت فيها على الفور الإدانات يمنة ويسرة ابتداء من الجمهور العريض، مرورا بعمدة لندن، بوريس جونسون، ووصولا إلى رئيس الوزراء، غوردون براون نفسه، مطالبة بإنزال أشد أنواع العقاب على المسؤول عن «قصر النظر المريع هذا». ذلك أن مايرا هندلي ليست أية امرأة، وإنما تتخذ لها مكانا عاليا في قائمة أشهر القتلة الجماعيين في بريطانيا، تذكّر بأن هذه البلاد لا تخلو من القتلة الجماعيين الذين ارتكبوا أبشع الجرائم التي يمكن أن يتخيلها العقل.. لكن هندلي تظل جرحا عميقا لم يبرأ بعد في ضمير هذه الأمة لأنها تخصصت مع عشيقها، إيان برادلي، إبان عقد الستينيات في اختطاف الأطفال واغتصابهم وتعذيبهم قبل قتلهم (باعترافهما). وكان الاثنان يتخلصان من جثث ضحاياهما في منطقة مستنقعات قرب مدينة مانشيستر، ولهذا عرفت أفعالهما باسم «جرائم المستنقعات».

وفي السنوات الأخيرة من سجنها الذي ستموت فيه أعلنت هندلي أنها عادت إلى رحاب الرب الذي أقنعها عشيقها ايان برادلي بعدم وجوده. وطلبت صفح المجتمع واعتبارها تائبة ونادمة من القلب على «طيش الشباب الذي قادني إليه برادلي». وحصلت على شهادة «الجامعة المفتوحة»، وهي التي عرفت بتخليها عن التعليم الأكاديمي أيام صباها.

لكن كل هذا لم يشفع لها ولم يخرجها من السجن المؤبد حتى مماتها فيه (آخر عقوبة إعدام في بريطانيا نفذت العام ١٩٦٤ وحظرت رسميا في ١٩٦٩). بل إن أهلها، بمن فيهم والدتها، امتنعوا عن حضور جنازتها. وعندما أحرقت جثتها (ليس

عقابا وإنما هو خيار شخصي أو ديني لغير المليين)، قررت السلطات ان تشتت رمادها في موقع يبقى مصدره غير معروف حتى اليوم. وما السرية في تشتيت رماد تلهو به الرياح كيفما شاءت على أية حال؟!

ولهذا دخلت هندلي التاريخ من باب آخر. فلدى وفاتها بسكتة قلبية العام ٢٠٠٢ وهي في سن الستين، كانت قد أمضت ٣٧ عاما في السجن، وهو رقم قياسي لأي امرأة في تاريخ السجون البريطانية. ويقينا فإن ثمة كتبا ستكتب عنها وعن حياتها وأن أفلاما ستصورها هوليوود مستقاة من كل ذلك، ربما ليس الآن ولكن حتما بعد أن يندمل الجرح قليلا أو كثيرا.

ورغم ان هيئة «زوروا لندن» اعتذرت بعد العاصفة التي هبت في وجهها وسحبت الفيديو قائلة إنه لن يعرض في أي مكان بعد الآن، يظل السؤال قائما: لماذا اختارت صورة قاتلة أطفال لتروج بها للسياحة في لندن ولأولمبياد ٢٠١٢؟!

ربما كانت الإجابة هي أن عصر التزاحم الإعلامي هذا يستدعي الصدمة العنيفة ولا شيء أقل لجذب انتباه الجمهور. وربما كان الغرض ينطلق من الصدق في عرض بريطانيا كما هي بحلوها ومرها... بخيرها وشرها. ربما... ولكن مهما كان الأمر فقد أثبتت الحادثة أن مجرد ثوان معدودة كفيلة بفتح جراح غائرة في أجساد الأمم.

وفي عام ٢٠٠٢ ، توفيت في السجن المرأة الأكثر كراهة في بريطانيا بسبب إدانتها بقتل عدة اطفال ودفن جثثهم في منطقة مورلاند في الستينيات بحيث لقبت بـ«قاتلة مور». ووضعت جثة مايرا هندلي تحت حراسة الشرطة خشية انتقام أهل الضحايا من الجثة بينما تجرت التحضيرات لدفنها سرا.

وتوفيت هندلي، التي تعتبر السجينة البريطانية الأطول مكوثا خلف القضبان، عن ٦٠ عاما، واحتل خبر وفاتها وصورها صدارة الصحف البريطانية . وكانت

هندلي تعتبر المجرمة الأكثر قسوة في بريطانيا بسبب قتلها خمسة أطفال قبل أكثر من ثلاثين عاما، وكانت خلف القضبان منذ ٣٦ عاما ولم يشملها أي عفو بالرغم من حملات مكثفة قامت بها مجموعات خيرية ودعاة للعطف والتسامح. كما ناشدت هي نفسها السلطات البريطانية السماح لها بقتل نفسها لندمها على جرائمها وتخلصا من عذاب ضميرها.

وكانت هندلي تعاني من مشاكل في القلب والرئتين وساءت حالتها الصحية في الأسبوعين الأخيرين قبل وفاتها حيث نقلت إلى مستشفى ويست سوفولك على بعد عشرة أميال من زنزانتها في سجن هاي بوينت بالقرب من هافرهيل في منطقة سوفولك بشرق انجلترا.

وكما قلنا كان قد حُكم على هندلي وحبيبها ايان برادي بالسجن المؤبد عام ١٩٦٦ بعد إدانتهما بقتل الطفلة ليزلي ان داوني (١٠ سنوات) والشاب إدوارد ايفانز، ١٧ عاما) كما أدين برادي أيضا بقتل جون كيلبريد، ١٢ عاما، وأدينت هندلي بالتستر على جرائم حبيبها برادي وإخفائه عن الشرطة بعد ارتكابه الجريمة. كما اعترف هندلي وبرادي عام ١٩٨٧ وهما في السجن بقتلهما الشابة بولين ريد، ١٦ عاما، وكيث بينيت (١٢ عاما). واستمرت هندلي وحبيبها في ارتكاب جرائمهما من ١٩٦٣ حتى ١٩٦٥ .

■■■

٢٥

صوفيا تولستوى ..

قاتلة المبدعين !!

OOO

اشتدت الخلافات بين تولستوي وزوجته فكتب لها ذات يوم: "إني لأصارحك هنا بأن حبك العاصف الغيور المخبول أرهقني وأضجرني ولفني في شبكة مروّعة من البلادة والكسل والخمول والظلام .. والحق أني بت أبحث عن نفسي فلا أجدها، وأفتقد عقلي فيفر مني، وأهيب بإرادتي فلا أقع إلا على أعصابي الخائرة، وقواي المحطمة، وعزمي المسلوب!.

نعم.. إن عدواك سرت إلي.. فأنا اليوم خائف منك وخائف من نفسي.. خائف منك على شخصيتي وعبقريتي وعملي، وخائف من نفسي أن أطاوعك فأجهز بيدي على أحلامي ومستقبلي!.. وهذا الخوف المزدوج هو الذي دفعني إلى الرحيل.. إذ كيف يمكن أن أعيش مع زوجة تأبى إلا أن تمثل طوال حياتها دور العاشقة المفتونة الغيور؟.. إن الحب يا عزيزتي جميل، ولكنه ليس كل شيء في الحياة.. وأروع ما في الحب هو التضحية!.. فإذا لم تضحي ببعض حبك من أجل أسرتك وأولادك وزوجك، فأية قيمة لهذا الحب وأي نفع منه؟.. إنه ليتحول إذن إلى أنانية جنائية لابد أن تقتل الأسرة، وتقضي على الحب نفسه شر قضاء!

وأنا أحس أن حبي لك سيموت من فرط عنف حبك وغيرته وجبروته المتسلط الأعمى.. فثوبي إلى رشدك وفكري.. إنك إن أطلقت الرجل كسبتيه، وإن حررته أنقذتيه، وإن تعففت عنه ولو فترات، سموت به وقويتيه وشجعتيه وأغريتيه بعظائم الأعمال!.

وإذا كان سقراط قد تعامل مع سلوك زوجته بفلسفة.. فإن الأديب والروائي والفيلسوف الروسي ليو تولستوي (Leo Tolstoy) لم يفعل مثله وظل كارهاً زوجته حاقداً عليها، لا يغفر لها أنها أحالت حياته جحيماً.

وقد وصلت كراهيته لها إلى حد أنه أوصى بألّا تدخل لرؤية جثمانه بعد وفاته، وقد اكتشفت زوجة تولستوي حقيقة الجحيم الذي صنعته لزوجها بتذمرها وشكواها ونكدها الذي لا ينتهي.. ولكن بعد فوات الأوان.. فقبل موتها اعترفت لبنتيها بقولها: (كنت السبب في موت أبيكما).

ولم تعلق الفتاتان.. فقد عرفتا أن أمهما قالت الحقيقة المرّة.. عرفتا أنها قتلت أباهما بشكواها المستمرة وانتقاداتها الدائمة.

لقد كان من المفروض أن يعيش تولستوي وزوجته في هناء. فهو الكاتب الكبير الذي فاقت شهرته شهرة جميع القياصرة، وكان المعجبون به يدونون كل كلمة يقولها وكل حركة تصدر منه حتى لو قال: (أريد أن ألوذ بالفراش).

ولد تولستوي لعائلة شديدة الثراء من ملاك الأراضي، ورغم أنه لم يحصل على درجة علمية إلا أنه كان بارعاً في الكتابة، وقد وضع روايتين من أشهر الروايات التي عرفها العالم: (الحرب والسلام) و(أنا كارنينا).

تزوج من (صوفيا أندويفنا)، وكان زواجه سعيداً، واستقر في الضيعة التي يمتلكها ١٥ سنة كتب خلالها أروع أعماله، ثم بدأ التغير والتحول في نمط حياته، إذ أخذ يدعو إلى مبادئه عن الحب والسلام وإلغاء الرق والإقطاع، ثم أصبح يطبق هذه المبادئ على حياته فعاش حياة القديسين يرتدي الثياب الخشنة، ويصنع أحذيته بيديه، ويأكل طعاماً بسيطاً في طبق من خشب... وتخلى عن جميع ممتلكاته الأمر الذي أدى إلى نشوب خلافات خطيرة بينه وبين زوجته، وانضم أولاده إلى أمهم ما عدا ابنته الصغرى (الكسندرا) فعاش الرجل شقيًا في أسرته التي لم ترض عن آرائه.

كانت (صوفيا) تحب حياة الترف والعز وتسعى إلى الشهرة، بينما هو احتقر كل هذا ولم يأبه به.

ومضت السنون وصوتها يرتفع بالتذمر والتشكي، أغضبها إقدامه على السماح بنشر كتبه بلا مقابل. وأصيبت بالهستيريا وأقسمت بأنها ستنتحر، وتسبب عدم التوافق الفكري هذا في شقاء كبير ومرارة.

وفي ليلة عاصفة رجته أن يقرأ مذكراته التي كتبها عنها وعن حبها قبل خمسين سنة. فقد روي أن كلاً من تولستوي وزوجته كان كل منهما يكتب مذكراته يوماً بيوم، هو يدون آراءه بصراحة في زوجته وهي تدون انطباعاتها عنه، وترك كل منهما هذه المذكرات متاحة للآخر ليقرأها.

وحين طلبت منه أن يقرأ مذكراته القديمة استجاب وأخذ يقرأ عن تلك الأيام الجميلة الحافلة بالسعادة التي ولّت بلا رجعة. فبكى الاثنان بكاءً مريراً.

وبلغ تولستوي الثانية والثمانين وضاقت نفسه بالشقاء المخيم على منزله. فهرب من زوجته في ليلة انهمر ثلجها.. وسار هائماً على وجهه في الظلام المتجمد.. وبعد أحد عشر يوماً مات من البرد بداء الرئة وحيداً فقيراً في محطة للقطارات.

هذا هو الثمن الذي دفعته (صوفيا) زوجة تولستوي، رب قائل يقول: إنها كانت محقة في تذمرها ونقدها..

ولكن هل أفادها تذمرها في شـيء، لقـد أضاف سـوءاً إلى سوء وشرًّا إلى شـرٍّ.

وقد عاشت زوجته بعده لسنوات طوال، تدافع عن نفسها ضد اتهامات الناس لها، بأنها كانت مصدراً لعذاب تولستوي الكبير الذي تعرض له في آخر حياته.

و الحقيقة أن حياة تولستوي كانت و لا تزال محل بحث و دراسة نظرا لما تنطوي عليه من مآسٍ و عبر .

لقد نشأ تولستوي في أسرة روسية من كبار النبلاء الإقطاعيين ذات ثراء هائل، ولد أديب روسيا الأول ليو تولستوي عام ١٨٢٨ ، رحلت والدته وهو لا يزال في الثانية من عمره ، ثم تبعها والده الذي كان مدمناً للكحول، بعد عدة أعوام فتكفل به أقاربه.

وفي السادسة عشرة من عمره التحق بجامعة "كازان" لكنه ضاق بمناهجها الدراسية فقرر أن يكمل دراسته في بيته، معتمداً على نفسه، وخلال سنوات قليلة أتقن عدة لغات، واستوعب العلوم الطبيعية والاجتماعية والرياضيات والموسيقى والفن التشكيلي والطب والزراعة.

نشأ في بيئة مسيحية متدينة وعندما بلغ سن ١٨ عاما بدأ يشعر بأن إشارات الصليب والصلوات التي يؤديها ليس لها أي مدلول عنده وأنه غير قادر على الاستمرار فيما أطلق عليه "الكذب" فتوقف عن أدائها.

وكان يقول "كان داخلي شعور ما بأني أومن بشيء مَّا، أومن بإله أو بمعنى آخر لا أنكر وجوده، ولكن أي إله؟ لم أكن أدرك على وجه التحديد. أذكر أيضا أني لم أكن أنكر تعاليم المسيح؟ لكن ماذا كانت تعني لي هذه التعاليم وقتها؟ لا أستطيع أن أعرف تماما".

تعرف من صغره على الأدب العربي، حيث كان يجلس مع أطفال العائلة على فراش جدتهم يستمعون إلى ما يقصه الفلاح العجوز الأعمَى ستيبان من قصص ألف ليلة وليلة. وقد انطبعت هذه الحكايات في ذهنه ولازمه الإعجاب بها.

بدأ حياته الأدبية بثلاثة كتب متتابعات: (الطفولة) ثم (الصبا) ثم (الشباب).. واتبع قواعد صارمة لإصلاح عيوبه أولاً، ثم لإصلاح الآخرين.

وكان دائما يفكر عن الهدف من حياة الانسان وفي رسالة لأحد أصدقائه قال "على المرء إذا أراد أن يعيش بشرف وكرامة أن يتمزق بقوة، وأن يصارع كل المثبطات، فإذا أخطأ بدأ من جديد، وكلما خسر عاود الكفاح من جديد، موقناً أن الإخلاد إلى الراحة إنما هو دناءة روحية وسقوط!". وكان يبكت نفسه بشدة إذا أحس منها تهاوناً أو تراجعاً.. فكتب بمذكراته وهو لا يزال في العشرين من عمره: "لم أفعل شيئاً. كم يعذبني ويرعبني إدراكي لكسلي! إن الحياة، مع الندم، محض عذاب ! سأقتل نفسي إذا مرت على ثلاثة أيام أخرى دون أن أقوم بفعل شيء ينفع الناس!".

انتقلت إليه ملكية أراض شاسعة وفيرة الإنتاج، وتزوج من "صوفيا" الفتاة الأرستقراطية المرفهة، وعاشا معا حياة هادئة سعيدة لمدة تقارب أربعين عاماً.

"كن طيباً، واحرص على أن لا يعرف أحد أنك طيب لئلا يعتريك العجب، وابحث عن الجانب الطيب في كل من تعامل من الناس، وإياك أن تفتش عن الجانب السيئ فيهم، وقل الحق دائماً ولا سيما على نفسك!".

أخذ تولستوي ينشر مقالاته الداعية للمساواة بين الناس وبلغ عدد ما كتب عشرة آلاف رسالة، حتى لقب بـ "محامي مائة مليون من الفلاحين الروس" . وخشيت زوجته أن يوزع ممتلكاته على العاملين بها كما يدعو في مقالاته، فقالت له مهددة: "يبدو أن حياتنا تسير إلى قطيعة مؤكدة. ليكن.. فأنا وأنت على تنافر دائم منذ التقينا.. أتريد أن تقتلني وتقتل أولادك بمقالاتك هذه؟ لن أسمح لك بذلك!" .

ولكن تولستوي مضى فيما يفعل ووضع أفكاره موضع التطبيق ووزَّع جزءًا كبيرًا من أرضه على المزارعين الذين يعملون لديه، وافتتح لأبنائهم مدارس كان يدرس لهم فيها بنفسه، وأنفق معظم ثروته على الفقراء .

وتعمق تولستوي كثيرا في القراءات الدينية، وقاوم الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا، ودعا للسلام وعدم الاستغلال، وعارض القوة والعنف في شتى صورهما. ولم تقبل الكنيسة آراء تولستوي فكفرته وأبعدته عنها.

وفي السنوات الأخيرة عاش في الحقول مرتديا الملابس الخشنة يكسب مما يعمل بيديه.

في يناير ١٨٦٩ كتب بمذكراته: "شيئان هما إكسير حياتي! حبي التعبير عن أفكاري بالكتابة الروائية، وحبي زوجتي الحبيبة صوفيا أندريفنا! ماذا يريد المرء من حياته أكثر من ذلك؟! لقد سعدت بحبي لصوفيا! وسعدت بأبنائي، وسعدت بهذه المزرعة الكبيرة، والشهرة، والثراء، والصحة، والسلامة البدنية والعقلية، ولكنني أحس بأن حياتي قد توقّفت فجأة!

لم تعد لدي رغبة في شيء. والحقيقة أن الرجل العاقل، يجب ألا يرغب في شيء!

إن الحياة نفسها وهم! وقد بلغت الحافة التي لا أجد بعدها إلا الموت! أجل. هذا صحيح. الحياة وهمٌ كبير! وهأنذا المحسود على الثراء، وعلى السعادة والشهرة. وعلى حبي لزوجتي! بتُّ أشعر بأنه لم يعد من حقي أن أعيش أكثر مما عشت!"

وقد رفض تولستوي قبول جائزة نوبل الأدبية مرتين لأنه كان يرى أن النقد الأدبي المجامل، مثله مثل الجوائز والمكافآت الكبيرة، تؤدي إلى فساد الخلق الفني والأدبي للمبدع وابتذاله.

ويقول أحد النقاد عن دور تولستوي في أحداث روسيا ذاك العصر "لو اعتبرنا البلاشفة بداية لانتحار أوروبا، سيرتدي ثوب الفقراء يكون تولستوي شروع هذا الانتحار، وسيكون لينين نهاية الانتحار".

أنجز تولستوي العديد من الروائع الأدبية التي لا زالت تحتل مكانة مرموقة في المكتبة العالمية :

ويُعد كتاب الحرب والسلام (١٨٦٩م) من أشهر أعمال الكاتب الكبير، ويتناول فيه مراحل الحياة المختلفة، كما يصف الحوادث السياسية والعسكرية التي حدثت في أوروبا في الفترة مابين ١٨٠٥ و١٨٢٠م، وتناول غزو نابليون لروسيا عام ١٨١٢م.

"كل الأسر السعيدة متشابهة، أما الأسر التعيسة فلكل منها قصتها المختلفة، وتعاستها الخاصة المميزة"

نشرت "أنا كارنينا" كسلسلة في الفترة من عام ١٧٧٣ إلي ١٨٧٧ م وقد أثارت جدلا واسعا في الأوساط الثقافية، وعنها يقول دستويفسكي "ليس ثمة عمل أدبي أوروبي يمكن مقارنته بأنا كارنينا". وتدور الرواية حول امرأة أرستقراطية تدعي "آنا" تفشل في حياتها الزوجية وتنشأ علاقة رومانسية بينها وبين الكونت فيرونسكي حيث يبدي كل منهما ازدراءه التام، لأفكار الطبقة الأرستقراطية الراقية، التي ينتميان إليها، وتنتهي الرواية بانتحار البطلة، نتيجة الصعوبات التي واجهت ارتباطهما.

ويرى النقاد أن روعة آنا كارنينا ليست من طبيعة الحكاية ولكنها تنبع من براعة تولوستوي في التداخل مع الحدث في جريانه... فأحداث الرواية ساحة تتحرك في

رحابها طبقة من النبلاء الروس الذين ودعوا نظام القنانة وانتقلوا من الإقطاع القديم إلى ارستقراطية جديدة.

وكتب تولستوي العديد من الأعمال الأخري شملت كتاب "ما هو الفن"؟ في عام ١٨٩٨ وفيه يضع نظرية "الفن للحياة"، التي تضفي على الفن بعدا دينيا أو أخلاقيا أو اجتماعيا.

في عام ١٨٨٦، نشر قصة بعنوان "وفاة إيفان أليش" تحكى قصة فلاح فقير، سقط فريسة لمرض مميت، وبينما هو في سكرات الموت، بدأ يستعرض حياته، وكم كانت فارغة من الأعمال الجيدة.

وتأتي رواية "البعث" عام ١٨٩٩ كأعظم أعمال الفترة الأخيرة من حياته، وهي قصة امرأة أخذت بجريمة لم ترتكبها، ورجل نبيل ينشد التكفير عن خطاياه.

وفي عام ١٨٩٨م نشر رواية "الشيطان" وفيها يركز على الحب والغيرة والجانب المدمر للغريزة الجنسية. ورواية "الحاج مراد" التي نشرت بعد موت تولستوي، وهي تحكي قصة زعيم إحدى القبائل في جبال القوقاز.

"بحثت عن إجابة لأسئلتي في كل فروع المعرفة التي اكتشفها البشر. بحثت لفترة طويلة وبكد عظيم. لم أبحث بقلب فاتر أو لمجرد حب الاستطلاع ولكن كنت أبحث وأنا يشملني العذاب ولايفارقني الإصرار ليل نهار كإنسان يحتضر ويبحث عن أي مخرج للنجاة. لكني لم أجد شيئا" .

■ ■ ■

٢٦

إميلدا ماركوس ..

السم في العسل !!

ooo

كانت في زمانها و ربما حتى يومنا هذا أغنى امرأة في آسيا. .وواحدة من أغنى ١٠ سيدات في العالم.. وثروتها تزيد على ١٥ مليار دولار. . وتملك ٤٥ قصراً ومنزلاً في الفلبين واستراليا وهونج كونج واليابان وأمريكا. .وتملك ٣ طائرات خاصة.. وحوالي ٣ آلاف زوج من الأحذية. .ومجنونة مجوهرات. . وعندما احتفلت بعرس ابنتها "إيرين" – في سنة ١٩٨٣ – أحالت الزواج إلى عيد وطني. . وأنفقت على

الفرح ١٢ مليون دولار، وأقامت مدينة جديدة تليق بالمناسبة. . وأجلست العروس في مركبة مصنوعة من الفضة الخالصة. .ويجرها عشرة خيول عربية نقلتها طائرة خاصة من المغرب. . وفي تلك السنة أشارت الإحصائيات إلى أن ٤٢٪ من سكان الفلبين يعيشون تحت خط الفقر. . وأن ١٥٪ من النساء يعملن في الدعارة.. وأن ٧٪ من الأطفال غير شرعيين

كانت مثل قطعة الماس في كيس قمامة وقد التقطها بأصابع خبيرة رجل ثري. . يشتغل بالمال والسياسة. .تبناها. . وعلمها. . وسمح لها أن تقول إنه عمها. . واكتشف أن صوتها سوبرانو. .مزيج من الفضة والأمطار الاستوائية. . فقدمها للغناء. . وفيما بعد قالت: "أنا أغني، لأنني أحب الحياة، وأكره النوم، لأنه يبعدني عن الحياة". . ثم .. استطردت: "ما يميزني عن غيري أنني . . أنا"!

قبل الصوت. . الصورة.. إنها أنثى ملساء كالبلور. . تحتمل حماقات الرجل.. وتحرض غريزته عليه. . وتغير خريطة الحلال والحرام.. وهي قادرة على فرض الإقامة الجبرية داخل جسدها. . ويمكن في لحظات الغضب أن تصبح أظافرها مشارط. . وضفائرها مشنقة. .وعندما حكمت ٦٠ مليوناً في الفلبين كان أدق وصف لها: إنها امرأة حديدية تدير الحكم بقفاز من حرير.

في أبريل ١٩٥٤ كان عمها يرأس البرلمان وقد ذهبت لزيارته في الجلسة المسائية التي امتدت إلى منتصف الليل وهناك قابلت ماركوس لأول مرة وبعد نصف ساعة من اللقاء طلب منها الزواج وبعد ١١ يوماً فقط تزوجا.

كان ماركوس في ذلك الوقت زعيم الأقلية.. أو المعارضة. . وقد بدأ حياته السياسية مبكراً. . كان عمره ١٨ سنة عندما اتهم بقتل منافس والده في انتخابات البرلمان. .وقد قُبض عليه. . وفي السجن أكمل دراسته القانونية.. وتولى الدفاع عن نفسه. .وحصل على البراءة. . لكن. . دماء السياسي القتيل ظلت تطارد سمعته حتى آخر العمر.

تقول إيميلدا عن ماركوس.. إنه رجل مجرب.ويقول هو عنها في خطاباته الغرامية لها. . إنك امرأة تعطي الرجل الفرصة كي يمشي فوق الماء . .تجعلينه يدخل في لحم الأشياء. . هذا اللحم الذي يتكلم سبع لغات .. أما أنا فأحترف الإصغاء .. أحبك.. لا أعرف لماذا؟ . . كيف أفسر ما لا يُفسَّر؟

لكن. . رغم كل هذا الحب فإنه لم يتردد في خيانتها. . وفي كتابه الممتع، وراء كل ديكتاتور امرأة.. ينشر أنور محمد فضيحة ماركوس مع الممثلة الأمريكية دوفي بيمز. .جاءت إلى مانيلا لتمثل دوراً في فيلم يروي قصة حياة ماركوس لتصبح صورته أجمل في عيون العالم. . وفي اللقاء الأول صارحها بحبه.. ولم يوقع لها عقد البطولة إلا في الفراش .. واحتفظ بها عشيقة في فيللا بإحدى ضواحي مانيلا.. وأثناء سفر إيميلدا في رحلاتها الخارجية كانت دوفي بيمز تنام على فراشها في قصر الرئاسة "مالا كاتانج" الذي دخله ماركوس عندما تولى السلطة في ٣٠ ديسمبر ١٩٦٥.

تقول دوفي بيمز في مذكراتها التي نشرتها مجلة "بيبول" الأمريكية. . إن ماركوس كان يجيد لعبة الفراش لكنه كان رغم براعته لا يجيد التعامل مع امرأتين في فترة واحدة. . لذلك أعطى ظهره لزوجته عندما أصبحنا عشيقين. . وصل مع إيميلدا إلى نقطة الصفر .. وصل معها إلى ذروة اليأس "حيث السماء رصاص رصاص .. والعناق قصاص. . والجنس أقسى عقاب" . . لم يعد يجيد القراءة في شفتيها..وفقد طريقه إلى فراشها. .وأصبحت علاقتهما خراباً.

لكن إيميلدا تريد السلطة لا المتعة. . تريد ماركوس الحاكم لا العشيق.. لذلك راحت تفتش عنه وعن دوفي بيمز. .وقد أزعجه ذلك فقرر التخلص من الممثلة الأمريكية التي قررت أن تفضحه.. اعتقلها البوليس السري.. واعتدوا عليها جنسيًا.. وعرضت عليها إيميلدا ١٠٠ ألف دولار كي تلتزم الصمت.. ولكن المبلغ لم يرضها.. خاصة أنها سجلت شرائط لماركوس وهو يمارس الجنس معها.. وأضافت

هذه الشرائط إلى الوثائق والمستندات والتقارير السرية التي سرقتها من مكتب الرئيس إلى جانب بعض ملابسه الداخلية. في مؤتمر صحفي عالمي في مانيلا أدارت دوفي بيمز شريطاً من هذه الشرائط. . إن من سوء حظ ماركوس أنه لا يمارس الجنس إلا بصوت مرتفع. . وهو يتحدث في الشريط عن بقايا الأظافر .. ونزيف الفم. . وشظايا الأسنان .. وهناك عبارة كررها كثيراً. . "ماذا تفعلين؟ ماذا تفعلين؟". . ولا نملك الجرأة على ترجمة نص الشريط الذي نشرته مجلة "لوي" الفرنسية. . لكن من السهل أن نقول إن طلبة الجامعة أذاعوا الشريط في محطة إذاعتهم. . وإن المعارضة التي كان يتزعمها بنينو أكينو استغلته استغلالا سياسيًّا وإعلاميًّا مذهلاً.

كادت أن تدفع دوفي بيمز حياتها ثمناً لما فعلت.. فقد أرسلت إيميلدا فرق اغتيالات من عشرة رجال لقتلها بعد أن سافرت إلى هونج كونج.. لولا انتباه البوليس البريطاني في هونج كونج لكانت بيمز في حساب القتلى.

أخطر ما في إيميلدا أنها تستخدم أنوثتها المغطاة بالبراءة في إسالة لعاب أقوى حكام العالم. .فهي في النهاية بشر.. يفضلون التفاوض مع امرأة مثلها عن الجلوس منفردين في حجرة مغلقة مع امرأة مثل جولدا مائير. . وتعرف إيميلدا ذلك جيداً.. وتقول "أنا لست جولدا مائير. . أنا امرأة جميلة. . جذابة". . هكذا ببساطة وجرأة وصراحة. .وقد وصفت الرئيس السوفيتي الأسبق بريجنيف بأنه طفل "لقد رأيته سعيداً بأوسمته وهو يعرضها أمامي وكأنه صبي يداعب لعبته الملونة". ووصفت وزير الخارجية الأمريكي الأسبق هنري كيسنجر بأنه بلاي بوي "أهبل". .

لقد تصور أن قبلة يخطفها من شفتيها هو ثمن باهظ تدفعه مقابل أن تدعم الولايات المتحدة زوجها "إنني قبلته كما يقبل الجليد النار. . وقد تصورت أنه لن يكتفي بذلك.. لكنه اكتفى فكان أن ضحكت في سري من تواضع رغباته .

وبجانب الرؤساء كانت إيميلدا على علاقة مع نجوم الفن والسينما في العالم.. كان أقربهم إلى قلبها نجم هوليود جورج هاملتون.

ولكن.. مهما كانت هذه العلاقات فإنها كانت تصب في النهاية في غريزة السلطة التي كانت أشد التهاباً عند ايميلدا من غريزة الجنس.. فهي زوجة الرئيس.. وسلاحه السري .. وتريد أن تكون نائبه الذي يرث الحكم.. وهي السيدة الأولى. . وعضو في البرلمان. .ووزيرة الخدمات الإنسانية.. ومفتاح المقاولات والمناقصات والشركات وشبكات العمل السري.

وقد انزعجت عندما انهارت صحة زوجها خلال السنوات الخمس الأخيرة من حكمه.. إنها أصعب سنوات مرت بها.. وهي تحكم من خلال زوجها فماذا تفعل وزوجها لم يعد قادراً على الحكم؟ .. لم يكن أمامها سوى أن تشكل حكومة من حكومات غرف النوم. . فطلبت من زوجها تعديل المادة "٦" من الدستور. . لتصبح القوانين بموجب المادة الجديدة قرارات.. أو تصبح القرارات بقوة القوانين. . وهكذا حكمت نيابة عن زوجها الذي كان يوقع على قرارات كانت تصدرها هي. . وكان عليها أن تواجه البرلمان والمعارضة والشارع الذي يمتلئ بالمظاهرات ، و قد لعبت دورا خطيرا في تدبير مقتل زعيم المعارضة كما أشارت إليها أصابع الاتهام و لكن لم تطلها يد العدالة ، حيث تمكنت من طمس أية ادلة تثبت التهمة عليها أو زوجها و هما المستفيدان الرئيسيان من مقتل أكينو !!

كان بنينو أكينو أبرز معارض لماركوس وزوجته. .وقد قبض عليه في خريف ١٩٧٢. . بموجب الأحكام العرفية وفي السجن أضرب عن الطعام وكاد أن يموت. . وفي خريف ١٩٧٧ حكموا عليه بالموت رمياً بالرصاص.. وقبيل التنفيذ تدخل الرئيس الأمريكي جيمي كارتر طالباً العفو عنه.. على أن يغادر البلاد. .وهو ما حدث. . حيث سافر هو وأسرته للعيش في منفاه في مدينة بوسطن الأمريكية. .وهناك بدأ يحرك المعارضة الفلبينية نحو أعمال العنف التي هزت نظام ماركوس كثيراً.. وتقول زوجته كورازون:

إن أكينو لم يكن إرهابيًا كما صورته إيميلدا في الصحف والمجلات وشبكات التليفزيون التي اشترتها بالمال.. بل على العكس. .كان شاعراً يؤمن بالحرية ويغني لها.

وقبل مصرعه لم تتورع إيميلدا عن مقابلة أكينو سراً لتساومه. . وقد طلب منها العودة. .لكنها حذرته من القتل. . على أنه بتحريض من المخابرات الأمريكية قرر العودة. . وفي يوم السبت ٢٠ أغسطس ١٩٨٣، هبطت طائرته في مطار مانيلا. . واكتشف رجال الأمن أنه يرتدي قميصاً واقياً من الرصاص. .

وقبل أن تلمس قدمه الأرض انطلقت رصاصة من الخلف، لتصيب رأسه. . فسقط غارقاً في دمائه. .وانطلقت رصاصة أخرى لتقتل القاتل. . على طريقة اغتيال الرئيس الأمريكي الراحل جون كيندي.

ويقسم مدير المخابرات الأمريكية الأسبق وليم كيسي أن ماركوس بريء من دم أكينو . . ولكن عندما سأله الصحفي المعروف بوب وود ورد عن دور زوجته إيميلدا في الجريمة .. يقول: إنها امرأة جميلة. . والمرأة الجميلة لا تنسى الإهانة. .وقد أهانها أكينو، واتهمها بالفساد المالي والخلقي.. ثم إنها امرأة قوية. . والمرأة القوية لا تهدأ إلا إذا شمت رائحة الدم. . إنه أشد تأثيراً عليها من رائحة البرفان.

- هل يصل انتقامها إلى حد القتل؟

- انتقام من؟

- ايميلدا ماركوس؟

- إنني أتحدث عن المرأة الجميلة . . القوية بشكل عام.

- فهمت!

وفي سنة ١٩٨٥ كان على المخابرات الأمريكية أن تبحث عن بديل لماركوس، بعد أن أفقده المرض السيطرة على نفسه تماماً.. وكان البديل إما جنرالا في الجيش يقوم بانقلاب عسكري لصالح واشنطن. .أو زعيما مدنيا يقوم بانقلاب ديمقراطي من خلال الانتخابات لصالح واشنطن أيضاً. .واختار رونالد ريجان الحل الثاني..

وأجبر ماركوس على إجراء انتخابات الرئاسة في فبراير ١٩٨٦ قبل موعدها بعامين.. وقرر أن تكون انتخابات نزيهة . . أي قرر أن يسقط ماركوس.

وحرمت المخابرات الأمريكية على إيميلدا أن تدخل الانتخابات بدلاً من زوجها التي توقعت هي الأخرى فشله. . وفي مقر المخابرات المركزية في لانجلي قابلها وليم كيسي. . واعتذر بنعومة عن الاستجابة لطلبها. .ولكنها غضبت. . وصرخت. . وضربت المكتب بيدها. .قائلة:

- لا أحد يمنعني ولا الشيطان من ذلك.

فمد وليم كيسي يده في هدوء إلى كيس من البلاستيك في داخله مجموعة شرائط فيديو قدمها لها قائلاً:

- شاهدي هذه الشرائط قبل أن تتخذي قرارك.

- هل . . فيها. . أو . .

- إنها ستسعدك في الشيخوخة عندما لا يبقى للمرأة سوى ذكرياتها الحلوة القديمة.

- إنه ابتزاز.

- بل إنذار.

- لكن كورازون أكينو سترشح نفسها.

- يكفي امرأة واحدة.

- أنا أكثر جمالاً وذكاء منها.

- هي أكثر براءة.

وخرجت "ملاك آسيا" – حسب وصف الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون – مهزومة من واشنطن . .وخرج زوجها – بعد فوز كورازون أكينو في الانتخابات – مهزوماً من مانيلا. .سافر إلى منفاه في الولايات المتحدة في ٢٥ فبراير ١٩٨٦ .. وبعد حوالي ٣ سنوات مات في هونولولو. . واحتفظت إيميلدا بالجثمان حتى توافق كورازون أكينو بدفنه في الفلبين. . وفي صيف ١٩٩٣ جاءت الموافقة.

وسافرت ايميلدا والجثمان إلى مانيلا. . كانت ترتدي السواد، وإن لم تنس أن الموضة وقتها هي الميني جوب. . كذلك لم تنس أن تضع حول رقبتها كوليه من الماس ليبرق في لون الليل أو لون الحزن الذي ترتديه. . إنها امرأة مثيرة مسيطرة حتى آخر العمر. . حتى القبر . . حتى نهاية الدهر .

■■■

٢٧

هبة سليم ..

الصعود إلى الهاوية !!

ooo

هبة سليم في لقطة نادرة تقف في الصف الثاني من اليمين بين موشي ديان وزير الدفاع وجولدا مائير .. لقد كان الجميع يتعامل مع هذه الخائنة باعتبارها واحدة منهم !!

" أحسست يومها بأنني ملكة متوجة . . فعندما اقتربت الطائرة من المجال الجوي الإسرائيلي . . لاحظت أن طائرتين حربيتين رافقتا طائرتي كحرس شرف وتحية لي . . وهذه مراسم تكريمية لا تقدم أبداً إلا لرؤساء وملوك الدول . . حيث تقوم الطائرات المقاتلة بمرافقة طائرة الضيف حتى مطار الوصول .

وفوجئت باستقبال ضخم في المطار يضم إيسير هاريل رئيس الموساد ونخبة من كبار الضباط بينهم مايك هاراري الأسطورة . . فتملكني شعور بالزهو لا أستطيع وصفه. . ووجدت بمدخل مكتب جولدا مائير صفًّا من عشرة جنرالات – أدوا لي التحية العسكرية . . وقدمتني اليهم رئيسة الوزراء قائلة: "إن هذه الآنسة قدمت لإسرائيل خدمات أكثر مما قدمتم لها جميعاً مجتمعين" .

هكذا قالت هبة عبد الرحمن سليم عامر المعروفة باسم " هبة سليم " أشهر الخونة في تاريخ العرب الحديث في مذكراتها .

وعندما اقتصت منها يد العدالة لم يبك عليها أحد باستثناء مخدوميها الإسرائيليين ، الذين لطالما طعنت بني جلدتها من أجلهم !!

ويكفي أن جولدا مائير قد بكت حزناً على مصير هبة سليم ، و ضغطت على الأمريكيين حلفاء إسرائيل كى يتدخلوا بقوة لإنقاذ رقبتها ،

وقد حاولوا فعلا وبعثوا بوزير الخارجية الأمريكي السابق هنري كيسنجر إلى الرئيس الراحل أنور السادات لتخفيف الحكم فأمر السادات باعدام الخائنة فورا لحسم أمرها ، والتحرر من الضغوط الأمريكية ، و قطع الطريق أمام إسرائيل !!

وهكذا .. فكما أن هناك أبطالا خلدهم التاريخ لما قدموه من أجل أوطانهم ، وضحوا من أجلها بكل عزيز وغالٍ ، هناك أيضًا وعلى الجانب الآخر من باع دينه ووطنه بثمن بخس وبأموال حرام ، و هكذا كان الحال مع ملكة الجاسوسية – كما لقبها البعض – هبة سليم !!

ومن فداحة الخيانة التي اقترفتها هذه الخائنة في حق مصر و في حق وطنها العربي بشكل عام ، فقد كانت موضوعًا يستهوي الكتاب والسينمائيين ، ولعل أصدق مثال على ذلك هو الرواية الشهيرة التي كتبها الراحل صالح مرسي بعنوان: "الصعود إلى الهاوية " ، والتي تحولت إلى فيلم سينمائي بطولة النجمة الراحلة مديحة كامل بنفس الاسم حظى بنسبة مشاهدة رهيبة .

ومنذ أن كتب الكاتب الراحل صالح مرسي قصة هبة سليم في فيلم "الصعود إلى الهاوية" وصورة هذه الخائنة مرتسمة بخيالنا. . وحفظنا تفاصيل تجنيدها وخيانتها حتى سقطت في قبضة المخابرات المصرية هي وخطيبها.

والجديد هنا في قصة عبلة كامل " اسم بطلة الفيلم " . . أو "هبة سليم" الحقيقية. . معلومات جديدة تماماً أعلن عنها مؤخراً .. وكانت خافية حتى بضع سنوات خلت . . كشفت النقاب عن شريكها الضابط العسكري المقدم فاروق الفقي.

إنها قصة مثيرة وعجيبةللخيانة في ذروتها . . قصة أول جاسوسة عربية استُغلت عقائديًّا. ..فكانت بذلك أول حالة شاذة لم تماثلها حالة أخرى من قبل أو بعد !!

· فكما جرت العادة ، لم تدخر المخابرات الإسرائيلية وسيلة عند تجنيدها للجواسيس إلا وجربتها. وأيضاً – لم تعتمد على فئة معينة من الخونة . . بل جندت كل من صادفها منهم واستسهل بيع الوطن بثمن بخس وبأموال .. حرام، وأشهر هؤلاء على الإطلاق – هبة عبد الرحمن سليم عامر – وخطيبها المقدم فاروق عبدالحميد الفقي.

إنها إحدى أشرس المعارك بين المخابرات الحربية المصرية والمخابرات الإسرائيلية. معركة أديرت بذكاء شديد وبسرية مطلقة، انتصرت فيها المخابرات المصرية في النهاية. وأفقدت العدو توازنه، وبرهنت على يقظة هؤلاء الأبطال الذين يحاربون في الخفاء من اجل الحفاظ على أمن الوطن وسلامته.

لقد بكت جولدا مائير حزناً على مصير هبة التي وصفتها بأنها "قدمت لإسرائيل أكثر مما قدم زعماء إسرائيل" وعندما جاء هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي ليرجو السادات تخفيف الحكم عليها. . كانت هبة تقبع في زنزانة انفرادية لا تعلم أن نهايتها قد حانت بزيارة الوزير الأمريكي.

وقد تنبه السادات فجأة إلى أنها قد تصبح عقبة كبيرة في طريق السلام، فأمر بإعدامها فوراً، ليسدل الستار على قصة الجاسوسة التي باعت مصر ليس من أجل المال أو الجنس أو العقيدة. . إنما لأجل الوهم الذي سيطر على عقلها وصور لها بأن إسرائيل دولة عظمى لن يقهرها العرب ، وجيشها من المستحيل زحزحته عن شبر واحد من سيناء، وذلك لأن العرب أمة متكاسلة أدمنت الذل والفشل، فتفرقت صفوفهم ووهنت قوتهم . .الى الأبد.

آمنت هبة بكل هذه الخرافات، ولم يستطع والدها – وكيل الوزارة بالتربية والتعليم – أن يمحو أوهامها أو يصحح لها خطأ هذه المفاهيم.

ولأنها تعيش في حي المهندسين الراقي وتحمل كارنيه عضوية في نادي "الجزيرة" – أشهر نوادي القاهرة – فقد اندمجت في وسط شبابي لا تثقل عقله سوى أحاديث الموضة والمغامرات، وبرغم هزيمة ١٩٦٧ الفادحة والمؤلمة للجميع.. إلا أن هبة انخرطت في "جروب" من شلة أولاد الذوات تسعى خلف أخبار الهيبز، وملابس الكاوبوي وأغاني ألفيس بريسلي.

وعندما حصلت على الثانوية العامة ألحت على والدها للسفر إلى باريس لإكمال تعليمها الجامعي، فالغالبية العظمى من شباب النادي أبناء الهاي لايف، لا يدخلون الجامعات المصرية ويفضلون جامعات أوروبا المتحضرة .

وأمام ضغوط الفتاة الجميلة وحبات لؤلؤ مترقرقة سقطت على خديها، وافق الأب وهو يلعن هذا الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه ولا بد من مسايرة عاداته وتقاليده.

وفي باريس لم تنبهر الفتاة كثيراً، فالحرية المطلقة التي اعتادتها في مصر كانت مقدمة ممتازة للحياة والتحرر في عاصمة النور.

ولأنها درست الفرنسية منذ طفولتها فقد كان من السهل عليها أيضاً أن تتأقلم بسرعة مع هذا الخليط العجيب من البشر.

ففي الجامعة كانت تختلف كل الصور عما ترسب بمخيلتها . . إنها الحرية بمعناها الحقيقي، الحرية في القول والتعبير . . وفي اختيار المواد الدراسية . . بل وفي مواعيد الامتحان أيضاً، فضلاً عن حرية العلاقة بين الجنسين التي عادة لا تقتصر على الحياة الجامعية فحسب . . بل تمتد خارجها في شمولية ممتزجة باندفاع الشباب والاحتفاء بالحياة.

جمعتها مدرجات الجامعة بفتاة يهودية من أصول بولندية دعتها ذات يوم لسهرة بمنزلها، وهناك التقت بلفيف من الشباب اليهود الذي تعجب لكونها مصرية جريئة لا تلتفت إلى الخلف، وتنطلق في شراهة تمتص رحيق الحرية . . ولا تهتم بحالة الحرب التي تخيم على بلدها، وتهيمن على الحياة بها.

لقد أعلنت صراحة في شقة البولندية أنها تكره الحرب، وتتمنى لو أن السلام عم المنطقة. وفي زيارة أخرى أطلعتها زميلتها على فيلم يصور الحياة الاجتماعية في إسرائيل، وأسلوب الحياة في "الكيبوتز" وأخذت تصف لها كيف أنهم ليسوا وحوشاً آدمية كما يصورهم الإعلام العربي، بل هم أناس على درجة عالية من التحضر والديموقراطية.

وعلى مدار لقاءات طويلة مع الشباب اليهودي والامتزاج بهم بدعوى الحرية التي تشمل الفكر والسلوك . . استطاعت هبة أن تستخلص عدة نتائج تشكلت لديها كحقائق ثابتة لا تقبل السخرية. أهم هذه النتائج أن إسرائيل قوية جدًّا وأقوى من كل العرب. وأن أمريكا لن تسمح بهزيمة إسرائيل في يوم من الأيام بالسلاح الشرقي.. ففي ذلك هزيمة لها.

آمنت هبة أيضاً بأن العرب يتكلمون أكثر مما يعملون. وقادتها هذه النتائج الكاذبة لمقدمات أكثر منها كذبا إلى حقد دفين على العرب الذين لا يريدون استغلال فرصة وجود إسرائيل بينهم ليتعلموا كيفية اختزال الشعارات إلى فعل حقيقي. وأول ما يبدأون به نبذ نظم الحكم التي تقوم على ديموقراطية كاذبة وعبادة للحاكم هكذا ضللوها.

وثقت هبة أيضاً في أحاديث ضابط الموساد الذي التقت به في شقة صديقتها.. وأوهمها باستحالة أن ينتصر العرب على إسرائيل وهم على خلاف دائم وتمزق خطير، في حين تلقى إسرائيل الدعم اللازم في جميع المجالات من أوروبا وأمريكا.

هكذا تجمعت لديها رؤية أيديولوجية باهتة، تشكلت بمقتضاها اعتقاداتها الخاطئة، التي قذفت بها إلى الهاوية.

الشك المجنون

كانت هذه الأفكار والمعتقدات التي اقتنعت بها الفتاة سبباً رئيسياً لتجنيدها للعمل لصالح الموساد .. دون إغراءات مادية أو عاطفية أثرت فيها، مع ثقة أكيدة في قدرة إسرائيل على حماية "أصدقائها" وإنقاذهم من أي خطر يتعرضون له في أي مكان في العالم.

هكذا عاشت الفتاة أحلام الوهم والبطولة، وأرادت أن تقدم خدماتها لإسرائيل طواعية ولكن.. كيف؟ الحياة في أوروبا أنستها هواء الوطن. .وأغاني عبد الحليم حافظ الوطنية. .وبرج القاهرة الذي بناه عبد الناصر من أموال المخابرات الأمريكية التي سخرتها لاغتياله.

فقط تذكرت فجأة المقدم فاروق الفقي الذي كان يطاردها في نادي الجزيرة، ولا يكف عن تحين الفرصة للانفراد بها. .وإظهار إعجابه الشديد ورغبته الملحة في الارتباط بها. لقد ملت كثيراً مطارداته لها من قبل في النادي وخارج النادي، وكادت يوماً ما أن تنفجر فيه غيظاً في التليفون. . وذلك عندما تلاحقت أنفاسه اضطراباً وهو يرجوها أن تحس به. مئات المرات قال لها: "أعبدك .. أحبك .. أهواك يا صغيرتي". ولكنها كانت قاسية عنيفة في صده.

تذكرت هبة هذا الضابط الولهان، وتذكرت وظيفته الهامة في مكان حساس في القوات المسلحة المصرية، وعندما أخبرت ضابط الموساد عنه. .كاد أن يطير بها فرحاً، ورسم لها خطة اصطياده.

وفي أول أجازة لها بمصر..كانت مهمتها الأساسية تنحصر في تجنيده.. وبأي ثمن، وكان الثمن خطبتها له. وفرح الضابط العاشق بعروسه الرائعة التي فاز بها أخيراً، وبدأت تدريجياً تسأله عن بعض المعلومات والأسرار الحربية. . وبالذات مواقع الصواريخ الجديدة التي وصلت من روسيا. . فكان يتباهى أمامها بأهميته ويتكلم في أدق الأسرار العسكرية، ويجيء لها بالخرائط زيادة في شرح التفاصيل.

أرسلت هبة سليم على الفور بعدة خطابات إلى باريس بما لديها من معلومات ولما تبينت إسرائيل خطورة وصحة ما تبلغه هذه الفتاة لهم.. اهتموا بها اهتماماً فوق الوصف. وبدأوا في توجيهها إلى الأهم في تسليح ومواقع القوات المسلحة.. وبالذات قواعد الصواريخ والخطط المستقبلية لإقامتها، والمواقع التبادلية المقترحة.

وسافرت هبة إلى باريس مرة ثانية تحمل بحقيبتها عدة صفحات. . دونت بها معلومات غاية في السرية والأهمية للدرجة التي حيرت المخابرات الإسرائيلية. فماذا سيقدمون مكافأة للفتاة الصديقة؟

سؤال كانت إجابته عشرة آلاف فرنك فرنسي حملها ضابط الموساد إلى الفتاة .. مع وعد بمبالغ أكبر وهدايا ثمينة وحياة رغدة في باريس. رفضت هبة النقود بشدة وقبلت فقط السفر إلى القاهرة على نفقة الموساد بعد ثلاثة أشهر من إقامتها بباريس. كانت الوعود البراقة تنتظرها في حالة ما إذا جندت خطيبها ليمدهم بالأسرار العسكرية التي تمكنهم من اكتشاف نوايا المصريين تجاههم.

لم يكن المقدم فاروق الفقي بحاجة إلى التفكير في التراجع، إذ أن الحبيبة الرائعة هبة كانت تعشش بقلبه وتستحوذ على عقله.. ولم يعد يملك عقلاً ليفكر، بل يملك طاعة عمياء سخرها لخدمة إرادة حبيبته. وعندما أخذها في سيارته الفيات ١٢٤ إلى صحراء الهرم.. كان خجولاً لفرط جرأتها معه، وادعت بين ذراعيه أنها لم تصادف رجلاً قبله أبداً. وأبدت رغبتها في قضاء يوم كامل معه في شقته. ولم يصدق أذنيه. فهو قد ألح عليها كثيراً من قبل لكنها كانت ترفض بشدة. الآن تعرض

عليه ذلك بحجة سفرها، وفي شقته بالدقي تركت لعابه يسيل، وجعلته يلهث ضعفاً وتذللاً..

ولما ضمها إلى صدره في نهم ورغبة واقتربت شفتاه منها.. صدته في تمنع كاذب.. فاندفع إليها بشوق أكثر، ولملم جرأته كلها وأطبق على شفتيها يروي ظمأ ملهوفاً تلسعه موجات من صهد أنوثتها. فأذاقته قبلة طويلة غمست بلذائذ من النشوة، وحمم من الرغبات، فطار عقله وبدا كطفل تشبث بأمه في لحظة الجوع، لكنها.. هيهات أن تمنحه كل ما يريد.

فقد حجبت عنه رعشة الوطر وأحكمت قيدها حول رقبته فمشى يتبعها أينما سارت.. وسقط ضابط الجيش المصري في بئر الشهوة ووقّع وثيقة خيانته عارياً على صدرها، ليصير في النهاية عميلاً للموساد تمكن من تسريب وثائق وخرائط عسكرية.. موضحاً عليها منصات الصواريخ "سام ٦" المضادة للطائرات.. التي كانت القوات المسلحة تسعى ليلى نهار لنصبها لحماية مصر من غارات العمق الإسرائيلية.

لقد تلاحظ للقيادة العامة للقوات المسلحة ولجهازي المخابرات العامة والحربية، أن مواقع الصواريخ الجديد تدمر أولاً بأول بواسطة الطيران الإسرائيلي. حتى قبل أن يجف الأسمنت المسلح بها، وحدوث خسائر جسيمة في الأرواح، وتعطيل في تقدم العمل وإنجاز الخطة التي وضعت لإقامة حائط الصواريخ المضادة للطائرات.

تزامنت الأحداث مع وصول معلومات لرجال المخابرات المصرية.. بوجود عميل "عسكري" قام بتسريب معلومات سرية جداً إلى إسرائيل. وبدأ شك مجنون في كل شخص ذي أهمية في القوات المسلحة، وفي مثل هذه الحالات لا يستثنى أحد بالمرة بدءاً من وزير الدفاع إلى آخر مجند فى الجيش.

يقول السفير عيسى سراج الدين سفير مصر في كوبنهاجن، ووكيل وزارة الخارجية بعد ذلك:

"اتسعت دائرة الرقابة التليفزيونية والبريدية لتشمل دولاً كثيرة أخرى، مع رفع نسبة المراجعة والرقابة إلى مائة في المائة من الخطابات وغيرها، كل ذلك لمحاولة كشف الكيفية التي تصل بها هذه المعلومات إلى الخارج. كما بدأت رقابة قوية وصارمة على حياة وتصرفات كل من تتداول أيديهم هذه المعلومات من القادة، وكانت رقابة لصيقة وكاملة. وقد تبينت طهارتهم ونقاؤهم.

ثم أدخل موظفو مكاتبهم في دائرة الرقابة. . ومساعدوهم ومديرو مكاتبهم .. وكل من يحيط بهم مهما صغرت أو كبرت رتبته".

وفي تلك الأثناء كانت هبة سليم تعيش حياتها بالطول وبالعرض في باريس. وعرفت الخمر والتدخين وعاشت الحياة الأوروبية بكل تفاصيلها. وكانت تشعر في قرارة نفسها بأنها خلقت لتعيش في أوروبا، وتكره مجرد مرور خاطرة سريعة تذكرها بمصريتها.

لقد نزفت عروبتها نزفاً من شرايين حياتها، وتهللت بشراً عندما عرض عليها ضابط الموساد زيارة إسرائيل، فلم تكن لتصدق أبداً أنها مهمة إلى هذه الدرجة، ووصفت هي بنفسها تلك الرحلة قائلة: "طائرتان حربيتان رافقتا طائرتي كحارس شرف وتحية لي. وهذه إجراءات تكريمية لا تقدم أبداً إلا لرؤساء وملوك الدول الزائرين، حيث تقوم الطائرات المقاتلة بمرافقة طائرة الضيف حتى مطار الوصول.

وفي مطار تل أبيب كان ينتظرني عدد من الضباط اصطفوا بجوار سيارة ليموزين سوداء تقف أسفل جناح الطائرة، وعندما أدوا التحية العسكرية لي تملكني شعور قوي بالزهو. واستقبلني بمكتبه مائير عاميت رئيس جهاز الموساد ، وأقام لي حفل استقبال ضخماً ضم نخبة من كبار ضباط الموساد على رأسهم مايك هراري الأسطورة .

وعندما عرضوا تلبية كل "أوامري" . . طلبت مقابلة جولدا مائير رئيسة الوزراء، ووجدت على مدخل مكتبها صفًا من عشرة جنرالات إسرائيليين أدوا لي التحية العسكرية. . وقابلتني مسز مائير ببشاشة ورقة وقدمتني إليهم قائلة: "إن هذه الآنسة قدمت لإسرائيل خدمات أكثر مما قدمتم لها جميعاً مجتمعين".

وبعد عدة أيام عدت إلى باريس. . وكنت لا أصدق أن هذه الجنة "إسرائيل" يتربص بها العرب ليدمروها!!

وفي القاهرة . . كان البحث لا يزال جارياً على أوسع نطاق، والشكوك تحوم حول الجميع، إلى أن اكتشف أحد مراقبي الخطابات الأذكياء "من المخابرات المصرية" خطاباً عادياً مرسلاً إلى فتاة مصرية في باريس سطوره تفيض بالعواطف من حبيبها. لكن الذي لفت انتباه المراقب الذكي عبارة كتبها مرسل الخطاب تقول إنه قام بتركيب إيريال الراديو الذي عنده، ذلك أن عصر إيريال الراديو قد انتهى. إذن .. فالإيريال يخص جهازاً لاسلكياً للإرسال والاستقبال.

وانقلبت الدنيا في جهازي المخابرات الحربية والمخابرات العامة وعند ضباط البوليس الحربي، وتشكلت عدة لجان من أمهر رجال المخابرات، ومع كل لجنة وكيل نيابة ليصدر الأمر القانوني بفتح أي مسكن وتفتيشه. وكانت الأعصاب مشدودة حتى أعلى المستويات في انتظار نتائج اللجان، حتى عثروا على جهاز الإيريال فوق إحدى العمارات.. واتصل الضباط في الحال باللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية وأبلغوه باسم صاحب الشقة. . فقام بإبلاغ الفريق أول أحمد اسماعيل وزير الدفاع "قبل أن يصبح مشيراً" الذي قام بدوره بإبلاغ الرئيس السادات.

حيث تبين أن الشقة تخص المقدم فاروق الفقي، وكان يعمل وقتها مديراً لمكتب أحد القيادات الهامة في الجيش، وكان بحكم موقعه مطلعاً على أدق الأسرار العسكرية.

وكان الضابط الجاسوس أثناء ذلك في مهمة عسكرية بعيداً عن القاهرة.

وعندما اجتمع اللواء فؤاد نصار بقائدالضابط الخائن. . "قيل بعد ذلك أنه ضابط كبير له دور معروف في حرب أكتوبر واشتهر بخلافه مع الرئيس السادات حول الثغرة" . . رفض القائد أن يتصور حدوث خيانة بين أحد ضباط مكتبه. خاصة وأن المقدم فاروق يعمل معه منذ تسع سنوات، بل وقرر أن يستقيل من منصبه إذا ما ظهر أن رئيس مكتبه جاسوس للموساد.

وعندما دخل الخائن إلى مكتبه.. كان اللواء حسن عبد الغني نائب مدير المخابرات الحربية ينتظره جالساً خلف مكتبه بوجه صارم وعينين قاسيتين فارتجف رعباً وقد جحظت عيناه وقال في الحال "هو أنت عرفتوا؟؟" .

وعندما ألقى القبض عليه استقال قائده على الفور، ولزم بيته حزيناً على خيانة فاروق والمعلومات الثمينة التي قدمها للعدو.

وفي التحقيق اعترف الضابط الخائن تفصيليًّا بأن خطيبته جندته بعد قضاء ليلة حمراء معها .. وأنه رغم اطلاعه على أسرار عسكرية كثيرة إلا أنه لم يكن يعلم أنها ستفيد العدو.

وعند تفتيش شقته أمكن العثور على جهاز اللاسلكي المتطور الذي يبث من خلاله رسائله، وكذا جهاز الراديو ونوتة الشفرة، والحبر السري الذي كان بزجاجة دواء للسعال. ضبطت أيضاً عدة صفحات تشكل مسودة بمعلومات هامة جداً معدة للبث، ووجدت خرائط عسكرية بالغة السرية لأحشاء الجيش المصري وشرايينه، تضم مواقع القواعد الجوية والممرات والرادارات والصواريخ ومرابض الدفاعات الهامة.

وفي سرية تامة . . قدم سريعاً للمحاكمة العسكرية التي أدانته بالإعدام رمياً بالرصاص.. واستولى عليه ندم شديد عندما أخبروه بأنه تسبب في مقتل العديد من العسكريين من زملائه من جراء الغارات الإسرائيلية. وأخذوه في جولة ليرى بعينه نتائج تجسسه. فأبدى استعداده مرات عديدة لأن يقوم بأي عمل يأمرونه به.

ووجدوا — بعد دراسة الأمر بعناية — أن يستفيدوا من المركز الكبير والثقة الكاملة التي يضعها الإسرائيليون في هذا الثنائي. وذلك بأن يستمر في نشاطه كالمعتاد خاصة والفتاة لم تعلم بعد بأمر القبض عليه والحكم بإعدامه.

وفي خطة بارعة من مخابراتنا الحربية، أخذوه إلى فيلا محاطة بحراسة مشددة، وبداخلها نخبة من أذكى وألمع رجال المخابرات المصرية تتولى "إدارة" الجاسوس وتوجيهه، وإرسال الرسائل بواسطة جهاز اللاسلكي الذي أحضرته له الفتاة ودربته عليه. وكانت المعلومات التي ترسل هي بالطبع من صنع المخابرات الحربية، وتم توظيفها بدقة متناهية في تحقيق المخطط للخداع، حيث كانت حرب أكتوبر قد اقتربت، وهذه هي إحدى العمليات الرئيسية للخداع التي ستترتب عليها أمور استراتيجية مهمة بعد ذلك.

لقد كان من الضروري الإبقاء على هبة في باريس والتعامل معها بواسطة الضابط العاشق، واستمر الاتصال معها بعد القبض عليه لمدة شهرين، ولما استشعرت القيادة العامة أن الأمر أخذ كفايته.. وأن القيادة الإسرائيلية قد وثقت بخطة الخداع المصرية وابتلعت الطعم، تقرر استدراج الفتاة إلى القاهرة بهدوء.. لكي لا تهرب إلى إسرائيل إذا ما اكتشف أمر خطيبها المعتقل.

وفي اجتماع موسع.. وضعت خطة القبض على هبة. . وعهد إلى اللواء حسن عبد الغني ومعه ضابط آخر بالتوجه إلى ليبيا لمقابلة والدها في طرابلس حيث كان يشغل وظيفة كبيرة هناك. وعرفاه على شخصيتهما وشرحا له أن ابنته هبة التي تدرس في باريس تورطت في عملية اختطاف طائرة مع منظمة فلسطينية، وأن الشرطة الفرنسية على وشك القبض عليها . . وما يهم هو ضرورة هروبها من فرنسا لعدم توريطها، ولمنع الزج باسم مصر في مثل هذه العمليات الإرهابية. وطلبا منه أن يساعدهما بأن يطلبها للحضور لرؤيته حيث أنه مصاب بذبحة صدرية.

أرسل الوالد برقية عاجلة لابنته. . فجاء ردها سريعاً ببرقية تطلب منه أن يغادر طرابلس إلى باريس. . حيث إنها حجزت له في أكبر المستشفيات هناك وأنها

ستنتظره بسيارة إسعاف في المطار. . وأن جميع الترتيبات للمحافظة على صحته قد تم اتخاذها.

ولكي لا تترك المخابرات المصرية ثغرة واحدة قد تكشف الخطة بأكملها. . فقد تم إبلاغ السلطات الليبية بالقصة الحقيقية، فتعاونت بإخلاص مع الضابطين من أجل اعتقال الجاسوسة المصرية. وتم حجز غرفة في مستشفى طرابلس وإفهام الأطباء المسؤولين مهمتهم وما سيقومون به بالضبط.

وبعدما أرسل والدها ردًّا بعدم استطاعته السفر إلى باريس لصعوبة حالته. . صح ما توقعه الضابطان، إذ حضر شخصان من باريس للتأكد من صحة البرقية وخطورة المرض، وسارت الخطة كما هو مرسوم لها، وذهب الإسرائيليان إلى المستشفى وتأكدا من الخبر، فاتصلا في الحال بالفتاة التي ركبت الطائرة الليبية في اليوم التالي إلى طرابلس. وعلى سلم الطائرة عندما نزلت هبة عدة درجات كان الضابطان المصريان في انتظارها، وصحباها إلى حيث تقف الطائرة المصرية على بعد عدة أمتار من الطائرة الليبية. . فسألتهما:

إحنا رايحين فين؟

فرد أحدهما:

المقدم فاروق عايز يشوفك.

فقالت:

هو فين؟.

فقال لها:

في القاهرة.

صمتت برهة ثم سألت:

أمال إنتم مين؟

فقال اللواء حسن عبد الغني:

إحنا المخابرات المصرية.

وعندما أوشكت أن تسقط على الأرض.. أمسكا بها وحملاها حملاً إلى الطائرة التي أقلعت في الحال، بعد أن تأخرت ساعة عن موعد إقلاعها في انتظار الطائرة القادمة من باريس بالهدية الغالية.

لقد تعاونت شرطة المطار الليبي في تأمين انتقال الفتاة لعدة أمتار حيث تقف الطائرة المصرية. .وذلك تحسباً من وجود مراقب أو أكثر صاحب الفتاة في رحلتها بالطائرة من باريس.. قد يقدم على قتل الفتاة قبل أن تكشف أسرار علاقتها بالموساد.

وبلا شك.. فاعتقال الفتاة بهذا الأسلوب الماهر جعلها تتساءل عن القيمة الحقيقية للوهم الذي عاشته مع الإسرائيليين. فقد تأكدت أنهم غير قادرين على حمايتها أو إنقاذها من حبل المشنقة. وهذا ما جعلها تعترف بكل شيء بسهولة بالتفصيل. . منذ أن بدأ التحقيق معها في الطائرة بعد إقلاعها مباشرة. وبعد أيام قليلة من اعتقالها تبين لها وللجميع عجز الإسرائيليين عن حماية إسرائيل نفسها وعدم قدرتهم على إنقاذها.

فقد جاءت حرب أكتوبر وتدمير خط بارليف بمثابة الصدمة التي أذهلت أمريكا قبل إسرائيل. فالخداع المصري كان على أعلى مستوى من الدقة والذكاء. وكانت الضربة صائبة قد أربكت العدو وأشلته. . لولا المدد العسكري الأمريكي.. والأسلحة المتطورة.. والصواريخ السرية. . والمعونات. . وإرسال الطيارين والفنيين الأمريكان كمتطوعين .

لقد خسرت إسرائيل في ذلك الوقت من المعركة حوالي مائتي طائرة حربية. ولم تكن تلك الخسارة تهم القيادة الإسرائيلية بقدر ما خسرته من طيارين ذوي كفاءة عالية قتلوا في طائراتهم، أو انهارت أعصاب بعضهم ولم يعودوا صالحين للقتال. ولقد سبب سقوط الطائرات الإسرائيلية بالعشرات حالة من الرعب بعد عدة أيام من بدء المعركة. . إلى أن وصلت المعونات الأمريكية لإسرائيل في شكل طيارين وفنيين ووسائل إعاقة وتشويش حديثة.

تبخرت أوهام الجاسوسة هبة سليم. . وأيقنت أنها كانت ضحية الوهم الذي سيطر على فكرها وسرى بشرايينها لمدة طويلة للدرجة التي ظنت أنها تعيش الواقع من خلاله. . لكن.. ها هي الحقائق تتضح بلا رتوش أو أكاذيب.

لقد حكم عليها بالإعدام شنقاً بعد محاكمة منصفة اعترفت صراحة أمامها بجريمتها.. وأبدت ندماً كبيراً على خيانتها. وتقدمت بالتماس لرئيس الجمهورية لتخفيف العقوبة ولكن التماسها رفض.

وكانت تعيش أحلك أيامها بالسجن تنتظر تنفيذ الحكم. . عندما وصل هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي – اليهودي الديانة – لمقابلة الرئيس السادات في أسوان في أول زيارة له إلى مصر بعد حرب أكتوبر.. وحملته جولدا مائير رسالة إلى السادات ترجوه تخفيف الحكم على الفتاة.

ومن المؤكد أن كيسنجر كان على استعداد لوضع ثقله كله وثقل دولته خلف هذا الطلب. وتنبه الرئيس السادات الذي يعلم بتفاصيل التحقيقات مع الفتاة وصدور الحكم بإعدامها.. إلى أنها ستصبح مشكلة كبيرة في طريق السلام. فنظر إلى كيسنجر قائلاً: "تخفيف حكم؟ .. ولكنها أعدمت.. !!".

دهش كيسنجر وسأل الرئيس: "متى.. ؟"

ودون أن ينظر لمدير المخابرات الحربية قال السادات كلمة واحدة: "النهاردة".

وفعلاً .. تم تنفيذ حكم الإعدام شنقاً في هبة سليم في اليوم نفسه في أحد سجون القاهرة.

أما الضابط العاشق – المقدم فاروق عبد الحميد الفقي – فقد استقال قائده من منصبه لأنه اعتبر نفسه مسؤولاً عنه بالكامل.

وعندما طلبت منه القيادة العامة سحب استقالته، رفض بشدة وأمام إصرار القيادة على ضرورة سحب استقالته.. خاصة والحرب وشيكة. .اشترط القائد للموافقة على ذلك أن يقوم هو بتنفيذ حكم الإعدام في الضابط الخائن.

ولما كان هذا الشرط لا يتفق والتقاليد العسكرية. .وما يتبع في مثل هذه الأحوال.. فقد رفع طلبه إلى وزير الدفاع الذي عرض الأمر على الرئيس السادات "القائد الأعلى للقوات المسلحة" فوافق فوراً ودون تردد.

وعندما جاء وقت تنفيذ حكم الإعدام رمياً بالرصاص في الضابط الخائن. . لا أحد يعرف ماذا كان شعور قائده وهو يتقدم ببطء. . يسترجع في شريط سريع تسع سنوات مرت عليهما في مكتب واحد. . تسع سنوات كان بعضها في سواد الليل.. وبعضها تتلألأ خلاله ومضات الأمل قادمة من بعيد. . الأمل في الانتصار على اليهود الخنازير القتلة السفاحين.. وبينما كان يخطط لحرب أكتوبر كان بمكتبه هذا الخائن الذي باع الوطن والأمن وقتل بخيانته أبرياء..

لا أحد يعرف ماذا قال القائد له. . وماذا كان رد الضابط عليه..لا أحد يعرف.

هل طلب منه أن ينطق بالشهادتين، وأن يطلب المغفرة من الله؟..لا أحد يعرف.

لكن المؤكد أنه أخرج مسدسه من جرابه. . وصوبه على رأس الضابط وأطلق طلقتين عليه كما تقضي التعليمات العسكرية في حالة إعدام .

من ناحية أخرى ،كشف اللواء فؤاد نصار أن المخابرات الحربية ، التي كان يتولي منصب مديرها إبان الحرب ، هي التي كشفت قصة التجسس في القاهرة وتولت أمر هبة في باريس إلى أن تمت إعادتها لمصر بدهاء وذكاء رجال المخابرات الحربية.

و قد روى تفصيلات مثيرة عن عملية اصطياد هذه الخائنة ، من خلال معايشته للأحداث ، وانخراطه فيها بحكم منصبه آنذاك .. وما رواه مدير المخابرات الحربية المصرية الأسبق يستحق أن ننقله هنا للمزيد من إلقاء الضوء على هذه المرأة التي باعت وطنها لحساب أعدائه !!

يقول اللواء فؤاد علام : " الإنسان الذي قام بهذه العملية بالقوات المسلحة ضابط وطني جداً، والمخابرات استغلته استغلالاً شديداً جداً، كان يعمل بالصاعقة، رتبته مقدم، كنا نقول كل واحد يعرف ما يخصه فقط، كان هناك ضابط اسمه عبدالغني عرض على جواباً مكتوباً بالحبر السري مرسلاً إلى فتاة بفرنسا اسمها هبة سليم، وفيه تفاصيل الخطة بتاعتنا فيما يخص الصاعقة،

وتفاصيل حقيقية في بداية ١٩٧٣، بدأنا نتتبع العملية ونراقب الناس، جاءني جواب آخر يقول أنا ركبت إيريال فوق سطح العمارة وتقدروا النهارده تتصلوا بي عن طريق الإشارات، كله بالحبر السري.

واستدعيت رجال المخابرات وقلت لهم الناس اللي يعرفوا المعلومات دي من أحمد إسماعيل إلى أصغر عسكري، وذهبت إلى أحمد إسماعيل وقلت له ذلك: معلهش يا افندم سيادتك تحت المراقبة، قال يعني إيه تحت المراقبة؟ قلت له فيه معلومات كيت وكيت، وأنا أعطيت أوامر، وسألته: أنت تعرف هذه الخطة؟ قال: أنا؟ قلت له ليس بالضرورة أنت، ربما من حولك ويعملون معك، إنما كلهم تحت المراقبة.

فراقبوا وأحضروا لي قائمة بأسماء، وعندما أرسل المصدر رسالته: أنا ركبت الإيريال، قلت: تطلع مجموعات على الأسماء اللي إحنا كاتبينها دي، ويشوفوا

العمارات اللي مركبة إيريال (راديو) فالعمارة اللي مركبة إيريال، تشوفوا تبع أي شقة وتدخلوا وتقبضوا على اللي فيها مهما كان.

وأذكر أنه أيامها كان هناك اجتماع لقيادة القوات المسلحة برئاسة أنور السادات، وذهبت وقلت له أرسلت مجموعات وكل مجموعة معها وكيل نيابة عسكري ليعطي الأمر، واللي حنلقي عنده الإيريال سيتم القبض عليه مهما كانت شخصيته.

وأنا أحب أن أقول لكم علشان تبقوا عارفين، بعد وقت اتصل بي عبدالغني وقال: لقينا الإيريال في شقة لضابط اسمه فاروق في الصاعقة، والشقة مغلقة وهو غير موجود.

وكان قائد قوات الصاعقة قلت له في مكتبي: ما رأيك في فاروق، قال: من أحسن الضباط عندي، عمل معي منذ تسع سنوات وهو اليد اليمني لي، وهو الذي يقوم بكل شيء، قلت له: أنا عندي معلومات إنه يسكر ويعرف بنات، فهل ممكن يكون لما يسكر ويعرف بنات يتكلم ويقول حاجة، قال: استحالة، قلت له: هو فين دلوقتي.

قال: مستنيني في المكتب لما أرجع من الاجتماع علشان أقول له إيه اللي حصل في الاجتماع علشان يطلع الأوامر، قلت له: طيب، قل له يقابلك عند مكتب رئيس هيئة العمليات، وكلمت رئيس هيئة العمليات إنه يسيب المكتب، وفتحي عبدالغني يقعد في المكتب، فاروق جاء ودخل غرفة رئيس هيئة العمليات ووجد فتحي عبدالغني على مكتبه، فقال فاروق: انتوا عرفتوا؟.

قال له: عرفنا كل حاجة، وجابه وجه وكنا أنا ونبيل شكري وهو، قلت له: إيه اللي أنت بتعمله ده، بتطلع أسرار القوات المسلحة؟ قال: قوات مسلحة إيه، إنتوا حتحاربوا، بقالكم سنين بتقولوا حتحاربوا، إنتوا بتضحكوا علينا، أنا لو عارف انكوا حتحاربوا ماكنتش عملت كده، إنما إنتوا بتضحكوا علينا، وإحنا بنضحك ع الناس، وكلنا بنضحك على بعض فقلت له: إيه قصتك، وقصة البنت اللي بتبعت لها؟

قال: دي بنت كنت أعرفها وحبينا بعض، وحنتجوز، وأبوها ماوافقش، راحت هي سافرت إلى فرنسا، وأبوها إلى ليبيا، وأنا بقيت هنا، وقعدتوا تقولوا حنحارب، مش حنحارب، والبنت بعتت لي إنها محتاجة معلومات، وكل معلومة حتبعت عليها فلوس، وحنلم قرشين ونتجوز ونعيش في فرنسا.

قلت له: يابني الكلام ده مش مضبوط، واحنا حنحارب، قال: لا لا لا.

-ألم يكن يعلم أنه جاسوس، وأن هذه المعلومات تذهب إلى إسرائيل؟

- هذا الولد نفعنا جداً، كانت علاقتنا بليبيا كويسة، وأبوها كان يعمل بالتدريس هناك، واتصلنا به وقلنا له هناك عملية إنزال بالطائرة، بنتك مشتركة بها في فرنسا، وسيحدث لها أذى، ونحن لا نريد أن تؤذى ابنتك في هذه العملية، فأرسل إليها أنه سيموت ويريد أن يراها قبل أن يموت، وأدخلناه إلى المستشفى، وأرسلت إليه أن هناك طائرة مجهزة ستأتي إليك وتأخذك للعلاج في فرنسا فلا تحمل هماً.

فأصدرت الأوامر بمنع زيارته في المستشفي، وأبلغت كل من يزوره بأنه ممنوع زيارته، وممنوع نقله وأن حالته خطرة، وسيموت خلال يومين.

البنت حضرت من فرنسا، فقلت للضباط بمجرد أن تنزل من الطائرة الفرنسية انقلوها إلى الطائرة المصرية التي جاءت بها إلى القاهرة، وكان فاروق محتجزاً في فيلا للمخابرات.

وقلت له: حنجيب هبة، وسألناها فحكت أنها ذهبت إلى فرنسا وكانت تعمل بالمطاعم، ثم تعرفت على أشخاص قاموا بتشغيلها في شركة، ووفروا لها شقة، وأن هؤلاء اشترطوا أن تمدهم بمعلومات عسكرية عن مصر.

وقالت: ظللت أراسل فاروق مدة شهر ولم يكن يرد على، وفقدت الوظيفة بسبب ذلك ورجعت أعمل بالمطاعم، إلى أن عادت الشركة ووفرت لي تذكرة للذهاب إلى مصر حتى أتمكن من الاتصال المباشر بفاروق.

وقالت إنها قابلت فاروق، وذهبا معاً إلى الإسكندرية، وفي طريقهما إلى الإسكندرية مرا على مطار غرب القاهرة، ففتحت موضوع الحرب معه، فقال ليس هناك حرب، وقال: حناخد قرشين ونعيش مع بعض في فرنسا، وبدأ يرسل معلومات وأنا أرسلها إلى إسرائيل، وكل معلومة أرسلها يرسلون مقابلها نقوداً.

كانت الحرب قد اقتربت، قلت لفاروق الحقيقة أننا سنحارب، وأنت ستحاكم بالتأكيد، إنما لن أحاكمك إلا بعد الحرب، لو انتصرنا فأنت شريك معنا، ولو فشلنا فأنت السبب.

قال: وما العمل، قلت: تظل على صلة بإسرائيل، وترسل إليها المعلومات التي نقولها لك، وطلبنا من هبة سليم إبلاغ الإسرائيليين بأن هناك حرباً حقيقية، وأنها ينبغي أن تكون بجانب فاروق لإرسال المعلومات مباشرة عن طريق اللاسلكي، وبدأ فاروق يرسل المعلومات التي نمده بها واشترك بشكل كامل في عملية خداع إسرائيل.

وانتهت الحرب، وكنت في صراع شديد: نحاكمه، أم لا، نعم شارك في خداع إسرائيل، وأسهم في إحراز النصر، إنما لم يكن باختياره، هو خائن، ولو لم نكتشفه لكان تمادى، إنما نحن أجبرناه، وقررت أن نقدمه للمحاكمة العسكرية والتي حكمت بإعدامه وهكذا جزاء الخونة فى أى مكان وكل زمان.

■ ■ ■

٢٨

إيلينا تشاوشيسكو..

أَسْوَأُ سيدةٍ أُولَى !!

ooo

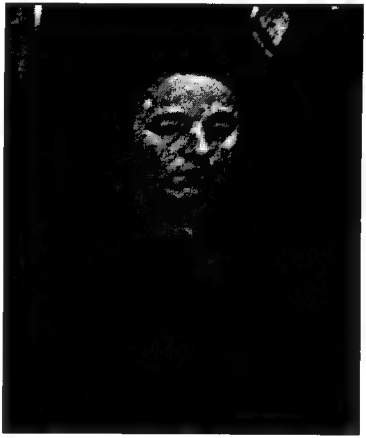

في يوم الكريسماس سنة ١٩٨٩ بدا رجل عجوز و زوجته في ملابس شتوية ثقيلة متشابكي الأيدي خلف مبني في مدينة " تيريجوفيست " برومانيا .

وبعد لحظات من هذا المشاهد تم قتل الاثنين رميا بالرصاص عن طريق ٣ رجال.. المنظر كان بشعا .. رجل و زوجته مضروبين بالنار في النصف الأيمن من الرأس.. بعد أيام قليلة من الحادث تم نشر صورتيهما قتيلين في الشارع في جميع صحف العالم تقريبا.

الرجل و زوجته كانا نيكولاي تشاويتشيسكو ديكتاتور رومانيا و زوجته إلينا و تم الحكم بإعدامهما رميا بالرصاص بعد أن أدانتهما المحكمة بالتسبب في قتل ٦٠ ألف روماني خلال فترة حكمهما للبلاد بالحديد و النار طيلة ٢٤ عاما .

ومع اعدامهما أختفت تماما قوتهما ومظاهر الزهو والفخر والتكبر ولم يبق غير صورة لمواطن عجوز و زوجته متكومين في الشارع .

إلينا تشاوتشيسكو أو إلينا بيتريسكو (هكذا كان اسمها قبل الزواج) من مواليد ٦ يناير ١٩١٩ . كان الأب والأم مزارعين شبه معدمين في منطقة زراعية جنوب العاصمة بوخاريست . ولضيق ذات اليد تركت إلينا التعليم وعمرها ١٤ سنة قبل أن تحصل على الشهادة الإعدادية.. وذهبت للعمل في بوخاريست كعاملة نظافة في معمل ثم عاملة في مصنع للأقمشة.

والغريب انها كان لديها ميول سياسية وبدأت تحضر اجتماعات لحزب الشباب الشيوعي حيث تعرفت و تزوجت من نيكولاي تشاوتشيسكو رئيس هذا الحزب وعمرها ٢٠ عاما.

أما نيكولاي تشاويشيسكو فكان منذ الصغر مهتما بالعمل السياسي و تم اعتقاله وحبسه أكثر من مرة لنشر مبادئ الشيوعية.. حيث التقى في السجن برفيق عمره جورجي جورجيهو ديج و الذي أصبح بعد ذلك رئيسا لرومانيا سنة ١٩٥٢ . و اختار صديقه نيكولاي ليصبح وزيرا للزراعة ، ثم نائب وزير الدفاع ، ثم رئيسا للدولة سنة ١٩٦٥ بعد وفاة الرئيس الروماني.

في تلك المرحلة كانت إلينا تعمل كسكرتيرة بمرتب ضعيف جدا في الشؤون الاجتماعية إلى أن تم فصلها لجهلها وعدم إلمامها بالقراءة والكتابة!

ولعل هذه العقدة كانت صاحبة أكبر الأثر عليها ن فبعد أن وجدت نفسها زوجة سياسي مهم ووزير وهي لم تكمل الإعدادية و لا تجيد القراءة والكتابة ، راحت تركز دائما على تقديم نفسها للرأي العام كامرأة مثقفة و متعلمة.

ولا أحد يعلم كيف رتبت لاحقا للحصول على شهادة دكتوراه في الكيمياء، وبالرغم من أن الجميع كان يعلم أنها شهادة مزورة فلم يجرؤ أحد على الطعن بالتزوير واستمرت الحماقة عندما اختيرت ألينا لتصبح رئيسة الأبحاث الكيميائية برومانيا!!

وكان لديها عقدة في الحصول على تكريم لجهودها في البحث العلمي من جميع الدول اللي قامت بزيارتها و كتب السفير الروماني بواشنطن تقريرا سريا للحكومة الأمريكية أن كون ألينا امرأة جاهلة ولا تجيد القراءة فتعتقد أن إضافة ألقاب قبل اسمها سيغير صورتها لدى الرأي العام.. وبحكم كونها زوجة الرئيس أرغمت العديد من الكيميائيين في رومانيا بنشر أبحاثهم باسمها في مجلات عالمية.. لتحصل على اعتراف بجهودها في البحث العلمي!

وفي عام ١٩٦٧ ، تم تعيين ألينا في منصب وزاري ، وكان زوجها دائما ينفذ كل طلباتها وكانت عاشقة للمناصب والقوة والسلطة لتثبت للجميع أنها الأفضل من بين كل نساء رومانيا !!

وفي عام ١٩٧٢ اشتركت بالحزب الشيوعي الروماني و بسرعة الصاروخ خلال عام واحد أصبحت أمين عام لجنة السياسات!

وفي تلك الأثناء ، بدأ تشاوسيسكو ومعه كتلة شر اسمها إيلينا إقامة أبشع دولة بوليسية في أوربا وربما في العالم .. وتوسعت نطاقات عمل البوليس السري ومصادرة الحريات ، والتجسس على الجميع و فتح الخطابات والتصنت على المكالمات .. وبعد تعديلات دستورية أصبح من حق الشرطة اعتقال كل من تريد.

وفي رقم قياسي تم تعيين مليون مرشد للشرطة من الشعب للتجسس و الإبلاغ عن كل من يعارض النظام .

وكان يتم عرض تقرير بوليسي يومي على الرئيس والأعجب هو أن زوجته هى التي كانت تطلب تلك التقارير وتهتم بها وتؤشر عليها بما يتوجب عمله فأصبحت هى الجلاد الأول للشعب !!

وفي عام ١٩٦٦ حظيت إلينا بدعم زوجها المطلق لفرض قوانين أحوال شخصية غريبة بدعوى الحفاظ على كيان الأسرة الرومانية .

كما دفعت زوجها إلى إصدار قانون كارثي آخر في عام ١٩٧٠ لاقتراض ١٠ بلايين دولار من البنك الدولي لتحويل الدولة من مجتمع زراعي إلى مجتمع مدني.. و إنشاء مصانع فاشلة تستوعب الأيدي العاملة.

في عام ١٩٨٠ بعد فشل تلك الصناعات أصبحت رومانيا تصدر كل ماتنتج لسداد القروض مع الفوائد.

ولنقص الإمكانيات والزيادة السكانية تم القضاء على الخدمات الطبية والكهرباء والتدفئة وكل الاحتياجات الرئيسة.. وأصبح الرومانيون يقضون خمس ساعات في طابور للحصول على بيضتين .

وفي نفس الوقت كان البوليس مستمرا في الاعتقالات لكل من يعترض و يبث روح التحريض على أوضاع البلد المزرية.

وقد توفي العديد من الآباء والأمهات وتركوا ملايين الأطفال دون مأوى واضطرت الحكومة لأخذهم وهي حكومة لا تدري أي شيء عن الإدارة فلم توفر تعليما ولا صحة ولا حتى غذاء لهولاء الأطفال فمات من مات ومن لم يمت عاني إما من أمراض عضوية أو نفسية.

ومن أغرب ما فعلته إلينا هو إصدارها قرارا بعدم الحاجة لفحص الدم لأنه غير ضروري فانتشر الإيدز بمعدلات وبائية بين الأطفال.. وساعد أيضا نقص الإمكانيات وعدم إمداد الأطباء بأي دورات تدريبية في تدهور صحة الرومانيين !!

وفي عام ١٩٧٤ ، و لأول مره في التاريخ تم استحداث منصب رئيس لمدى الحياة في الدستور الروماني خصيصا لنيكولاي.. و أيضا تقديرا لدور إلينا على مجهودها في تحويل الدولة إلى مستنقع وحل تم تعيينها في منصب رئيس الوزراء لتكون أقوى شخصية في الدولة رسميا بعد زوجها!!

ليس ذلك فقط، فقد صدرت تعليمات لجميع الصحف بأنه دائما تحتل الصفحات الأولى صور للزوجين معا و أن لا يظهر الرئيس بمفرده.. و أن يتم كتابة اسميهما معا في نفس السطر بنفس الحجم و أن تكون دائما خلفية الصورة حمراء كلون الحزب و أن لا يتم ذكر أي أسماء في نفس الصفحة لغيرهما حتى رئيس التحرير كي لا يخطف الأضواء منهما.

وبالطبع عناء الشعب وانتشار الجوع والمرض لم يمنع الزوجين وأبناءهما من التنعم بالقصور والحصول على أفخر أنواع الملابس والغذاء والعطور والخمور من الغرب الفاسد المعادي لقيم الشيوعية.. وكانا يمتلكان يختين من أغلى أنواع اليخوت في العالم للتنزه في الأنهار.

وكان عند عودة الرئيس و قرينته من زيارتهما الخارجية المتعددة يتم تجميع العمال والأطفال على جانبي الطرق لغناء الأغاني الوطنية و التصفيق و حمل أعلام رومانيا.

إلى أن جاء عام الحسم على يد وزير مجري سابق يدعى ريفراند لازلو تم الحكم بطرده من رومانيا لجهره بانتقاضات حادة لحكم تشاوشيسكو و زوجته.

ففي شتاء عام ١٩٨١ تجمع ٥٠ ألف روماني في تظاهر لدعم ذلك الوزير. وبدلا من أن يفهم تشاويشيسكو بأن الشعب قادم على مرحلة انفجار قرر أن يذهب لإلقاء خطاب للجمهور.

وظهر من شرفة بلكونة محاطا بعدد من المسئولين وأثناء إلقاء الخطاب الذي أذيع تلفزيونيا تعالت صيحات الجماهير فليسقط الديكتاتور وزوجته وارتبك تشاوتشيسكو و احمر وجهة هو و زوجته لأنهما لم يعتادا على هذا الرد من الجماهير اللي طالما تغنت لحكمتيهما و عبقريتيهما.

وأخطأ تشاويشسكو خطأ عمره بأن قرر المبيت في ذلك المكان لصباح اليوم التالي ليعود للقصر الرئاسي . و لكن قبل طلوع الفجر كانت الجماهير قد نجحت في اقتحام المبني و إلقاء القبض على تشاويشيسكو و زوجته .

وتمت محاكمتهما فورا ، وإلقاء تهم التعمد في قتل الشعب إليهما . و لأول مرة تواجه إلينا بأنها جاهلة و مزورة و دمرت البلد بجهلها.

وكان محاميهما قد نصحهما بادعاء الجنون لتفادي تنفيذ حكم الإعدام فيهما، ولكن كبرياء الزوجين فضلا التزام الصمت ، وكعادة الجبابرة احتقر الرئيس وزوجته المحكمة و طعنا بعدم دستوريتها أو شرعيتها وأنهم لا يملكون محاكمتهما، واتهمت إلينا القضاة بالجهل .

وتم إصدار حكم الإعدام رميا بالرصاص وتنفيذه فيهما فورا.. وتم اقتياد الزوجين إلى خلفية المبني وسألوهما أن ينظرا إلى الحائط وتم إطلاق الرصاص على رأسيهما.. و توفت إلينا و تركت خلفها التاريخ ليظل يلعنها للأبد!

▪▪▪

٢٩

لولا مونتيز ..

أسوأ نساء التاريخ !!

ooo

" لا يوجد أسوأ من هذه المرأة .. إنها تقضى على أى رجل يجرؤ أن يقع فى حبها .. إنها أكثر النساء فظاعة فى العالم ، تسببت فى ضياع عرش ملك ، وكانت عاشقة لعدد كبير من الرجال .. لقد ابتسمت للملك لودفيج الأول ملك بافاريا فسحرته من الوهلة الأولى ودمرته في أيامه الأخيرة ففقد هيبته كملك واضطر أن يتنازل عن العرش " !!

هكذا قال الكاتب العالمي الشهير الكساندر دوماس في وصفه لـ " لولا مونتيز " إحدى أسوأ نساء التاريخ !!

اسمها الحقيقى " إليزا جيلبرت " .. ادعت أنها ابنة اللورد بايرون ، وأنها ابنة نبيل إسبانى خطفها الفجر، ولكن الحقيقة أنها كانت من أصل وضيع لا تريد أن تعترف به.

ولدت فى أيرلندا عام ١٨١٨ ميلادية. وكانت أمها عاملة نسيج من " دبلن "، وأبوها نقيبا فى جيش الهند الشرقية البريطانى. نشأت فى كلكتا، فسدت بسبب الاهتمام الزائد من الخدم. وعندما مات أبوها بالكوليرا، تزوجت أمها صديقه. وهو اسكتلندى، وأرسلت لولا إلى المدارس فى إنجلترا وباريس لتتعلم.

وفرت لولا مع ضابط شاب اسمه جيمس إلى الهند، هجرها بعد فترة. وقابلها أمريكى خلال رحلة ثم هجرها . فقررت أن تكون ممثلة مسرحية ، ولم تنجح لأنها لم تكن تجيد التمثيل .

لذلك قررت أن تصبح راقصة إسبانية، وذهبت إلى إسبانيا لستة أشهر لتكتسب روح البلد وتتعلم اللغة وتكتسب شخصية جديدة.

كانت هى فى السابعة والعشرين تعيش فراغا عاطفيا، حيث قتل ناقد أدبى كان قد تزوجها بعد أن أغرم بها. وعادت إلى الرقص وقررت أن تقوم بجولة فى "بافاريا" ، وكان ذلك أخطر قرار فى حياتها ، حيث قادها إلى علاقة حب ، مع ملك بافاريا لوديفيج الأول.

كان هذا الملك يحب جميع النساء الجميلات ، وأدركت لولا نقطة ضعفه، وخططت لاستغلال ذلك الضعف.

وذهب الملك ليشاهدها ترقص ثلاث ليال متتالية بعدما كانت قد جاءته شاكية من مدير المسرح الذى أراد أن يستبعدها من العمل لعدم كفاءتها كراقصة، ويومها صار الملك أسير سحرها وبعد خمسة أيام فقط قدمها فى البلاط بقوله " هذه هى أفضل صديقة لى ". وكانت الملكة زوجة الملك لودفينج الأول قد اعتادت خياناته

المتكررة. .وصارت لولا أكثر من مجرد عشيقة فكان لديها طموح سياسى ، وبنى لها الملك قصرا ومنحها لقبا، وراتبا، وبدأت تتدخل فى كل شؤون المملكة، حتى ثار الطلاب و نددوا بعلاقة الملك غير المشروعة بعشيقته لولا .. وأغلق الملك الجامعة فى ٨ من فبراير ١٨٤٨، ليرضى لولا !!

وتظاهر المئات وأدرك الملك أخيرا أن الثورة على وشك الاندلاع، ووقع على وثيقة نفى لولا مونتيز من بافاريا، وهربت مستقلة عربتها.

وطُلِبَ من الملك أن يترك العرش لابنه. وظل يدعم لولا ماديا براتب تقاعدى لعدة سنوات.

ووصلت لولا إلى لندن وتزوجت من ضابط يصغرها بعشرين عاما وظلا معا ثلاث سنوات. وأنجبت منه ولدين، وهجرته لأنه لم يستطع أن يدفع لها ديون القمار.

وكانت باريس محطتها التالية بعد إسبانيا، وبعدما تأكدت أن أوروبا لم تعد وجهتها الحقيقية قررت أن تغزو العالم الجديد، فسافرت إلى نيويورك، لتعمل هناك كراقصة، وكان ذلك عام ١٨٥٢ ، وتزوجت صحفيا من كاليفورنيا .

ولم يتحمل مغازلات الآخرين لها، أو مغازلاتها للآخرين، وقررت أن تتخلص منه، فدفعته من فوق ظهر السفينة التى كانا يركبانها. وفى نهاية ١٨٥٦ اختفت، حيث بدت امرأة مختلفة فى أمريكا، ولم تظهر فى دائرة الضوء ثانية لعام كامل، أشيع أنها تزوجت ثانية، ولكنها عندما سئلت عن اسم زوجها كانت تضحك وتنكر المسألة وبعد سنوات عدة وجد فى سجلات العائلة المالكة فى بافاريا سجل عن زواج متعة بين لولا مونتيز ولودفيج !!

كان وقتها فى السبعين. إذا صح ذلك فقد تم إيجاد الوسيلة لإلغاء زواجها من الكابتن جيمس أول أزواجها الذى كانت لم تُطَلَّق منه رغم طول عمرها وكثرة عشاقها. وماتت لولا عام ١٨٥٩ فقيرة على كومة من الخرق، حيث نحلت، وسقط شعرها، وصارت أثوابها رثة !!

■■■

٣٠

آنا نيكول سميث

البداية سيئة والنهاية أسوأ !!

OOO

فجأة-كما كان ظهورها، رحلت عارضة الأزياء السابقة آنا نيكول سميث في فندق بفلوريدا.. آنا نيكول التي لطالما شغلت أميركا وأوروبا بتصرفاتها، نجمة التابلويد رحلت عن عمر يناهز التاسعة والثلاثين بعد أشهر من رحيل أكبر أبنائها في اليوم الذي ولدت فيها ابنتها (والذي لم يُعرف أبوها) .

وبعد رحلة مع تلفزيون الواقع ، بدأت شهرتها حينما غزت عارية غلاف مجلة (البلاي بوي) لتتحول بعدها حديثا للناس ، ولدت في ٢٨ نوفمبر ١٩٦٧ وكانت عارضة أزياء أميركية وممثلة ما جلب لها الشهرة هو حينما تزوجت من هيوارد مارشال وكان الفارق في عمرهما ٦٣ عاما فقط وقد اتهمت وقتها أنها تزوجت من أجل المال وهو الأمر الذي نفته في وسائل الإعلام ولكن هذا لم يكف ليقنع أبناء الراحل مارشال الذين بدءوا رحلة قضائية للحصول على الورث وقد عرفت القضية إعلاميا بـ (مارشال ... ضد مارشال) ولكنهم فشلوا لتنجح هي في الحصول على ثروته.

اسمها الحقيقي (فيكي لين هوغان) وولدت في مكسيا بولاية تكساس ولديها أختان (دونا) و (ايمي) ، ترك والدها العائلة وتطلق من الام فيرغي في ٤ نوفمبر ١٩٦٩ ، وقد ربتها أمها وخالتها ولتتزوج الأم عدة مرات (٤) فيما بعد

في خلال السنوات المبكرة من حياتها كانت أنا نيكول تراهن أنها ستكون (مارلين مانرو) القادمة وذلك حينما كانت تعمل كنادلة وهناك قابلت بيلي واين سميث الذي كان يعمل طباخا وتزوجا في الرابع من أبريل عام ١٩٨٥ حيث كان عمرها ١٧ عاما وهو كان عمره ٦١ عاما وفي العام التالي ولد ابنها (دانييل واين سميث) الذي توفي في العاشر من سبتمبر ٢٠٠٦ .

في عام ١٩٨٧ افترق الزوجان ولم تستطع آنا نيكول أن تحصل على المال الكافي لتربية ابنها لتبدأ رحلتها في النوادي الليلية وفي هيوستن كانت الانطلاقة ، واستمرت على هذه الحال حتى عرض عليها هوف هفنر في عام ١٩٩٢ الظهور على غلاف ملجة (بلاي بوي) وهو ماحصل

وحصلت نيكول على ما كنت تطالب به حينما سميت بالفعل بـ (مارلين مونرو الجديدة) ، واصبحت نيكول النجمة الأشهر في البلاي بوي وكشفت عن ما تبقى من جسدها حينما تصورت عارية في مايو ١٩٩٢ باسم فيكي سميث.

وفي عام ١٩٩٣ مع توالي الألقاب عليها اختارت اسمها الذي اشتهرت به فيما بعد (انا نيكول سميث) .

بدأت انا نيكول تحل محل الشهيرات في عالم الإعلانات فحلت محل كلوديا شيفير في إعلانات جينس من ماركة (Guess) وظهرت صورتها (في إحدى تجارب التصوير) على غلافة مجلة (نيويورك) فرفعت نيكول قضية ضد المجلة و ربحت ملايين دولار لأنها استخدمت الصورة دون موافقة ، وقال محاميها في المرافعة إن نيكول سمحت بالتقاط الصورة كنوع من الدعابة والترويح عن النفس !

وخلال تقديم عروضها في أحد أندية التعري في هيوستن في أكتوبر ١٩٩١ قابلت سميث الملياردير الذي جنى ثروته من استثمارته في النفط (ج هيوارد مارشال) وبدأت العلاقة بينهما لتستمر عامين وقد نقلت التقارير قولها إنه طلب يدها للزواج مرات عدة خلال السنتين .

ولكن الزواج تأخر حيث كانت نيكول متزوجة من بيلي وتطلقت منه في الثالث من فبراير ١٩٩٣ في هيوستن ولتتزوج في السابع والعشرين من يونيو ١٩٩٤ من مارشال الذي كان عمره ٨٩ عاما بينما لم تتجاوز هي السادسة والعشرين وحاصرتها صحافة التابلويد لتتهمها أنها تزوجت من مارشال سعيا للحصول على ماله

نفت هذه المقاربة في الزواج لكنها لم تستطع تفسير عدم إقامتها مع زوجها مؤكدة أن الفارق في العمر لا يعني لها شيئا، وبعد ١٣ شهرا من الزواج توفي مارشال في الرابع من أغسطس ١٩٩٥.

بعد أسابيع من وفاته انضمت نيكول إلى معسكر ضم جيمس هيوارد الثالث و هو ابن مارشال الآخر في قضية ضد الابن الأكبر للملياردير وهو اي بايرس مارشال وطالبوا بحصة تصل إلى ١,٦ مليار دولار من ميراثه ، فيما خلت وصية الملياردير الراحل من اسم ابنيه وراحت كل الثروة لنيكول واستمرت المحاكمة لأكثر من عقد من الزمان .

في عام ١٩٩٦ أعلنت انا نيكول سميث عن افلاسها بعد ان سيطرت المحكمة على كل ممتلكاتها التي تجاوزت ٨٥٠ ألف دولار رغم ان المال كان قد قدم لها من زوجها ، غير أن المحكمة اعتبرته جزءا من الميراث.

وادعت نيكول أن زوجها وعدها بنصف ثروته شفهيا إذا قبلت الزواج به ، وفي عام ٢٠٠٠ منحت المحكمة لها ٤٤٩ مليون دولار وبدا النزال بين محكمة تكساس ومحكمة تكساس الأخرى الخاصة بالإفلاس ليصعد الأمر إلى المحكمة الفيدرالية

وقررت المحكمة عام ٢٠٠٠ بقبول الاستماع إلى القضية وفي الأول من مايو ٢٠٠٦ قبلت المحكمة الفيدرالية بان ترفع انا نيكول القضية في أي من محاكم تكساس للحصول على جزء من أموال زوجها.

المثير أنه في العشرين من يونيو ٢٠٠٦ توفي ابن مارشال الأكبر الذي كان جزءا من المشكلة عن ٦٧ عاما بعد اصابته بمرض طارئ وتولت زوجته إلينا الأمر من بعده .

■ ■ ■

٣١

ماري لويز..

السفاحة الفاتنة !!

ooo

فتاة رائعة الجمال قصتها أغرب من الخيال .. هذه الفتاة تدعى(السفاحة ماري لويز)..وهي جميلة جداً..تخرجت من الجامعة.درست الأدب والفلسفة وعلم النفس.سافرت إلى أماكن كثيرة..وتملك سيارة صغيرة وماري تتمتع بقوام جميل.. وعينين زرقاوين!!وتجيد الغناء أيضا..ولا تشرب النبيذ إلا إذا اضطُرت لذلك!!

لم يصدق أحد أنها متخصصة في الإجرام..إلا بعد أن نشرت الصحف اعترافاتها..واعترفت ماري لويز أنها قتلت عشرة من الأطفال الذكور!!وأنها أطلقت الرصاص على عريس في طريقه إلى الكنيسة..وأنها وضعت السم في كأس عروسين ولكنهمالم يموتا وهذ ماتأسفت له ماري!!

وأعلنت انها لم تحقق أمنيتها بعد ..فقد كانت تتمنى ان تقتل شابا واحدا بالذات.. ولم تعلن اسم هذا الشاب.. وتحت وطأة التنويم المغناطيسي قالت ماري لويز:

إنني من أسرة متدينة..وبعد وفاة والديّ اصبحت أعيش بمفردي وسط ذئاب من الشبان والرجال..لقد استطعت ان أنجو من أحضان أحد أقاربي وهو أكبر مني بخمسين عاماً.بعد أن شجيت رأسه!!

وحاولت إحدى السيدات ان تستدرجني لصديق لها فرفضت وأبلغت الشرطة..وراحت ماري تبكي وتصرخ وتمزق شعرها..ومن ثم تهدأ وتكمل:إلى ان عرفت(جاك)وأحببته وتزوجنا بدون علم أحد..وأفهمني جاك أنه يحبني ويريد أن ينجب مني ثلاثة من الأولاد وأنه يريد أن يجعل الأول ضابطاً كأبيه..والثاني طبيباً كأخيه..والثالث مزارعاً.. إلى ان كان ذلك اليوم الذي اكتشفت خيانته لي..فقد وجدت معه فتاة تلبس ملابسي وتنام في فراشي..وسمعته يقول لها نفس الكلام الذي كان يقوله لي..فأطلقت عليه رصاصة في رأسه وتركت الفتاة تنزل إلى الشارع عارية!!

وكرهته كأن لم أكره قبله ولابعده..وكرهت أحلامي وآمالي.. والأطفال الذين سيصبحون ضباطا وأطباء ومزارعين..وسيكونون رجالاً يخدعون الفتيات في كل مكان..وأنا أريد ان أقضي على كل رجل في هذا البلد !!

أريد ان أريح النساء من الرجال..لقد أعطيت نفسي لكل رجل رفضته قبل ذلك.. أعطيت نفسي لهم جميعاً.. وسقطت ماري على المقعد الطويل..وبعد أن قامت منه نقلها رجال الشرطة إلى السجن...وبعد ذلك إلى المشنقه !!

■■■

٣٢

كارمن موري ..

الملاك الأسود !!

OOO

في عام ١٩٣٨ عندما اجتاح هتلر بلاد النمسا مما سبب أزمة ميونخ .. وقبل أن تندلع الحرب العالمية الثانية .. تم إرسال الجاسوسة كارمن ماري موري والتي أصبحت بعد ذلك من أشهر الجواسيس الألمان في الحرب .

وكارمن تخرجت من معهد الجاسوسية الألمانية وأسندت لها مهمة دقيقة هي كشف أسرار " ماجينو " تلك القلعة التي وصفوها بأنها منيعة ولا يمكن اختراقها .. والتي تمتد على طول حدود سويسرا وبلجيكا .

ومع الميزانية المالية الضخمة التي خصصها الألمان لكارمن تمكنت من شق طريقها في العاصمة الفرنسية إلى أكثر الأوساط أهمية .. بحيث صارت الرفيقة التي يبحث عنها عدد كبير من ضباط الجيش الفرنسي .

وتمكنت كارمن بالتدريج من معرفة أسلوب التحصينات في خطوط قلعة "ماجينو" .. بالإضافة إلى تحديد حقول الألغام والخطوط الحديدية والكهربائية .. وسدود الحواجز المضادة للدبابات ثم قامت بإرسال تلك المعلومات إلى خطيبها ضابط الاستخبارات الألماني المقيم في ميونخ الذي كلفها بهذه المهمة .

ولكن الرياح لم تجر بما تشتهي السفن .

ففي عام ١٩٣٩ وبينما كانت فرنسا كلها تتساءل عما إذا كانت ستضطر إلى دخول الحرب .. بقيت كارمن ولفترة طويلة في مشرب فندق " جورج الخامس " .. بعد أن صارت من نزلائه المرموقين .. حيث كان الجميع يعاملها باحترام كبير .

في هذا المساء بالذات أسرفت كارمن في الشراب بصحبة رفيقيها اللذين كانا ضابطين في الجيش الفرنسي .. ودخلت في حديث معهما وهي سكرانة وتجاوزت كل حدود الحذر دون أن تدري بأن هذين الضابطين هما من ضباط الشعبة الثانية " المخابرات " .. وقد حامت الشكوك حولها في أن تكون إحدى عميلات النازية .

وكانت هذه السهرة بمثابة تأكيد لهذه الشكوك .

تم اعتقال كارمن في اليوم التالي حيث اقتيدت إلى سجن " بوتيت روكت " الموحش الذي يقع في ضاحية من ضواحي باريس .. وبقيت هناك حتى أبريل من عام ١٩٤٠ حيث أصدر المجلس العسكري حكمه عليها بالإعدام .

لكن الحكم لم ينفذ أبداً .

ذلك لأن كارمن أطلق سراحها بعد ستة أسابيع من نطق الحكم .. على يد القوات الألمانية بعد سقوط فرنسا .. وبما أن كارمن كانت تجيد الفرنسية والهولندية والإنجليزية بطلاقة .. ولخبرتها العملية في مجال الجاسوسية قرر الألمان الاستفادة منها .. عند ذلك حملت كارمن إحدى الطائرات إلى برلين حيث تم تكليفها التحري عن قائمة من البلجيكيين والهولنديين .. و كانت أول ضحاياها فتاة بلجيكية تعمل كضاربة على الآلة الكاتبة في بروكسل .. عمرها سبعة عشر عاما فقط .. بعد أن وشت بها إلى الجستابو الذي اعتقلها ذات مساء وهي تحمل رسالة شفرية من إحدى منظمات المقاومة إلى أخرى .. ولم يعثر لها على أثر بعد ذلك .

وهنا قرر الجستابو أن يستخدموا كارمن في مهمة أكثر حساسية .. فتم نقلها إلى معسكر العمل الإجباري الشهير في " رافنسبروك " الذي يقع في شمال ألمانيا على بعد ثمانين كيلومترا من برلين.. تم إدخالها المعسكر على أنها معتقلة سياسية.

كانت مهمتها إرسال المعلومات عن المعتقلات وكم من المسكينات اللواتي قضين أجلهن في ذلك المعسكر على يد تلك المتوحشة كارمن ... فقد كان لديها قدر هائل من السادية والوحشية جعل السجينات والحرس على حد سواء يلقبونها "بالملاك الأسود " .

قضت كارمن أربعة أعوام في هذا المعتقل تعذب وتقتل بلا رحمة أو شفقة .

إلى أن وصلت القوات الروسية وحررت الأسرى وقبضت على قادة المعسكر .. عدا كارمن التي اختفت لعدة أسابيع غادرت بعدها المنطقة الروسية لتتقدم إلى السلطات البريطانية في " شورين " كي تبدأ في تنفيذ مخطط جديد .. تهدف منه إنقاذ نفسها بأن تضع إمكانياتها تحت تصرف القوات المهاجمة .. المنتصرة.. فليس من الحكمة البقاء طويلا تحت رحمة الروس .. مع وجود الإنجليز الأكثر أدبا!!

كان مع كارمن جواز سفر فرنسي مزور ساعدها على الادعاء بأنها إحدى السجينات في معتقل " رافنسبروك " وبأنها تريد منح العون للإنجليز في سبيل العثور على جلادي المعسكر.

وبكل الوحشية والحقد قامت كارمن بإيجاد كل زعماء النازية الفارين في منطقتها والوشاية بهم للإنجليز .

وفي أحد الأيام وبينما هي تشارك أحد الدوريات البريطانية لمحت فتاة بالقرب من إحدى الحانات القديمة .. فقفزت من العربة لتقف قبالتها وتصرخ في وجهها:-

بينز دوروفي .

ولم تقل التعيسة سوى كلمة واحده مرعوبة :-

موري ..

وهنا شك الإنجليز في أمرها .. وأخضعوا بينز لاستجواب دقيق للغاية .. عن سبب الرعب الذي اعتراها عندما شاهدت موري " كارمن " أمام الحانة .. حتى صار عند البريطانيين ملف ضخم عن الأعمال المريعة التي زاولتها كارمن في المعتقل ضد السجينات .

فلقد عجزت كارمن أن تمنع وحشيتها من كشفها وألقي بها مع زملائها من مجرمي الحرب في سجن " إلتونا " في هامبورج .

تم تقديم كارمن للمحاكمة مع خمسة عشر آخرين في تاريخ الثالث من كانون الأول يناير عام ١٩٤٦ بتهمة ارتكاب الجرائم ضد أسرَى الحرب من الحلفاء .. وفي ربيع عام ١٩٤٧ أعيدت كارمن مرة أخرى إلى سجن إلتونا بعد أن صدر ضدها حكم بالإعدام .

ولم تنتظر كارمن تنفيذ الحكم الذي أخطأها عام ١٩٤٠ .. بل انتحرت بقطع شريان معصمها الأيسر داخل زنزانتها لتنتهي حياة جاسوسة شيطانية شغلت الألمان والحلفاء إبان الحرب العالمية الثانية ... جاسوسة تحمل اسم كارمن موري... ولُقِّبت الملاك الأسود .

■■■

٣٣

آني موشيه بيراد ..

ظل الشيطان !!

ooo

وُلدت أمينة داود المفتي عام ١٩٣٩ لأسرة ثرية في إحدى ضواحي عمان الراقية، وكانت عائلتها الشركسية المسلمة قد هاجرت إلى الأردن منذ سنوات طويلة، وتبوأت مراكز سياسية واجتماعية مرموقة.. عرفت أمينة المفتي بين أقرانها بالجمال والدلال والذكاء والطموح لكنها وبرغم نشأتها في أسرة محافظة كانت تكره التقاليد وتسخر منها..

بداية السقوط..

أحبت أمينة المفتي في بداية حياتها شابا فلسطينيا لكنه صدها وهجرها إلى أخرى بسبب غرورها وأنانيتها.. .. صدمها الموقف برمته وكان له آثاره السلبية على حياتها ودراستها، إذ حصلت على الثانوية العامة بدرجات متوسطة، دفعتها للتفكير في السفر إلى أوروبا للالتحاق بإحدى جامعاتها.

وفي عام ١٩٥٧ التحقت بجامعة فيينا لدراسة علم النفس الطبي وهناك تعرفت على طالبة نمساوية (شاذة) تدعى جولي باتريك وتأثرت كثيرا بشخصيتها المتحررة إلى حد الانحلال..

وهكذا مرت سنوات الدراسة في فيينا وفي آب من عام ١٩٦١ عادت أمينة المفتي إلى عمان مكرهة تحمل بداخلها طبائع أخرى، بحثت عن حبيبها الفلسطيني وصدمت عندما علمت بنبأ زواجه من فتاته السمراء.. ففكرت بالعودة إلى النمسا.. واستطاعت الحصول على عمل بورشة صغيرة للعب الأطفال.

وهناك تعرفت بالفتاة اليهودية (سارة بيراد) وانخرطت معها في حياة الانحلال والشذوذ.. وفي إحدى زيارات أمينة المفتي لأسرة سارة في وستندورف، تعرفت إلى (موشيه) شقيق سارة الأكبر الوسيم.. كان موشيه طيارا عسكريا برتبة نقيب،يكبرها بسبع سنوات، وهو إلى ذلك كله بهي الطلعة.. ساحر النظرات معسول الكلام.. فأحبته وارتبطت به بعلاقة محرمة لمدة خمس سنوات.. ساعدها موشيه خلالها في الحصول على شهادة دكتوراه مزورة في علم النفس المرضي وهو فرع من علم النفس الطبي، وفي سبتمبر من عام ١٩٦٦ عادت إلى الأردن بشهادة مزورة وجسد منهك بالخطايا. وحدث ذات يوم أنها قرأت إعلانا في صحيفة محلية عن تأجير مستشفى للمعاقين جسديا ونفسيا تابع لوزارة الصحة.. وفي اليوم التالي كانت في مكتب وزير الصحة وطلبت منه تأجير المستشفى فوافق على طلبها.

وسارت الأمور بشكل روتيني لبضعة شهور حتى فوجئت أستاذة علم النفس بوزير الصحة يستدعيها ويخبرها بأن عقد الإيجار الذي أبرمته الوزارة معها قد تم فسخه لأن موظفو الوزارة تمكنوا من ضبط مخالفات مالية واختلاسات واضحة في المواد الطبية والإيرادات وكشوف المصروفات في المستشفى الذي تديره.

غادرت الدكتورة مكتب الوزير حانقة، غاضبة،وكارهة لكل ما يمت لهذا الوطن بصلة... خصوصا وأنها بعد الحادثة واجهتها اتهامات تشكك في حصولها على شهادة الدكتوراه.. فقررت العودة إلى النمسا من جديد.

وبعد نكسة يونيو عام ١٩٦٧ أسرعت أمينة المفتي إلى موشيه الذي عرض عليها الزواج فوافقت على طلبه دون تردد أو تفكير.. وفي معبد شيمودت.. اعتنقت أمينة

المفتى اليهودية، وتزوجت من موشيه زواجا محرما شرعا، واستبدلت اسمها العربي بالاسم اليهودي الجديد (آني موشيه بيراد) وعاشت معه في شقته الجديدة حياة ملؤها الخوف والتوتر بسبب فعلتها.. إذ أن الخائنة كانت تعتقد أن عيون المخابرات العربية تترصدها في كل مكان ولذلك كانت تتمنى لو أنها كانت تعيش في أي مكان آخر بعيدا عن أعين الرقباء العرب..

وفي صيف عام ١٩٧٢ اعتقدت أن الفرصة التي كانت تحلم بها قد أتتها على طبق من ذهب عندما قرأت إعلانا غريبا بإحدى الصحف النمساوية، تطلب فيه إسرائيل متطوعين من يهود أوروبا للالتحاق بجيش الدفاع، مقابل مرتبات مغرية، وحاولت إقناع زوجها بالفكرة والعيش في إسرائيل لتودع الخوف إلى الأبد.

وأمام إلحاحها المستمر وافق الزوج اليهودي وطارا معا إلى إسرائيل في تشرين الثاني من العام ١٩٧٢ وأقاما في بيت مريح بمستوطنة ريشون لتسيون.. وهناك استقبلت أمينة المفتي بحفاوة إسرائيلية بالغة ووعدها الإسرائيليون بتوفير عمل مناسب لها أيضا في أقرب فرصة بعد أن أخذوها إلى جهة أمنية وسألوها مئات الأسئلة عن نشأتها في الأردن.. أسرتها.. زواجها.. آراؤها السياسية.. وغير ذلك.. إلا أن ما حلمت به الخائنة وتمنته لم يدم طويلا.. إذ أن مدفعية السوريين أسقطت طائرة الرائد الإسرائيلي موشيه بيراد (السكاي هوك) في أول طلعة استطلاع له على الجبهة السورية.. ولم تعلن سوريا عن أسر الطيار الإسرائيلي وقالت إن الطائرة انفجرت في الجو وقائدها بداخلها.

وحاولت إسرائيل استعادة جثة الطيار القتيل عن طريق الصليب الأحمر إلا أن الإجابة كانت أنه مفقود ولا أثر لجثته!.

رحلة الانتقام..

نزل الخبر على المرأة الخائنة كالصاعقة ولم تصدق الأمر.. وظلت تصرخ وتصرخ بهستيريا لأيام طويلة.. وبعد شهر ونصف من الحادث قالت بأنها تشكك

في البيان السوري، وبأن موشيه لا يزال حيا لأنه طيار ماهر!! وصبت جام غضبها على العرب الذين ضيعوا حلمها بالاستقرار والعيش في إسرائيل.. وقررت الثأر لزوجها والانتقام له.

ولكن وقبل كل شيء سافرت إلى شقتها في فيينا التي عاشت فيها ذكريات جميلة مع زوجها الطيار اليهودي.. وفي صباح اليوم التالي أيقظها ثلاثة ضباط إسرائيليون زعموا أن مهمتهم تنحصر في إنهاء إجراءات الإرث الخاص بها، دون إثارة مشاكل مع أسرة زوجها.

وكان ميراثها مع التعويض يربو على النصف مليون دولار، مع الشقة الرائعة في ريشون لتسيون، وطلب الرجال الثلاثة منها أن تتعاون معهم لقاء ذلك، وتنفذ ما سيطلب منها بلا تردد.. ولم تكن المرأة التي باعت دينها وخانت وطنها بحاجة إلى كثير من العناء لجرها إلى فخ الجاسوسية.. فهي طبيبة.. تحمل ثلاث جنسيات مختلفة (الأردنية والنمساوية والإسرائيلية).. بالإضافة إلى أنها غارقة في بحر من الحزن والضغينة والحقد على العرب وكان من السهل على الموساد اصطيادها وتجنيدها لحسابها لكل هذه الأسباب.

بدأت أمينة المفتي بمساعدة ضباط الموساد التدرب على أصول التجسس ومبادئه في شقتها.. وتعلمت في ٣٤ يوما أساليب التجسس المختلفة وكانت في كل هذا ماهرة.. بارعة..

غادرت أمينة المفتي فيينا إلى بيروت لتبدأ رحلة الانتقام، وكتبت في مذكراتها: "لن أهدأ حتى أشهد بنفسي بحور الدم المراق تعلوها الأشلاء الممزقة.. وأرى ألف زوجة عربية تبكي زوجها، وألف أم فقدت ابنها، وألف شاب بلا أطراف" .

وكانت مهمتها المحددة هي تقصي أخبار رجال المنظمات الفلسطينية الذين يؤرقون أمن إسرائيل بالإضافة إلى التحري عن مراكز إقامة قادة المقاومة، والطرق

التي يسلكها الفدائيون للتسلل إلى الأرض المحتلة، أيضاً - التغلغل داخلهم لمعرفة أعداد الفدائيين، وتدريبهم، وتسليحهم. ومدى مهارتهم في التخفي والمناورة، ومخازن الأسلحة والإعاشة.. والحصول على القوائم السرية لرجال المخابرات الفلسطينية (رصد) في أوروبا وصفاتهم.

وقد برعت الجاسوسة الإسرائيلية في كل ما طلب منها.. وخصوصا أن الفلسطينيين وثقوا بها لفترة طويلة فاستطاعت دخول المخيمات الفلسطينية في لبنان والتنقل فيها بحرية تامة.. والتقت برئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات شخصيا عدة مرات وفكرت باغتياله كما ورد في مذكراتها، وجمعت معلومات وافرة عن القادة الفلسطينيين الذين دوخوا الموساد لسنوات طويلة أمثال على حسن سلامة المسؤول عن عملية (ميونيخ) التي قتل فيها أحد عشر إسرائيليا.. إلا أنها سقطت في نهاية الأمر واكتشف أمرها.. وسجنت لعدة سنوات قبل أن يفرج عنها مقابل الإفراج عن أسيرين فلسطينيين في إسرائيل..

وفي يوم ١٣ فبراير ١٩٨٠ تمت عملية مبادلتها بالأسيرين الفلسطينيين، وعاشت الجاسوسة القذرة في شارع هابحيفيم هرتسليا ضمن مستوطنة محصنة يقطنها ٢٢ ألف يهودي وتولى جهاز (الشين بيت) الإسرائيلي حمايتها خوفا من أن تطولها يد عربية في يوم من الأيام، خصوصا وأن عشرات الصحف نشرت صورها وأخبارها.. واسمها يتصدر لوحة الشرف بمبنى الموساد، وهي لوحة تضم أمهر العملاء ويطلق عليهم اسم (الأصدقاء الذين أخلصوا لإسرائيل) وقدموا إليها معلومات عن أعدائها ساعدت على إحراز انتصارات عظيمة ..

أخضعت أمينة المفتي لرعاية طبية نفسية مكثفة، ومنحها الموساد ستين ألف شيكل مكافأة لها... إلا أن حياتها ظلت مضطربة وقلقة كما تحكي في مذكراتها، وعام ١٩٨٢ افتتحت عيادة خاصة وبعد ستة أشهر تقريبا سمعت خبرا في إذاعة لبنانية عن موت والدها وفقدان أمها النطق بسببها.

وفي محاولة يائسة ذهبت الجاسوسة لمبنى الموساد وقابلت الرئيس الجديد ناحوم أدوني.. وطلبت منه أن يحقق رغبتها في العودة إلى الأردن.. ووعدها آدوني بالنظر في أمرها.

ظلت أمينة تنتظر الرد.. وبعد ثلاثة أشهر، أخبرها ضابط الموساد أن أهلها يرفضون أن تعود إليهم وسلمها شريط كاسيت سجل عليه أفراد أسرتها وأعمامها وأخوالها تمنياتهم لها بالموت على ألا تطأ الأرض الأردنية بقدميها بعدما فعلته من غدر وخيانة وقذارة.

وفي مطلع عام ١٩٨٤ نشرت مجلة (بمحانيه) العسكرية الإسرائيلية خبرا صغيرا يقول إن وزير الدفاع أصدر قراراً بصرف معاش دائم للمقدم آني موشيه بيراد، وظلت نهاية أقذر جاسوسة عربية للموساد يلفها الغموض وتتقاذفها الروايات الكثيرة.

إحدى الروايات تؤكد بأنها تعيش الآن بولاية تكساس الأمريكية مع زوجها الإسباني باسم جديد حيث تمتلك مزرعة واسعة هناك.. بينما تزعم رواية ثانية بأنها أجرت تعديلات بوجهها بمعرفة الموساد.. وتعيش في جنوب إفريقيا منذ عام ١٩٨٥ تحت اسم مزيف.. وتعمل في الاستيراد والتصدير.. وتزعم رواية ثالثة أنها انتحرت بحقنة سامة داخل حجرتها بقسم الأمراض العصبية بمستشفى تل هاشومير، وهو مستشفى يعد من أكبر مستشفيات إسرائيل..

■■■

٣٤

انشراح موسى ..

باعت نفسها للشيطان ؟!

ooo

وُلدت انشراح على موسى عام١٩٣٧ في مدينة المنيا لأسرة صعيدية متزمتة.. وكانت الفتاة ذات قوام رشيق ووجه مليح وعينين نجلاوين.. وعندما استطاعت أن تحصل على الشهادة الإعدادية عام ١٩٥١ وبعد أيام قليلة على نجاحها اصطحبها والدها معه إلى القاهرة لحضور حفل عرس أحد أقاربه مكافأة لها.

وفي العرس التقت بالشاب الوسيم هو إبراهيم سعيد شاهين ابن العريش المولود عام ١٩٢٩ .. وشاء لها القدر أن تحبه وتتزوجه رغم معارضة والدتها لهذا الزواج.. وكان زوجها يعمل كاتب حسابات بمكتب مديرية العمل بالعريش.. وهو أيضا لم يحصل إلا على شهادة الإعدادية.. لذلك اتفق مع انشراح على أن يواصل أولادهما تعليمهم حتى أعلى الشهادات العلمية.. وأصبح هذا الأمل هو هدفهما المشترك الذي يسعيان إلى تحقيقه.. خصوصا بعدما رزقا بثلاثة أبناء .

في عام ١٩٦٣ أرسل الزوجان أولادهما إلى عمهم بالقاهرة ليواصلوا الدراسة هناك.. وفي أكتوبر من ١٩٦٦ ضبط إبراهيم يتلقى الرشوة وحبس ثلاثة أشهر.

وبعد ذلك بعام تقريبا قامت إسرائيل باحتلال سيناء فمنع المسافرون الذهاب إلى القاهرة.. فتأزم الزوجان قلقا على أولادهما خصوصا وأن الحياة في العريش أضحت صعبة وأصبح الزوج مثله مثل المئات من الأهالي عاطلا عن العمل، ووسط هذا المناخ كانت المخابرات الإسرائيلية تعمل بهمة ونشاط لاصطياد العملاء بغية الإيقاع بهم وتجنيدهم لحسابها..

وحدث ذات يوم أن اندفع إبراهيم إلى مكتب الحاكم العسكري الإسرائيلي ليطلب تصريحا له ولزوجته بالسفر إلى القاهرة.. وحدثت بينه وبين الضابط الإسرائيلي حوارات متعددة استطاع خلالها (أبو نعيم) الضابط الإسرائيلي اكتشاف نقاط الضعف في شخصية إبراهيم ووعده بالنظر في أمر التصريح في أسرع وقت.. كما أمر له ببعض المواد التموينية الضرورية كالدقيق والشاي والسكر التي أصبحت فيما بعد المصدر الوحيد للإعاشة حيث كان (أبو نعيم) يماطل في أمر لتصريح لكنه لا يماطل في أمر الإمدادات الغذائية اللازمة . وذات صباح ، فوجئ الزوج بمن يستدعيه لمكتب (أبو نعيم).. فذهب إليه في الحال فأخبره الضابط بأن الحاكم العسكري وافق على منحه تصريح السفر هو وزوجته بشرط أن يكون متعاونا ويأتيه بأسعار الفاكهة والخضراوات في مصر.. والحالة الاقتصادية للبلد بواسطة أخيه الذي يعمل بالاستيراد والتصدير، وافق إبراهيم شاهين على الفور ونجح في الاختبار الأول.. فأحاله الضابط الإسرائيلي إلى (أبو يعقوب) لإكمال المهمة.. فطلب منه هذا الأخير أن يذهب معه إلى المكتب الرئيسي للأمن المختص بالتعامل مع أبناء سيناء في بئر السبع وهناك استضافوه ولوحوا له بإغراءات مادية لم يكن يحلم بجمعها في يوم من الأيام.. وافق إبراهيم على التعاون مع الإسرائيليين في جمع المعلومات عن مصر.. وتسلم - كدفعة أولى - ألف دولار في الوقت الذي لم يكن يملك فيه ثمن لقمة الخبز.

أخضع الجاسوس الجديد لدورة تدريبية مكثفة تعلم أثناءها الكتابة بالحبر السري وتظهير الرسائل.. ووسائل جمع المعلومات ودرب أيضا على كيفية بث الإشاعات والتمييز بين الأسلحة المختلفة.. واجتاز العميل الدورة بنجاح وهكذا تحول إبراهيم من مواطن مصري إلى عميل إسرائيلي. وعاد إلى بيته محملا بالهدايا الإسرائيلية لزوجته وأولاده..

دهشت انشراح وسألته عن مصدر النقود.. فهمس لها بأنه تعاون مع اليهود ووعدوه بمنحه التصريح خلال أيام وأعطوه ألف دولار لأنه أرشدهم عن مخبأ فدائي مصري واعترف لها بأنه سيواصل تعاونه معهم لأنه عاطل عن العمل ولأنه يمدهم بمعلومات تافهة لا قيمة لها عن أسعار الخضار والفاكهة..

لم تستغرب الزوجة الأمر كثيرا وسرعان ما عانقت زوجها سعيدة بما جلبه لها.. لكنها طلبت إليه أن يطلعها على رسائله أولا بأول.. وأن تقوم بشطب أية معلومات لا داع لإرسالها لهم ووافق الزوج على طلبها فنامت قريرة العين..

في ١٩ نوفمبر من عام ١٩٦٧ وصل إبراهيم وانشراح إلى القاهرة بواسطة الصليب الأحمر الدولي.. ومنحا سكنا مجانيا في حي المطرية.. وأعيد إلى وظيفته من جديد بعدما نقلت محافظة سيناء مكاتبها من العريش إلى القاهرة..

وبعدما استقرت الأمور قليلا.. انتقل الزوجان إلى حي الأميرية المزدحم وبدأا في جمع المعلومات وتصنيفها وكتابتها بالحبر السري... واعتاد إبراهيم أن يختتم رسائله بعبارة: (تحيا إسرائيل العظمى.. موسى) ولأجل تغطية مهامه التجسسية عمل إبراهيم في تجارة الملابس والأدوات الكهربائية.. كان يتغيب كثيرا عن العمل غالبية أيام الأسبوع ويغدق على زملائه الكثير من الهدايا.. وبغية استثمار هذا الثنائي في أعمال أكثر أهمية قام الموساد باستدعاء الزوجان إلى روما في شهر آب من عام ١٩٦٨.

وهناك التقيا بمندوب الموساد وتسلما منه وثيقتي سفر إسرائيليتين باسم (موسى عمر ودينا عمر).. وطارا بطائرة العال الإسرائيلية وهبطا في مطار اللد حيث استقبلا بحفاوة بالغة.. وتم استضافتهما بفيلا رائعة في تل أبيب لمدة ثمانية أيام حصلا خلالها على دورة تدريبية مكثفة، ومنح إبراهيم رتبة عقيد في الجيش الإسرائيلي باسم موسى، أما انشراح فقد منحت رتبة ملازم أول باسم دينا، وطلبت الجاسوسة من الموساد زيادة المكافآت لاشتراكها في العمل يدا بيد مع زوجها الجاسوس فكان لها ما أرادت خصوصا وأن الزوجان العميلان قد برعا خلال حرب الاستنزاف (١٩٦٧ – ١٩٧٠) في إرسال المعلومات العسكرية الهامة بالوثائق والصور..

وتعددت زيارات الجاسوسان إلى روما للقاء ضباط الموساد من جهة ولاستثمار أموال الخيانة من جهة أخرى.. وقد اتفقا أن يوسعا نشاطهما التجسسي فقررا إشراك ولديهما لزيادة الدخل ولم يكن من الصعب تنفيذ ذلك القرار على أرض الواقع.. وهكذا انخرطت الأسرة كلها في التجسس.. وانتقلت إلى فيلا فاخرة بمدينة نصر..

وتحول نبيل وعادل ومحمد إلى جواسيس صغار يجمعون المعلومات ويصورون الأماكن العسكرية الحساسة ويكتبون الرسائل بالشيفرة والحبر السري.. وذات مساء بينما هم جميعا أمام التليفزيون.. عرض فجأة فيلم تسجيلي عن أحد الجواسيس الذي انتهى الأمر بإعدامه شنقا.. فانتابتهم حالة رعب وفزع لأسابيع طويلة.. امتنعوا خلالها عن كتابة التقارير أو الرسائل..

ومرض الزوج الجاسوس فاضطرت انشراح للسفر وحدها إلى روما تحمل الكثير من المعلومات والصور الهامة.. ووجدت الجاسوسة في الرحلة فرصة للخروج من أزمتها النفسية السيئة.

وهناك التقت بأبي يعقوب ضابط الموساد الداهية وحكت له معاناتهم جميعا.. فطمأنها الضابط ووعدها بعرض الأمر على الرئاسة في تل أبيب.. وصحبها إلى

نادٍ ليلي وشربت معه حتى الثمالة.. وفي الصباح وجدت نفسها عارية بين أحضانه ليضمن ولائها لإسرائيل.

وفي أواخر شهر سبتمبر عام ١٩٧٣ كانت انشراح بمفردها في رحلة أخرى إلى روما.. فاستقبلها أبو يعقوب وغاصت معه مرات ومرات في بحور الرذيلة والحرام.. وفاجأها الضابط الإسرائيلي في أوائل شهر تشرين الأول بنبأ هجوم الجيش المصري والسوري على إسرائيل.. وأن احتمال القضاء على دولة اليهود أصبح وشيكا لكن ذلك لم يحدث.

وفي أبريل ١٩٧٤ اقترحت انشراح على الأسرة (الجاسوسة) السفر إلى تركيا للسياحة.. وبينما هم في أنقرة اتصل بهم أبو يعقوب وطلب من إبراهيم أن يسافر إلى أثينا لمقابلته. ومن هناك سافر إلى إسرائيل. وفي مبنى المخابرات الإسرائيلية سألوه: كيف لم تتبين الاستعدادات للحرب في مصر؟ فأجابهم أنه لا يعرف.. لأن الكثير من ضباط القوات المسلحة تقدموا بطلبات لزيارة الكعبة للعمرة..!!

وبعد اجتماع مطول أخبره قادة الموساد مضاعفة راتبه ووعدوه بمكافأة قدرها مليون دولار إن أرسل لهم موعد حرب قادمة وقرروا تسليمه أحدث جهاز إرسال لاسلكي في العالم يتعدى ثمنه المائة ألف دولار.. لكنه تخوف من حمله معه إلى القاهرة.. فاتفقوا معه على أن يجده مخبئا في مكان حدد له على طريق القاهرة السويس الصحراوي..

عاد إبراهيم إلى أثينا ثم أنقرة حيث تنتظره الأسرة وعادوا جميعا إلى القاهرة وفي المكان المحدد نزلت انشراح من السيارة وبيدها معول صغير.. وظلت تحفر إلى أن أخرجت الجهاز.. وعندما ذهبوا بالجهاز إلى المنزل أراد إبراهيم تجربته بإرسال أولى برقياته فلم يتمكن من إكمال رسالته.. بعدما تبين له أن مفتاح التشغيل أصيب بعطل.

وقررت انشراح السفر إلى إسرائيل لإحضار مفتاح جديد.. وسافرت بالفعل يوم ٢٦ تموز من عام ١٩٧٤.

فوجئ بها أبو يعقوب ودهش لجرأتها وأقام حفلا ماجنا (على شرفها) ومنحها مكافأة مجزية قدرها ٢٥٠٠ دولار مع زيادة الراتب للمرة الثالثة إلى ١٥٠٠ دولار شهريا.. إلا أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، فأثناء وجود الجاسوسة في إسرائيل كان زوجها إبراهيم يجرب تشغيل الجهاز فاستطاعت المخابرات المصرية التقاط ذبذبات الإرسال بواسطة اختراع سوفييتي متطور جدا اسمه (صائد الموجات) وقامت باكتشاف أمر الجاسوس واعتقاله في ٥ آب من العام ١٩٧٤ وعثر في بيته على جهاز اللاسلكي ونوتة الشيفرة..

وفي ٢٤ أغسطس ١٩٧٤، وصلت الجاسوسة انشراح موسى إلى مطار القاهرة الدولي قادمة من روما بعد شهر كامل بعيدا عن مصر وفوجئت بأن زوجها لا ينتظرها كالعادة.. واستقلت سيارة أجرة إلى فيلتها الفاخرة لتجد رجال المخابرات المصرية بانتظارها.. وفوجئ ضباط الموساد برسالة أرسلت من المخابرات المصرية بواسطة جهاز الإرسال الذي أعطوه للجاسوسين وكانت تلك الرسالة: (أوقفوا رسائلكم مساء كل أحد.. لقد سقط جاسوسكم وزوجته وأولاده، وقد وصلتنا آخر رسائلكم بالجهاز في الساعة السابعة مساء الأربعاء الماضي) !!

وفي ٢٥ نوفمبر من عام ١٩٧٤ صدر الحكم بإعدام انشراح وزوجها شنقا، والسجن ■ سنوات للابن نبيل وتحويل محمد وعادل لمحكمة الأحداث.. وتم تنفيذ حكم الإعدام شنقا بالجاسوس إبراهيم سعيد شاهين، الجاسوس الذي ظل يتعامل مع الموساد طوال سبع سنوات بتاريخ ١٦ يناير عام ١٩٧٧.

■ ■ ■

٣٥

الإمبراطورة إيرين

قاتلة ابنها !!

ooo

كانت الملكة "ايرين" الوصية على عرش روما إلى أن يبلغ ابنها قسطنطين السادس السن القانونية لتولي العرش امرأة في غاية الحسم، حتى إن المؤرخين قالوا لو أنها كانت تملك القدرة على قيادة الجيوش لتغير مسار التاريخ الروماني...

وكانت في نفس الوقت لها طموحات ليس لها سقف، حتي إنها سملت عيني ابنها ليخلو لها الطريق نحو الصعود إلى القمة والاستمرار كإمبراطورة على الدولة البيزنطية.

إيرين هذه كانت تعرف تماما أنه لا قدرة لها أمام القوات الإسلامية في عهد هارون الرشيد، ومن هنا فقد قررت أن تهادن المسلمين وأن تدفع الجزية لهم، بدلا من مواجهة عسكرية هي تعرف مقدما أنها لن تستطيع أن تحوز النصر فيها، وربما دفعتها المغامرة إلى خسارة هي في غني عنها، فلربما تتقدم الجيوش الإسلامية إلى القسطنطينية نفسها لإسقاطها!

ولكن قسطنطين عندما بلغ سن الرشد لم يكن على درجة عالية من الكفاية السياسية، وتصور أن هذه الجزية التي يدفعها لهارون الرشيد فيها من الإذلال ما يكفي لأن ينقضها وأن يواجه الجيوش الإسلامية، وخيل إليه أنه يستطيع أن يوقف الانتصارات التي يحرزها المسلمون في كل المعارك التي خاضوها، حتى إنهم سيطروا سيطرة كاملة على جزر البحر الأبيض المتوسط.

ولكن غروره.. وعدم تقديره للأمور سول له أن يقف ضد هارون الرشيد، وأن يعيد الهيمنة للإمبراطورية البيزنطية التي لم تخل من الفتن والدسائس في الداخل، ولعله اعتقد أنه يمكنه مجابهة الرشيد، وهو بهذا يكتسب مجدا من ناحية، ويقضي على الفتن الداخلية من ناحية أخرى.. وألغى قسطنطين هذه الاتفاقية، ورفض إعطاء الجزية للرشيد.

ولكن"إيرين" ذات الشخصية الطموحة لا تريد أن تتنازل عن السلطة بهذه البساطة، فقد حاكت مؤامرة أطاحت بابنها قسطنطين، ولم تتركه لحال سبيله، ولم تراع أنه ولدها، فقد أعماها حب السلطة على كونها أمًّا، وقررت أن تسمل عينيّ ابنها!

وحكمت البلاد تحت اسم الإمبراطورة أوجستا!!

والغريب أنها لم تستمر طويلا في السلطة فقد قاد أحد النبلاء واسمه نقفور ثورة ضدها واستولى على الحكم ، ونحاها عن السلطة.

ولعل "نقفور" هذا أراد أن يبسط نفوذه على مختلف أرجاء بيزنطة، وأن يشعر الناس أنهم أمام قائد عظيم يذكرهم بقادة بنزنطة القدماء، ورغم أنه لا يجيد القيادة العسكرية.. إلا أنه قرر إلغاء الاتفاق بينه وبين العرب الذي أبرمته الإمبراطورة "ايرين" بشأن دفع جزية لهم، وأرسل رسالة وقحة إلى الخليفة هارون الرشيد، يعلمه فيها أنه نقض المعاهدة التي بينه وبين العرب، ومضمون هذه الرسالة يعني أن التي أبرمت هذه الرسالة امرأة فيها ضعف النساء، وما كان ينبغي أن توافق على مثل هذه المعاهدة وهذا الاتفاق، وكان ينبغي للعرب أن يدفعوا هم الجزية للروم وليس العكس!!

وقرأ الرشيد الرسالة وتملكه غضب شديد، على هذه الجرأة الوقحة من إنسان يعرف تماما أنه ليس بمقدرته الوقوف أمام القوة العسكرية العربية، وليس بمقدرته الصمود أمام جيش هارون الرشيد.. ونسي أن هارون الرشيد يجري في دمائه العربية حب الشرف والتمسك بالعهود والمواثيق، ورفض الإهانة من إنسان يعتبره ليس في مستواه.. فما كان من الرشيد إلا أن ارسل رده على نفس الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم.

قد قرأت كتابك، والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلامْ

وأعد في نفس اليوم قوة عسكرية هائلة، وقادها بنفسه، وقد قدر البعض هذا الجيش بمائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مقاتل، واجتاح آسيا الصغرى حتى وصل إلى هرقليه على البحر الأسود والتي بينها وبين القسطنطينية ١٥٠ ميلا.

وما كاد ملك الروم يسمع عن هذا التقدم العسكري وعلي رأسه هارون الرشيد، وأنه يقترب من العاصمة البيزنطية حتي انهارت قواه، وخشي العاقبة.

وارسل إلى الرشيد بأنه سوف يدفع الجزية حسب الاتفاق الذي تم بينه وبين "إيرين" أو الإمبراطورة أوجستا كما سمت نفسها عندما تولت زمام الأمور في بلادها!

وعاد هارون الرشيد إلى قصره في الرقة التي كانت عاصمة ملكه!

والعجيب أن هذا الإمبراطور عاد وألغى اتفاقه بعد انسحاب الرشيد إلى بلاده.. ولكن الرشيد عاود الكَرَّة، وقرر غزو بلاد الروم، وعبر جبال طوروس برغم الثلوج، واجتاح آسيا الصغرى من جديد.. وواجه جيش الروم وهزمه هزيمة ساحقة.. وارتجف الإمبراطور وقرر أن يدفع الجزية عن يد وهو صاغر ولكن الرشيد أراد أن يذله فأمره بأن يضرب الدنانير الإسلامية باسم الرشيد وأولاده الثلاثة، وأن يسلم الروم كل ما لديهم من الأسرى من المسلمين.

والمؤرخون يتساءلون بعد أن حقق الرشيد هذا النصر الحاسم لماذا لم يغر على العاصمة البيزنطية نفسها، ولو فعل لتغير مسار التاريخ الإنساني كله.

مهما يكن من شيء.. فإن قارىء التاريخ يتعجب من الأحداث التي تمر بنا في دنيانا، أو على حد تعبير بعض المؤرخين أن أهم فائدة نستفيدها من دراسة التاريخ هو أننا لا نستفيد منها.

فلم يتعلم الإمبراطور الروماني شيئًا من دروس التاريخ!

ولا تعلم شيئًا من هزائمه أمام الرشيد!

ويبدو أنه كان يبحث عن نصر بأي ثمن يعلي من قامته في إمبراطوريته البيزنطية، فحاول أن يغزو بلاد البلغار، فقد أرسل بقوات للغزو لم يتح لها الانتصار، فقرر أن

يقود المعركة بنفسه، وخرج في شهر مايو عام ٨١١م على رأس جيش كبير احتل به عاصمة البلغار في بليسكا.

ولكن البلغار لم يستسلموا له بالسهولة التي كان يتصورها، ولم يقفوا أمام انتصاره عليهم مكتوفي الأيدي بل قرروا أن يوقعوا به الهزيمة في طريق عودته إلى بيزنطة.

فهو سوف يمر عبر مضايق جبلية وعرة، وهم أدرى بهذه المسالك، وبالتالي أعدوا له كمينا حتى يقع فيه أثناء مروره بتلك المسالك.

وبالفعل فإن "نقفور" وقد أعماه النصر، وشعر أنه إمبراطور لا يقل عظمة عن أباطرة روما القدامى الذين حققوا انتصارات مذهلة على أعدائهم في مختلف أرجاء العالم، حتى أصبح العالم في عصرهم تحت نفوذهم، وطوع بنانهم تصور وهو تحت غرور الانتصار، أن كل شيء قد انتهي، وأنه قد أصبح ندا للرشيد، بل انه يمكن أن يعيد حساباته من جديد، وأن يلغي الاتفاق الذي أبرمه معه، فقد أصبح قوة لا يستهان بها، وخاصة بعد أن استولى على بلاد البلغار، وضمها إلى ممتلكاته!!

وفي أثناء مروره عبر هذه المضايق خرجت عليه الكمائن البلغارية من كل مكان، وإذا بجيوشه تترنح وتنهار، ولم يستطع هذا الجيش الصمود أمام البلغار، ورغبتهم الأكيدة في تحقيق النصر، حتي لا يقعوا تحت اسر الحكم البيزنطي الطاغي، وقرروا الحرب إلى آخر نفس في حياتهم، وأمام هذه الشجاعة والاستبسال في القتال، ابيد الجيش البيزنطي عن آخره، وقتل نقفور نفسه.

حدث ذلك في السادس والعشرين من يوليو ٨١١م.

والعجيب أن ملوك البلغار أصروا على أن يفصلوا رأسه عن جسده، وأن يأخذوا جمجمته، ويطلوها بالفضة، لتصبح قدحا يشربون فيه الخمر!

■ ■ ■

٣٦

كريستيان غيلبرت ..

ملاك الموت !!

OOO

ارتبطت الممرضة عديمة الرحمة كريستيان غيلبرت المدانة بالسجن مدى الحياة لأربع مرات متتالية بعد إدانتها بقتل عدد من مرضاها عن طريق حقنهم بمادة مخدرة تؤدي إلى توقف نبضات قلوبهم ومفارقتهم فوراً للحياة ارتبطت بعلاقة غرامية في السجن.

وقال مصدر قريب الصلة من غيلبرت بأنه سمع بأنها ارتبطت بقصة غرامية مع سجين يدعى لاينيت فورمي في أول لقاء لهما في السجن. وقال المؤلف ويليام فيلبيس المتخصص من قصص جرائم القتل التسلسلية إنه لم يستغرب هذه القصة لأن حالة الشعور بالنرجسية التي تتصف بها غيلبرت والتي أدت بها إلى ارتكاب هذه الجرائم سعياً وراء الشهرة والأضواء التي دفعتها للارتباط بعلاقة عاطفية قوية مع هذا السجين حيث إنها ترغب من فعل كل شيء يجلب ويركز الانتباه عليها.

ولربما تكون الممرضة غيلبرت البالغة من العمر ٣٧عاماً التي كان يطلق عليها "ملك الموت" لكثرة المتوفين في عنبرها قبل اكتشاف جرائمها مسئولة عما يصل إلى خمسين جريمة قتل للمرضى البائسين تحت رعايتها .

وقد أدينت بثلاثة جرائم قتل من الدرجة الأولى وجريمتي قتل من الدرجة الثانية وبمحاولة ارتكاب جريمة قتل بحقنها لمرضاها في مركز طبي ثورثا مبتون الأمريكي.

وكانت غيلبرت عند بداية تعيينها في ذلك المركز الطبي عام ١٩٨٩نموذجاً للممرضة المخلصة في عملها والماهرة في القيام بواجباتها .

ولم يشك أحد من العاملين معها مطلقاً في تصرفاتها حتى بعد إطلاق لقب "ملك الموت" عليها.

ولاحظ الكاتب فيليبس أنه خلال المدة ما بين عام ١٩٩٠إلى ١٩٩١كانت هنالك واحدة وثلاثون حالة وفاة خلال مدة مناوبة غيلبرت وحدها مما يعادل ثلاثة أضعاف الوفيات التي تحدث في مناوبات أخرى.

واستمر ارتفاع معدلات الوفيات للمرضى خلال نوبة عمل غيلبرت الأم لطفلين وبشكل خاص عندما وقعت في غرام حارس أمن بالمستشفى يدعى جيمس بيرولت والبالغ من العمر ٢٦عاماً ولربما كانت تتعمد قتل أحد مرضاها لجذب انتباه عشيقها

حيث إنه عندما تحدث حالة حرجة لأحد المرضى يتم استدعاء حراس الأمن إلى المكان للمساعدة في نقل جثمانه عند وفاته.

ولربما عمدت غيلبرت في الثاني من فبراير عام ١٩٩٦ إلى قتل المريض كينيث كاتينغ فقط من أجل مغادرة نوبتها مبكراً للالتقاء بعشيقها عند الساعة العاشرة ليلاً عوضاً عن الثانية عشرة وبالفعل اندهش العشيق عندما جاءت إليه مبكرة في تلك الليلة حيث كان يعلم أن نوبتها تنتهي في منتصف الليل.

وكانت غيلبرت قد أبلغت رئيسها في العمل جون وول في تلك الليلة أنها تشعر بأنها ليست على مايرام وتحتاج إلى مغادرة نوبتها مبكراً وقبل ذلك بقليل كانت غيلبرت لوحدها مع المريض كاتينغ حيث لم تتردد في حقنه بالمادة المخدرة التي أودت بحياته على الفور قبل وقت كاف من موعدها المضروب مع عشيقها.

وبعد اكتشاف تلك الجرائم البشعة أصبحت الممرضة غيلبرت تحمل بحق لقب "ملك الموت" الذي أطلق عليها في بادئ الأمر عن طريق المزاح.وكانت الممرضة المخضرمة كاثي ديكس أول من اشتبه في غيلبرت بعد ملاحظتها اختفاء زجاجات المادة المخدرة من العنبر الذي تعمل فيه غيلبرت وأبلغت ديكس الأمر إلى رئيسها المباشر الذي سارع بنقل هذا الأمر إلى السلطات التي شرعت على الفور في التحقيق فيه وأدى ذلك إلى العثور على أدلة دامغة ضد غيلبرت.

وادعت غيلبرت مؤخراً بأنها بريئة من الجرائم التي أُدينت بها غير أن ذلك لم يشفع لها.

▪▪▪

٣٧

إيماس ادموندز..

أخطر النساء !!

ooo

"إيما" جاسوسة أمريكية، كندية المولد، عملت بنجاح خلف خطوط الحلفاء، أثناء الحرب الأهلية الأمريكية، وربما كانت هي الجاسوسة الوحيدة في التاريخ التي كانت تعمل، في هذه الفترة، التي كانوا يعتبرون فيها المرأة مجرّد مربية وزوجة، وخادمة منزلية فحسب...

ولقد جاءت "إيما" إلى الولايات المتحدة من "نيو برانز ويك" في "كندا"، عام ١٨٥٦م، وعندما بدأت الحرب الأهلية حملت اسم "فرانك تومبسون"، وتطوعت للعمل كممرض ذكر في الجيش الاتحادي، لفترة ليست بالقصيرة، دون أن ينكشف أمرها، على الرغم من إقامتها التامة، وسط جنود الجيش، طوال تلك الفترة..

ولقد حضرت "إيما" المعركة الأولى، بين قوات الحلفاء والولايات المتحدة، وهي معركة "جري الثيران"، وأول معركة عنيفة قامت بينهما، وبعد أن قضت عامين في خدمة التمريض، دون أن ينكشف أمرها، ذهبت "إيما" إلى المسئولين بإرادتها، وكشفت لهم أمرها، فأصابهم ذهول شديد، تضاعف عندما روت قصتها، ثم قفز إلى الذروة، عندما أعلنت هدفها الحقيقي، من وراء هذا..

فمع براعتها المذهلة، في فن التنكر والتقمّص، عرضت عليهم "إيما" أن تتطوّع للعمل كجاسوسة، خلف خطوط الحلفاء...

وعلى الرغم من غرابة الفكرة، أو ربما لغرابتها نفسها، وافق المسئولون على مطلبها، وأصبحت "إيما" بالفعل جاسوسة فريدة من نوعها، في ذلك الزمن...

ولقد أثبتت "إيما" أنها تستحق ما حصلت عليه بالفعل، بل ولن نبالغ، لو قلنا: إنها قد أبهرت المسئولين إبهاراً، وخاصة عندما صبغت جلدها، وتنكرت كشاب أسود، وارتدت باروكة شعر؛ للعبور إلى الخطوط الأمامية، بالقرب من "يورك تاون" في "فا"... وكانت مهمة يخشاها أشجع الرجال.. ولكن "إيما" أدتها بجرأة ومهارة مذهلتين..

فعلى الرغم من تظاهرها بأنها رجل أسود حر، إلا أن المشرف حين رآها كلفها العمل في حصون الحلفاء، وبعد يوم واحد، من العمل الشاق، استطاعت أن ترسم "اسكتش" دقيقاً للحصون، وتحصي المعدات الموجودة بها...

في اليوم التالي كانت تحمل الماء للعمال والطعام للقوات، وعلى الرغم من كونها تحت المراقبة، عندما عملت كـ"خفير درك"، إلا أنها أفلتت من كل ما حولها،

واستطاعت في ليلة ممطرة أن تتراجع للخطوط الأمريكية، حاملة معها بندقية من بندقيات الحلفاء كتذكار... وكان هذا أحد أهم ما تحرص عليه، في كل مهمة التذكارات.. ولقد كاد هذا يكتب نهايتها يوماً.. وبمنتهى العنف.

ويعتبر المؤرخون أن الجاسوسة الأمريكية، كندية المولد (إيما س. إدموندز)، واحدة ممن كتبن، بجرأتهن وشجاعتهن ونجاحهن، الوثيقة الأولى لعمل النساء (رسميًّا)، في عالم الجاسوسية. ولقد أثبتت هذا بجدارة، في مهمتها الأولى.

فعلى الرغم من قصر المدة، التي قضتها (إيما)، وراء خطوط الحلفاء -ثلاثة أيام- إلا أنها عادت بمعلومات عسكرية مهمة، كان لها الفضل الأوّل، في معظم ما أعقبها من انتصارات.

وكانت هذه مجرد بداية... فخلال الأشهر التالية، استطاعت (إيما) بنجاح أن تنجز إحدى عشرة مهمة أخرى، خلف خطوط الحلفاء، دون أن يتم كشفها.

وكان لبراعتها المدهشة، في التنكر والتقمص، الفضل الأوّل، في كل ما حققته من نجاحات، في عالم الجاسوسية المدهش..

ففي إحدى المرات ذهبت على هيئة بائعة جائلة أيرلندية، ولم تكتف بالحصول على أسرار ومعلومات الخصم فحسب، وإنما حقّقت ربحاً مادياً وفيراً أيضاً.

وفي تلك المرة، وبعد أن أنجزت مهمتها، سعت (إيما) للحصول على تذكار كعادتها، كما لو أنها في رحلة سياحية طريفة، وليست في مهمة، تحمل الموت في طياتها؛ لو انكشف أمرها.

ولأنها تعشق المخاطرة والمغامرة، قرّرت (إيما) أن يكون تذكارها، في تلك المرة، هو أزرار الزي العسكري لقائد المعسكر..

وفي سبيل هذا، تسللت (إيما) في ظلام الليل، إلى حجرة القائد، ونزعت الأزرار بالفعل، وقبل أن تغادر، فوجئت بالقائد أمامها، يسألها في غضب هادر، عن سر تواجدها في حجرته، في تلك الساعة المتأخرة من الليل..

والمدهش أن (إيما) لم ترتبك أو تتوتر، بل حافظت على تماسكها واتزانها، واصطنعت البكاء في حرارة، وهي تدعي غرامها بالقائد، وتسللها إلى حجرته لرؤيته، بعد أن غلبها الشوق إليه..

وانبهر القائد بعواطفها الجياشة، وطيب خاطرها، وأخبرها في حماس أنه رهن إشارتها، ثم أوصلها بنفسه إلى باب حجرته، التي غادرتها حاملة أزراره الذهبية، التي لم يكشف ضياعها، مع خدعة (إيما)، إلا في اليوم التالي، وعندما أصبحت هي على الجانب الآخر بالفعل..

ويقول مؤرخو عالم الجاسوسية: إن (إيما) كانت لها شجاعة عشرة رجال، وبراعة مائة خبير، وإقدام جيش كامل، وعلى الرغم من هذا، فقد كانت في تعاملاتها العادية بسيطة هادئة، تبتسم دوماً في وداعة، وتتحدّث برقة، حتى ليخيّل لك أنها مجرّد ربة منزل بسيطة، لا تميل إلى مغادرة بيتها إلا لمامًا...

وربما لهذا يعود نجاحها المدهش، في كل عملية قامت بها، إذ كان وجهها يبعث على الثقة والارتياح، سواء تنكّرت في هيئة امرأة أو رجل، مما يستحيل معه أن تشك في أمرها لحظة واحدة..

ففي ذات مرة، تنكرت (إيما) في شكل كاتب حسابات للبضائع المجففة، وزارت عدداً من معسكرات الأعداء، وتجوّلت بينهم في حرية، وشاركتهم الطعام والشراب، بل وعقدت العديد من الصداقات معهم، حتى إن أحدهم وصفها بأنها الشخص الوحيد، الذي يمكنه أن يفتح له قلبه، ويمنحه ثقته بلا حدود...

وحتى عندما فارقتهم (إيما)، حاملة أدق أسرارهم، لم يراودهم الشك في أمرها قط، وإنما تصوّروا أن صديقهم يتبع عمله، أينما دعته الحاجة..

ولم تكن هذه أكثر عمليات (إيما) جرأة في الواقع؛ فقد كانت هناك عملية أخرى.. عملية بلغت فيها جرأتها ذروتها..

وفي تاريخ "إيما" يتوقف المؤرخون كثيراً، عند عمليتها الأخيرة، التي بلغت فيها جرأتها ذروتها، وكأنها تختار خير ختام، لتاريخها الحافل الطويل..

ففي تلك العملية، علمت "إيما" بوفاة جندي شاب في معسكر الأعداء، فما كان منها إلا أن تنكّرت في هيئة شاب، وذهبت إلى معسكر الأعداء، باعتبارها الصديق الوفي الحزين لمصرع صديقه الوحيد.

وبعد أن تلقت "إيما" العزاء، فيمن يفترض أنه صديقها، أبدت غضبها مع حزنها، وعرضت الانخراط في صفوف الجيش؛ للانتقام ممن قتلوه..

وبطبيعة الحال، جرف الحماس الجميع، وتم قبول طلبها، وأصبحت "إيما" جنديًّا، في صفوف الأعداء.

وهل يمكنك أن تتخيل كم المعلومات، الذي يمكن أن تحصل عليه من قلب العدو مباشرة؟؟!!..

الأكثر جرأة، أن "إيما" كانت تتسلل إلى صفوفها الأصلية مرة كل أسبوع على الأقل لتنقل كل ما لديها من أسرار ومعلومات وهي في هيئة امرأة، ثم تعود مرة أخرى إلى الأعداء في هيئة جندي مخلص.

ولم تفصح "إيما" أبداً عن الوسائل التي تتبعها في الخروج والدخول بكل هذه البساطة في زمن الحرب، حتى إن بعض المؤرخين شكوا في كونها جاسوسة مزدوجة تعمل لحساب الجانبين في وقت واحد!!.

ولكن هذا الاعتقاد ينتفي تماماً، مع الوسيلة، التي ماتت بها "إيما"... فطوال الوقت، كان يتوقع الجميع أن تلقى "إيما" مصرعها في ساحة القتال، أو أن يتم الإيقاع بها وإعدامها إلا أنه حتى في هذا، فاجأت "إيما" الجميع.

فأثناء انتحالها شخصية الجندي، وربما لتنقلاتها المتواصلة، أصيبت "إيما" بحمى الملاريا، التي اشتدت عليها بسبب رفضها العلاج، خشية كشف حقيقة

جنسها، ثم لم تلبث أن قامت برحلتها الأخيرة بين الجانبين متحاملة على نفسها لتموت في هدوء شاحبة نحيلة على فراش المرض.

وطوال حياتها، لم تُعرف لـ"إيما" علاقة عاطفية واحدة، ولم تمنحها حياتها غير المستقرة فرصة للزواج أبداً.

▪▪▪

٣٨

كاترين ..

إمبراطورة الشر !!

ooo

كانت كاترين العظيمة إمبراطورة لروسيا تزوجت بيتر الثالث إمبراطور روسيا وبعد مضي خمس سنوات اكتشفت أن بيتر لا ينجب أطفالا لذا تعرفت على أحد الحراس في القصر وأنجبت منه طفلا ثم تعرفت على حارس آخر وأنجبت منه طفلا ثانيا وهنا ثارت ثائرة زوجها بيتر وقال لها إن الولدين ليسا منه ولكنها استطاعت أن تهدئ من ثورته وقالت له سأخبرك بكل شيء بعد تناول العشاء .

وأعدت كاترين الطعام لزوجها بنفسها وأمرت الطهاة والحراس أن يتركوا القصر ، تناول بيتر الطعام فبدأ يتلوى من الألم فقد كان الطعام مسموما وعندما بدأ بالصراخ لم يسمعه أحد فقد كانت الأبواب مغلقة ولا أحد بالقصر ، كانت كاترين تنظر إليه وهو يتلوى من الألم وهي تضحك بطريقة هستيرية وعندما مات طلبت من أحد الحراس أن يقوم بدفنه ، وبعد أن قام الحارس بدفنه خافت أن ينكشف سرها فقتلته وأمرت حارسا آخر بالتخلص منه وبقيت على هذا الحال حتى قتلت أكثر من ١٠٠ شخص ، والغريب في أمر هذه المرأة انها كانت تشرف بنفسها على عملية القتل والتلذذ بالنظر إلى القتيل والخنجر يخرج من جسمه لينغرس فيه مرة أخرى .

▪▪▪

٣٩

شولا كوهين ..

أخطر قوادة إسرائيلية !!

ooo

"منذ البداية أيقنت الاستخبارات الإسرائيلية أن عنصر النساء، هو عنصر مهم في عملية التجسس فاستفادت من تجربة اليهوديات ومن غيرهن مستندة إلى قول أحد الحاخامين اليهود «إن الذين يعملون ويناضلون من أجل الأرض، عليهم ألا يغاروا على بناتهم".

ومن اشهر اليهوديات اللواتي عملن مع المخابرات الاسرائيلية في لبنان «شولا كوهين» التي اعتبرت اخطر جاسوسة في الشرق الأوسط منذ العام ١٩٤٧ إلى العام ١٩٦١ تاريخ اعتقالها.

فشولا كوهين المولودة في الأرجنتين لأب تاجر قام بتزويج ابنته لتاجر يهودي لبناني اسمه «يوسف كشك» سكنت معه في بيروت «وادي أبو جميل» فحولت منزلها إلى ملتقى العملاء الناشطين في خدمة الصهيونية، وقد أطلقت عليها ألقاب كثيرة منها: «الزعيمة» و«سفيرة إسرائيل في لبنان» وكانت تغرق زبائنها وعملاءها بالنساء والفتيات اليهوديات اللواتي كانت تختارهن على جانب كبير من الجمال والأناقة والفتنة ليسهل اصطياد الضحايا وكان من أشهر بغاياها اللواتي كن يعملن في النادي الليلي الذي تملكه «فورتونيه»، و«راشيل» و«مارسيل»، و«اسبيرانس» و«روزيت»... اللواتي كنّ الطعم لاستدراج «الزبائن»...

كانت «شباك الجنس»، بالإضافة إلى المال، من أقوى أسلحة اليهود في اصطياد ضحاياهم. وقد برعت شولا كوهين في استعمال تلك الشباك أكثر من سواها، وقد كان دورها من أخطر الأدوار، وكان من مهماتها، بالإضافة إلى التجسس وتهريب اليهود والأموال إلى فلسطين، خلق جو سياسي وشعبي في بيروت يمهد للصلح مع إسرائيل.

وضعت شولا كوهين تحت مراقبة رجال الأمن العام اللبناني مدة من الزمن، إلى أن تم اعتقالها مع باقي أفراد الشبكة في منزلها بتاريخ ١٢ أغسطس ١٩٦١. وأثناء محاكمتها، اعترفت بنشاطها التجسسي من خلال تاجر يهودي فرنسي يقيم في لبنان اسمه «جورج ملخو». وقد صدر الحكم بسجنها عشرين عاماً.

شولاميت أرازي كوهين هي "شولوميت كوهين كشك" وهي "شولا كوهين" . هذه بعض الأسماء التي عرفت بها العاهرة اليهودية السابقة، والعاهرة وعميلة الموساد في لبنان. لقد زودت دولة إسرائيل بمعلومات هامة عن لبنان وسوريا، وبالتكافل مع

شركائها، كانت مسئولة، عن إثارة مشاكل كبيرة لكل النظام المصرفي في لبنان في ذلك الزمان. شولوميت (المختصرة ب"شولا") هي أيضا أم لضابط إسرائيلي في القيادة المدنية/العسكرية في بيت إيل، ديفيد كيشك. ونتيجة لنشاطاتها أصبحت شولاميت "بطلة وطنية"، ولكن قصتها بيضت وشذبت وأعيد اختلاقها لهدف الاستهلاك المحلي. القليلون يعرفون القصة الحقيقية.

ولدت شولاميت أرازي كوهين في الأرجنتين عام ١٩٢٠ من أب تاجر بالصنعة. انتقلت العائلة إلى مدينة بعقوبة شمال بغداد في العراق وعادت وانتقلت للعيش في مدينة البصرة العراقية الجنوبية. ثم هاجروا إلى فلسطين عبر مرفأ عبدان عام ١٩٣٧. ووصلوا إلى حيفا ثم انتقلوا للعيش في القدس.

قتل والدها وأخوها ديفيد في عمليات فدائية فلسطينية مختلفة، كما قتل عشيقها الإسرائيلي بينما كان يسرق أراضي الفلسطينيين العرب..

واجهت شولوميت الكثير من المتاعب بعد مقتل والدها، نتيجة رفض شقيقها الأكبر المساهمة في القيام بأود العائلة الكبيرة التي تركها والده خلفه. وماتت أمها بعد عام من مقتل زوجها. وحتى تتمكن من العيش عملت شولوميت كسكرتيرة في عيادة في شارع "زاهالون هاروف" في تل أبيب،حيث قابلت جنرالا إسرائيليا من أصل بولندي. عرضت نفسها عليه، ولكن الضابط لم تكن له رغبة بشولا. ولكن بدلا عن ذلك ألحقها بمنظمة الموساد المخابراتية الإسرائيلية.

قبلت شولوميت بالعمل مع الموساد، وقد يكون المال أحد الدوافع لذلك. قبل مباشرتها العمل كجاسوسة، أرسلت للتدريب إلى ها-كيريا في تل أبيب، حيث تعلمت القيام بدورها كمومس للموساد. وبعد ذلك أرسلت إلى لندن لتعلم اللغة الإنجليزية وأصول المعاملة "الأتيكيت"، وكيف تصطاد في الماء العكر، وراء رجال لمستخدميها مصلحة بهم.

باشرت شولوميت عملها كعميلة للموساد في بيروت عام ١٩٤٧.

وكان تتغطى خلف زواجها بجوزيف كشك، تاجر يهودي في لبنان الذي كان يملك متجراً في سوق سرسق في وسط بيروت. سافر جوزيف إلى القدس للزواج بشولاميت ، وكما يظهر كغطاء للقيام بمهمتها. وتحت غطاء هذا الزواج باشرت مهنتها كمومس، "مدام" قوادة وعميلة موساد، وكانت تنسق أعمالها بالتعامل مع يهودي فرنسي، وهو تاجر وزميل يدعى جورج مولوكو، الذي كان يقيم برفقة زوجته آن ماري في لبنان.

باعت شولوميت خدماتها الجنسية لمئات في لبنان فيما بين ١٩٤٧ و ١٩٦١.

وقد كانت تستقبل زبائنها في بيتها في منطقة وادي أبو جميل الحي اليهودي في بيروت. وكان أول موظف دولة لبناني يقع في شباكها وتصطاده هو "محمود عوض"، الذي كان يشغل ستة وظائف في الحكومة اللبنانية آنذاك.

زارت شولوميت مكتب السيد عوض كي تجدد إجازة إقامتها في لبنان. وقد ارتدت "الثياب المناسبة" وعرضت نفسها لجلب انتباهه. وخلال الزيارة لاحظت أن انتباه المسؤول قد شتت عن القيام بمسئولياته الرسمية، وكان يحدق بجسدها ويختلق الأعذار للتأخير بها. وهي بدورها تركت جواز سفرها كحجة .

وبعد ذلك حددت الوقت للمقابلة التالية. ولم تذهب إلى الموعد مع السيد عوض بهدف... واتصلت به للقول بأنها مريضة وطلبت منه إرسال جواز السفر إلى بيتها، وأعطته عنوانها. حمل السيد عوض جواز السفر بنفسه مع باقة زهور. كانت الداعرة بانتظاره مرتدية الثياب المناسبة للمناسبة. ومند تلك المواجهة أصبح السيد عوض زبونا دائما وزائرا متكررا لفراشها.

وقد نجحت شولا بتجنيد الموظف اللبناني "جورج أنطون" وأسست جماعة تدعى "القوات اليهودية للدفاع عن النفس" التي اخترقت حزب الكتائب اللبنانية اليميني. وعبر هذه الجماعة ساعدت في تهجير يهود لبنانيين وغيرهم من

اليهود العرب إلى إسرائيل عبر الممرات الجبلية اللبنانية. وفي مجال مهمتها كجاسوسة، تعاونت شولا مع مدير كازينو أولمبياد، حيث كان بعض من مدمني القمار يتواجدون.

وفي عام ١٩٥٦ وسعت شولا أعمالها في الدعارة؛ فقد أصبحت تملك خمسة بيوت دعارة إضافية في مناطق مختلفة من بيروت، كي "تصطاد في المياه العكرة" جارية خلف أشخاص مهمين.

وقد جهز الموساد شولا بكل أجهزة التسجيل اللازمة، مثل آلات التصوير السرية، لتثبيتها في غرف النوم في بيوت الدعارة التي تملكها. واستخدمت شولا فتاة أرمينية جميلة جدا عمرها ١٤ عاماً أسمها لوسي كوبليان كطعم لصيد رجال شبقين.

وتمكنت من تصوير الكثير من موظفي الدولة مع لوسي وغيرها من العاملات في بيوت الدعارة خاصتها. وبهذه لطريقة تمكنت من تصوير زبائنها من الساسة بينما كانوا يعاشرون أفراد هذا الجيش من المومسات اللواتي دستهن في المجتمع السياسي اللبناني الشيء الذي أعاق اتخاذ أي قرارات تتعارض مع مصلحة إسرائيل.

واعتماداً على اللامسئولية التي يتصف بها الكثيرون ، مما انعكس على تصرفهم بالنسبة للحرب الإسرائيلية على لبنان ، وقد يكون ذلك الجيش من المحترفات لا يزال يعمل حتى اليوم ويقدم الخدمات إلى العدو الصهيوني.

وبعد ازدهار بيوت شولا للدعارة نتيجة ل"عملها الجاد"، جندت المزيد من الفتيات الجدد. ومن بينهن المومس اليهودية راشيل رفول، ولها تاريخ "مجيد" في حقل الدعارة في لبنان وقد أتت بزبائنها الكثر معها، الذين أصبحوا بالتالي من زبائن مواخير شولا، كما أضافت إلى العاملات في مواخيرها الشقيقتين مارسيلا ورونيت إسبيران اليونانيتين: وقد قامت شولا ذاتها ببيع خدماتها لمجموعة منتخبة من الزبائن، أي ما يعني كبار الموظفين .

وعبر عملها في مواخيرها وتعاونها مع الموساد، قامت شولاميت كوهين بمهمة بارزة في مجال عملها التجسسي في لبنان: فقد ألحقت هي والمتآمرون والمتآمرات معها ضرراً عظيماً بالاقتصاد اللبناني. وبتوحيد نشاطها مع جورج مولوكو من الموساد، وبالتعاون مع مسئول الموساد في بيروت، إدوارد هيس، وبالاعتماد على زبائنها، ومنهم الموظف الحكومي محمود عوص وغيره، فقد قامت برفقة المتآمرين معها بالتصرف بالأموال المودعة وسرقة الملايين من بنوك وشركات لبنانية عديدة.

وقد غطي على هذه الفضيحة لتفادي اكتشاف المتورطين فيها، وفي النهاية فقد ضحي ببعض الموظفين الثانويين حتى تسكت الفضائح.

وقد عمم إدوارد هيس الشائعات بأن البنوك والشركات اللبنانية التي نهبت أموالها وتصرف بودائعها قد "أفلست"، وهي بالفعل لم تفلس.

وقد هربت الأموال المسروقة إلى إسرائيل بمساعدة بعض عملاء شولا كوهين الذين ساعدوا في تهريب اليهود اللبنانيين ومن بعض الدول العربية الأخرى إلى فلسطين عبر المسالك الجبلية اللبنانية.

ومن بين الذين قروا إلى إسرائيل وحملوا الأموال المنهوبة التاجر اليهودي إميل ناتشوتو، كذلك التاجر اليهودي الطرابلسي أبراهام مزراحي، الذي فر إلى اليونان ومنها إلى فلسطين المحتلة. أما خطيبة مزراحي ليلى فقد بقيت في لبنان وتعاونت مع شبكة شولا لتنظم فرار يهود أثرياء من لبنان.

كان الثراء ألذي كسبته شولا عن طريق مهمتها الموسادية والبغائية، والتي تحقق تحت غطاء زبائنها ، شجعها على تأسيس مركز للاتصال بجواسيسها. وقد استأجرت مطعما في شارع الحمراء، وحولته إلى باب (حانة) الذي أسمته "رامبو باب".

وقد استخدمت العديد من الفتيات الجميلات لاصطياد زبائن شولا للموساد. ومن بين الذين ألقت شباكها عليهم كان رجل لبناني بسيط، محمد سعد العبد الله، الذي كان يعرف جيداً الممرات الجبلية لتسلل إلى إسرائيل.

وقد تلقى محمد العبد الله خدمات سخية في مواخيرها. وقد أتي العبد الله بقريبين له فايز ونصرات العبد الله وقد عرضوا عليها العمل مقابل المال في حانتها وتلقي الخدمات ذاتها مثل قريبهم محمد.

كان لشولا أعمال في العراق، ويظهر أن لبنان كان أيضاً طريقا لعبور اليهود العراقيين إلى فلسطين المحتلة. والمعروف أن عملاء الموساد بإرهابهم بقنابل يقذفونها على أمكنة تجمع اليهود العراقيين وذلك بمساعدة غير مقصودة من قوات الاحتلال البريطانية في العراق.

وقد عمل هؤلاء الأقارب كمراسلين بين شولا في لبنان والموساد في فلسطين المحتلة. وكانت شولا تحضر تقاريرها عن الحكومتين اللبنانية والسورية التي كان الأقرباء الثلاثة ينقلونها إلى فلسطين المحتلة عبر المسالك الجبلية.

وقد تلقى الأقرباء الثلاثة أجراً مالياً جيدا مقابل خدماتهم تلك، كما أنهم تلقوا مدفوعات بشكل خدمات جنسية من أجمل الفتيات في الباب. وقد ساعد أبناء العبد الله الثلاث الكثير من اليهود على الفرار إلى إسرائيل.

وفي النهاية طلب محمد عوض، المسئول الحكومي الذي غطى عمليات شولا التجسسية وغيرها. طلب المال كثمن إضافي لخدماته لها مما أثار غضب شولا، لما كانت قد صورته بصحبة فتيات صغيرات. ولكان الموساد عاد وقبل بدفع المال الذي طلبه عوض.

عام ١٩٥٨ أخبر ضابط سوري ضابطاً لبنانيا عن نشاطات شولا المشكوك بأمرها. ولكنه تلقى جوابا سلبيًّا مستغرباً من زميله اللبناني الذي قال، "إن شولا فوق الشبهات. ولكن في ٩ يوليو ١٩٦٢، أي بعد ١٤ عاماً من التجسس والعمل للموساد، أوقف الكولونيل اللبناني عزيز الأحدب شولاميت كوهين، وزوجها جوزيف كشك، وراشيل رفول، والمسئول الحكومي اللبناني محمود عوض، فايز ونصرات العبد لله بالإضافة إلى ٢٢ يهوديا ولبنانيا من الذين عملوا شولا معا في شبكتها التجسسية.

في ٢٥ يوليو ١٩٦٢، حكم على شولاميت كوهين بالموت الذي خفف إلى ٢٠ سنة في السجن. وحكم على صديقتها راشيل رفول بـ١٥ سنة سجنا، وأطلق سراح زوجها جوزيف كشك بعد استئناف الحكم. وكان من حظ محمود عوض أن مات نتيجة ذبحة قلبية في يونيو ١٩٦٢، بينما كان في السجن قبل البدء بمحاكمته.

اليوم فقد أصبحت شولا كوهين بطلة وطنية إسرائيلية بعد تبييض وصقل قصتها كي تصبح "صالحة للاستهلاك اليهودي العام". وهي تعيش في أقدم الأحياء اليهودية في القدس، ميا شيريم، وهي مستوطنة تابعة لراموت. إنها حي سكانه من اليهود الأرثوذكس الأصوليين، الحريديم، اللذان يمكن أن لا يكونوا على علم بماضيها. وتعيش راشيل رفول في تل أبيب ولها ولد وبنت، الذان يحملان أسماء عائلات أخرى. ولا يعلم أي شيء عن العاهرات الأخريات.

■■■

٤٠

كاترينا ليونج

" خادمة الصالون " !!

ooo

لأن الإغراء كان ولا يزال أحد أخطر أسلحة الجاسوسية ، فقد شهد القرن الواحد والعشرين تفجر فضائح تجسس لعبت الحسناوات الفاتنات دور البطولة المطلقة فيها .. ومن هؤلاء كانت كاترينا .. شباب وحيوية .. فاتنة وساحرة .. وجمالها لايقاوم !!

حكاية كاترينا ليونج الصينية الفاتنة أغرب من الخيال .. أطلق عليها رجال مكتب التحقيقات الفيدرالي " إف . بي . آي " اسماً كودياً خلال اتصالاتهم الخاصة بمراقبة تحركاتها .. هذا الاسم هو " خادمة الصالون " !!

كانت كاترينا - التي ولدت في الولايات المتحدة لأبوين صينيين هاجرا من وطنهما في السبعينيات ، قد عادت من زيارة لبكين حين اتصلت بمكتب التحقيقات الفيدرالي في سان فرانسيسكو .

ولم تكن تلك هي الزيارة الأولى التي تقوم بها كاترينا إلى وطن أجدادها لرؤية أقاربها وللتعرف على جذورها وتراثها . إلا أن تلك الزيارة كانت مختلفة بعض الشيء. وحين تحدثت كاترينا مع أحد ضباط المكتب شرحت له أنها عادت توا من الصين وأنها تريد مقابلة أحد المسؤولين في المكتب " لأمر مهم " .

وحدد لها الضابط موعدا مع مسئول بالمكتب ، وحين التقت به هذه المرأة الساحرة قالت له بصوت مضطرب إن المخابرات الصينية طلبت منها العمل لحسابها في الولايات المتحدة .

على الفور تم تشكيل فريق خاص من الضباط ترأسه واحد من أقدر المتخصصين في مكافحة التجسس الصيني وهو مسؤول مهم بالمكتب يدعى وليام كليفلاند الذي عمل — آنذاك - مسؤولا عن مكافحة التجسس في كل منطقة الساحل الغربي بالولايات المتحدة.

ارتبطت كاترينا بعلاقة حميمة مع كليفلاند ، واتفق الاثنان على أن يلتقيا بصورة أسبوعية في غرفة بأحد الفنادق على تخوم سان فرانسيسكو، وواصلت كاترينا مهمتها في خداع المخابرات الصينية عبر " تلقيمها " المعلومات التي يقدمها لها سميث.

وبدأ تطبيق الإجراءات التقليدية وأهمها التحقق من أن خادمة الصالون ليست عميلة مزدوجة، أي أنها ليست بالفعل جاسوسة صينية " فبّركت " قصة محاولة

المخابرات الصينية تجنيدها لتخترق مكتب التحقيقات الفيدرالي، وكان أول هذه الإجراءات هو تعريض كاترينا لاختبار كشف الكذب ، وبعد ذلك تم استجوابها عشرات المرات - على فترات متباعدة - حول ما حدث لها خلال زيارتها الأخيرة لموطن أجدادها، وصولاً إلى أدق التفصيلات، لون قميص من جندها وماذا فعل ودقائق ما حدث لحظة بعد الأخرى.

واجتازت خادمة الصالون كل تلك الاختبارات بنسبة ١٠٠٪ فقد تحالف ذكاؤها وجمالها وبراءة تصرفاتها لنقلها من اختبار إلى الآخر بسلاسة دون عقبات، وتم الاتفاق مع كاترينا على إيهام المخابرات الصينية بانها بدأت بالفعل العمل لحسابها، وكان ذلك يعني أن على المكتب أن يقدم لها على نحو منتظم معلومات لإرسالها إلى بكين، وهي معلومات ينبغي أن يكون بعضها صحيحا حتى يتضح للمخابرات الصينية عند اختبار صحة تلك المعلومات ان جاسوستهم الفاتنة ناجحة في أداء عملها، اما المعلومات الباقية فقد كانت حشواً فارغاً لا يمكن لبكين أن تتحقق من أنه كذلك. وكلف المكتب ضابطا يدعى جاي سميث بالإشراف المباشر على كاترينا، فيما كلف كليفلاند بتولي مسؤولية هذا الملف بأكمله.

ويبدو أن كليفلاند أحب كاترينا، إذ أنه اصطحبها ذات مرة إلى اجتماع ضيق لضباط مكافحة التجسس، وقدمها بزهو قائلاً: إنها نموذج لعمليةٍ خداع بالغة الفعالية، وفي خلال تلك العلاقة لاحظ كليفلاند أن العلاقة بين كاترينا وسميث بدت ودية أكثر مما ينبغي، فقرر مراقبة الاثنين، إلى أن تبين أنهما يلتقيان - أسبوعيا أيضا، ولكن في غرفة فندق آخر.

وبعد فترة تبين بالفعل ان كاترينا «جندت» سميث للعمل لحساب المخابرات الصينية، وأنها كانت تحصل منه على المعلومات لترسلها إلى بكين.

ويقول كليفلاند بعد ذلك إنه شعر بالتمزق لأنه كان قد تجاوز الخمسين من العمر فيما كانت كاترينا قد تجاوزت - بقليل - نصف ذلك، وهكذا قرر مواصلة

علاقته بها رغم علمه بعلاقتها مع سميث، واستمرت الأمور على هذا المنوال، وأقنع كليفلاند نفسه أن أمر العلاقة بين سميث وكاترينا قد تكون نزوة عابرة.

إلا أن كليفلاند لاحظ أن عدداً من أهم مصادر مكتب التحقيقات عن أنشطة المخابرات الصينية، سواء كانت تلك المصادر في الصين أو في الولايات المتحدة قد أسكتت فجأة ويقول كليفلاند في ذلك إنه أحصى تسعة مصادر للمعلومات توقفت عن العمل تماما أو اختفت من شاشة رادار مكتب التحقيقات في غضون ستة أشهر.

وشعر الضابط المخضرم بحيرة شديدة، فإذا قام بإبلاغ رؤسائه فإن التحقيقات ستكشف لابد عن تورطه في علاقة غرامية مع الصينية اللعوب، وإن لاذ بالصمت فان هذا " الثقب " الأمني في عمل المكتب لابد أن يتسع، فضلا عن آثاره المدمرة على أمن الولايات المتحدة.

وبعد تردد قرر كليفلاند أن يبلغ رؤساءه ، فجلس مع واحد منهم يعرفه جيدا، وأخبره بالقصة كاملة، وعقد هذا المسؤول اجتماعا طارئا مع مسؤولين آخرين، ووضعت كاترينا وسميث تحت المراقبة الدقيقة، وأخفيت في الغرفة التي يلتقيان بها كاميرات فيديو وميكروفونات، ووضعت ميكروفونات أخرى في سيارتها ومنزلها كما وضع هاتفها تحت المراقبة.

وبعد فترة تبين بالفعل أن كاترينا «جندت» سميث للعمل لحساب المخابرات الصينية، وأنها كانت تحصل منه على المعلومات لترسلها إلى بكين وصدر الأمر بالقبض على كاترينا وسميث وبوقف كليفلاند عن العمل حتى انتهاء التحقيق واعترف سميث بجريمته، وحصل على عرض من المدعى في المقابل بالاستمرار في تقاضي معاشه التقاعدي، وتلقى حكماً بالسجن عشرة أعوام، أما كاترينا فقد اضطر الادعاء إلى الإفراج عنها بعد أن ارتكب المحققون أخطاء قانونية تمكن الدفاع من استخدامها للطعن في المحاكمة على أسس شكلية وفاز الدفاع، ولا يعرف

أحد السبب الذي أدى بالتحقيق إلى ارتكاب تلك الأخطاء وما إذا كان "سحر" خادمة الصالون تدخل في الأمر.

غير أن جيرتز لم يكن يعرض هذه القصة من باب التشويق والإثارة بل كان يقدمها في سياق سرد مداخلة مترابطة مفادها أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تحمي أسرارها، وان الاسرار التي تتسرب إلى خارج البلاد – لاسيما في مجال تطوير التكنولوجيا العسكرية – تقدر قيمتها بمليارات الدولارات من حيث ما أنفق لتطوير هذه التكنولوجيا، فضلاً عن الاحتياج لتطوير تكنولوجيا معاكسة تحبط تأثير ما وصل إلى أيدي الخصوم والذي صنعه الأمريكيون أنفسهم ثم ما لبث الجواسيس أن نقلوه إلى دول أخرى لتقوم باستنساخه ويبرهن جيرتز على ذلك بمسلسل من الوقائع التي استخرجها من ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالي.

▪ ▪ ▪

٤١

آنا ماري ليستر..

الألمانية الخطيرة !!

ooo

نشأت آنا ماري ليستر في إحدى ضواحي برلين، ولما بلغت السادسة عشرة من عمرها تعلقت بالكابتن كارل، أحد ضباط الجيش الألماني .

وأثمرت العلاقة حملاً غير شرعي، فما كان من والدها إلا أن طردها من المنزل لتلد بعد فترة طفلاً ميتاً، أما السلطات الحربية فقد عاقبت الكابتن فأجبرته على الاستقالة، لكنها عادت فأشفقت عليه لمقدرته وطموحه.

لكنه استمر في مسيرته ينفق على آنا ماري التي كانت تقيم في برلين، من دخله العسكري كما رأى إخوته انشغاله فبدأوا يديرون أملاك العائلة وعقاراتها بالنيابة عنه إلى أن أصبحت مثقلة بالديون ولم تعد تدر شيئاً من الأرباح أو الدخل فاضطر للاستنجاد بالمرابين ليغوص عميقاً في الديون، ما دفع القيادة إلى أن تضعه أمام خيارين: إما تسديد الديون التي عليه حفظاً لسمعته العسكرية أو ترك الجيش نهائيًّا ففضل التخلي عن عمله في الجيش.

وبما أن الحاجة أم الاختراع، فقد تفتق ذهنه عن طريقة لتوفير دخل أعلى وإن كانت بمخاطر أكبر، وهي أن يعمل كجاسوس لمصلحة الاستخبارات الألمانية، وهكذا انتقل وآنا إلى سويسرا التي سبق لآنا ماري أن تعلمت في إحدى مدارسها الكبرى وأتقنت اللغة الفرنسية، فكانت تختلط بالقرويين وسعاة البريد وكبار الموظفين وصغارهم وأثناء الدردشة لا يضنون عليها بمعلوماتهم التي تنقلها لعشيقها وهو ينقلها بدوره إلى دائرة الاستخبارات.

ولم يمض وقت طويل حتى تعلمت آنا ماري نوعية المعلومات المطلوبة وطريقة الحصول عليها، فيما كان الكابتن كارل يحمل معه أينما توجه حقيبة مليئة بكتب عن العلوم النباتية مدعياً أنه أحد علماء النبات، وكان يكتب ما يتوصلان إليه من معلومات بحروف دقيقة على ورق رقيق متلاصق ويخيطها في بطانة سترته.

وتشاء الظروف أن تتنبه السلطات السويسرية إلى دوره فتلاحقه إلا انها لا تستطيع القبض عليه لكن حالة التوتر التي يمر بها تؤدي إلى شعوره بآلام شديدة فتنقله آنا ماري إلى المستشفى حيث قضى نحبه متأثراً بانفجار في الزائدة الدودية.

وتحصل إدارة المستشفى على عنوان أسرته فتبلغهم بالوفاة، فيحضرون وبدلاً من شكر آنا على وقوفها إلى جانب شقيقهم يشتمونها ويعتبرونها مسؤولة عن خراب بيت العائلة وعن وفاته بسبب علاقتها به، ولم يكن أحد منهم يعرف شيئاً عن دوره كجاسوس، إلا أن أحد الضباط يحضر من بلاده ويسألها عن الأوراق التي احتفظ

بها كارل فتبلغهم بمكانها، وهكذا يتوجه الضابط إلى كنيسة المستشفى لإبلاغ أسرته أن الجثة محجوز عليها بأمر من القيادة العليا وبعد إخراجهم من الغرفة بنصف ساعة تقريباً يخرج الضابط ليبلغ الأهل أن بإمكانهم دفن الجثة وعندما يدخلون يكتشفون أن السترة ممزقة.

وتنزوي آنا ماري في غرفتها في أحد الفنادق تندب حظها، لكن القيادة الألمانية تتصل بها وتطلب منها الحضور لشرح الخرائط والرموز التي كتبها كارل فتقوم بمهمتها خير قيام، وتطلب منها القيادة الاستمرار بدورها، فتعرفت إلى ضابط شاب بدأ يصحبها إلى مختلف المواقع العسكرية ليظهر لها قوته ومكانته وكانت تحمل آلة التصوير معها دائماً وتلتقط صور المواقع والتحصينات.

ويطلب الضابط منها الزواج فلا تمانع لكنها تستأذنه في التوجه إلى أهلها للحصول على رضاهم، وبما أنها خطيبته فقد قامت بالانتقال بسيارة فخمة وبمرافقة ضابط آخر وطبيب للعناية بها وهكذا عبرت الحدود مع صورها من دون أدنى تفتيش لتبقى هناك.

وتزداد مهمات ومسؤوليات آنا ماري فتوفد إلى بلجيكا لتصوير الحصون وحالة المواصلات والسكك الحديدية والأراضي التي يمكن غمرها بالماء في حالة الحرب، وإلى إيطاليا بعدها حيث بلغتها مع اندلاع الحرب الأوروبية، فتحصل من الجواسيس الألمان على جواز فرنسي باسم مستعار وتتنكر بثوب ممرضة وتتوجه إلى باريس حيث تلتقي الجاسوس بيسار الذي يسلمها معلومات دقيقة وخطيرة تخفيها في ثيابها الداخلية ويصنع لها جواز سفر جديداً على أنها ابنة ضابط بلجيكي، وتطوعت كممرضة في المستشفيات الحربية، ومن هذه المستشفيات تنقل آنا ماري أخطر المعلومات إلى الاستخبارات الألمانية التي ساعدت الجيش في حربه.

وهكذا استمر دورها ما بين فرنسا وبلجيكا وهولندا وانجلترا إلى أن انقطعت أخبار الجاسوس بيسار فطلبت إليها القيادة التوجه إلى فرنسا لمعرفة مصيره

حيث اكتشفت أنه انتحر، وهناك تعرفت إلى ضابط سابق في الجيش اليوناني يدعى قسطنطين كورويانيس يعمل في تصدير الفاكهة فأوقعته في حبائلها واعتصرته لتحصل على ما لديه من معلومات قيمة .

ولما طلب منها الزواج وافقت على أن تستأذن أهلها أولاً وذات يوم جاءت إليه لتجده مضطرباً، فأبلغته أن أهلها وافقوا على الزواج لكنه بقي على اضطرابه فلما سألته عن السبب أبلغها أن هناك جاسوسة ألمانية قديرة تبحث عنها المخابرات الفرنسية وقدم إليها صورة قديمة مع ضباط بلجيكيين لكن شكلها يبدو غير واضح فيها، وأن هناك جائزة بقيمة نصف مليون فرنك لمن يدلي بمعلومات تكشفها، وفي اليوم التالي اتصلت آنا ماري بضابط ارتباط في فرنسا يعمل لألمانيا والذي أبلغها أن هناك ضابطاً يونانياً سابقاً يدعى قسطنطين جاءه مبدياً استعداده لتسليمها مقابل أن يدفع له مقدماً مائة ألف فرنك، فعرفت أنه هو، لذا دبرت له بالتعاون مع الضابط مكيدة تثبت أنه جاسوس لألمانيا فحكم عليه بالإعدام.

وطلبت القيادة الألمانية من جواسيسها في فرنسا اللجوء إلى البلدان المحايدة والخروج من فرنسا بأسرع وقت ممكن فغادرها الجميع إلا آنا ماري التي لم تلب الطلب بل لجأت للعمل في أحد الفنادق التي يجتمع فيها الضباط والجواسيس الفرنسيون وارتضت العمل في تنظيف الغرف وكنسها ومسحها وبما أنها ظروف حرب فلم يكن الدخل يوفر لها أكثر من الخبز المحمص والجبن والبيض المسلوق، لذا وهنت صحتها وبدأت تشعر بالألم خاصة أنها تركت للفتيات أعمال النهار وارتضت أن تعمل وحدها في الفندق ليلاً فسروا منها، إلا أن غايتها كانت التجسس وإقامة العلاقات مع الضباط والجواسيس لجمع المعلومات .

ولتخفيف آلامها بدأت تحصل منهم على المورفين فأصيبت بالإدمان لكنها جمعت قدراً كبيراً من الوثائق والخرائط والمعلومات العسكرية إلى أن شاهدت حقيبة من الوثائق مع أحدهم فأغرته وقامت بتخديره وسرقت منه الحقيبة ثم

ارتدت أجمل ثيابها وغادرت الفندق، وعندما اكتشف الضباط أنها جاسوسة انهالت البرقيات على الحدود تطالب بالقبض عليها لكنها استطاعت العبور إلى سويسرا حيث اكتشفت السلطات عى بعد خمسمائة متر من الحدود ثلاث جثث في صدر كل منها رصاصة.

وعادت آنا ماري إلى برلين حيث اعتزلت الناس واستمرت في إدمان المورفين والكوكايين، لكنها لم تستطع البقاء على هذا الوضع خاصة بعد أن بدأت الحرب العالمية الأولى فانتقلت إلى اسبانيا حيث تزوجت برجل أمريكي اسباني يعمل بالزراعة ومن أصحاب الثروات الطائلة، واتصلت بالصليب الأحمر وبدأت تزور المستشفيات بصحبة بعض السيدات الفاتنات لتقديم الهدايا والزهور إلى الجرحى ومن ثم تطوعت لتمريضهم وكانت تجمع المعلومات منهم وترسلها إلى ألمانيا .

وذات يوم وأثناء حديثها مع أحد الجرحى، أفاق ضابط بلجيكي جريح من غيبوبته ورآها وبدأ يصرخ " اقبضوا على هذه الجاسوسة الألمانية ".

كان الضابط هو نفسه الذي سبق لها أن فرت منه بعد أن وعدته بمراجعة أهلها للزواج، وكان قد اكتشف بعد هروبها أنها جاسوسة، فلما رآها بدأ بالصراخ إلا أنها قالت للجريح الذي تقف إلى جانبه إنه مريض ويهلوس.

ثم انسلت من المستشفى وهربت لتختبئ في دارها وتحقن نفسها بالمورفين لتستعيد هدوءها ثم تهرب مغادرة إلى ألمانيا حيث أبلغت القيادة بما لديها من معلومات ثم اعتزلت الناس لتموت فيما بعد مدمنة كوكايين .

▪▪▪

٤٢

كورا بيرل ..

جنازة غانية !!

OOO

كورا بيرل فى منتصف ستينيات القرن التاسع عشر الميلادى، غانية إنجليزية شهيرة فى باريس، ثرية، وسعرها غالٍ أيضا، كان لديها حلى بحوالى مليون فرنك فرنسى بأسعار ذلك الزمان، شغوفة بالمنازل والخيل والخدم ولديها الكثير من كل هذا.

تنقلت من حضن عشيق إلى آخر، ومن كل واحد كانت تحصل على ثروة عظيمة، كانت تجمع أكثر من عشيق فى الوقت نفسه، كانت دائما ما تذهب إلى الأثرياء. فكانت كورا بيرل تستحم فى حمام من المرمر الوردى حيث طبعت الأحرف الأولى من اسمها بالذهب فى قاع البانيو. ولائمها أسطورية، وحفلاتها باذخة.

وذات ليلة راهنت ضيوفها أنها ستقدم لهم لحما لن يجرؤوا على تقطيعه. انتظروا وعندما قدمت، فغروا أفواههم دهشة، حيث كانت كورا بيرل مستلقية على طبق ضخم من الفضة يحمله أربعة من الخدم. عارية تماما تزينها رشات من البقدونس.

اسمها الحقيقى اليزا إيما كراويش، أبوها كان معلما للموسيقى قررت أنها كانت تريد أن تصبح ممثلة. وشرعت بالتردد خلسة إلى المسرح.

وفى إحدى تلك الزيارات تقدم منها رجل غريب وسيم، أخبرها أنه كان تاجرا للماس، وقبلت دعوته على العشاء بسذاجة، ونام معها، وترك لها خمسة جنيهات استرلينية إلى جوار السرير، ومنذ ذلك الوقت لم تعد إلى بيتها، واستأجرت غرفة فى قلب لندن واستخدمها مضارب مسرحى لتغنى وترقص، رغم أنها لم تكن موهوبة فى كلا الأمرين. وصارت عشيقته، وذهبا معا إلى باريس حيث كانت تخطط.

وغيرت اسمها إلى كورا بيرل. واستخدمها مديرو الملاهى لأنهم رأوا أن جمالها وحده سيجذب الزبائن، وكانت ذات جسد رائع مدهش، ساحرة كاملة، وجذابة إلى درجة الهوس. بدأت فى مسكن متواضع كعشاقها. ولما وقعت على أثرياء غيرت كل شيء. فأضحى القمار هوسها وخسرت مالها بسرعة.

ومنحت نفسها لأمراء ودوقات ومنذ عام ١٨٦٢ صارت كورا بيرل فى باريس صاحبة سلسلة ذهبية من العشاق، وكل هؤلاء أنفقوا ثرواتهم عليها. وقد تعرفت بابن عم الإمبراطور الأمير نابليون ٤٢ سنة الذى كان متزوجا من الأميرة كلوتيلدا

الشديدة التدين.وقضت على حسابه المصرفى، فابتاع لها قصرا وفرشه بمليونى فرنك، وكانت علاقتها معه هى أطول علاقة لها مع رجل، وكان يسدد ديون قمارها.

وقد أثارت ضجة عندما ظهرت على مسرح باريس فى ٢٦ من يناير ١٨٦٧ ميلادية ككيوبيد فى أوبرا أوفينباخ الكوميدية فقد كانت شبه عارية، وقد انتعلت حذاء طويلا كانت أزراره ماسات كبيرة، ونعلاه كتلة صلبة من الماس.

وبعد العرض قدم لها كونت غامض خمسين ألف فرنك للحذاء. وضعف المبلغ إذا كانت كورا داخله. وفى يوليو ١٨٧٠ تغير كل شيء، حيث اشتعلت الحرب الفرنسية البروسية، وسقطت الإمبراطورية الثانية، وتفرق العشاق الذين كانوا يدفعون لها بسخاء منقطع النظير. لكنها خلال حصار باريس، حولت منزلها إلى مستشفى، وبقى الإمبراطور نابليون فى منفاه وفيا لها.

وبحثت لها عن عشيق جديد، فما كان إلا اكساندر دوفال الذى كان يصغرها بعشر سنوات، وخلال سنة واحدة من علاقتهما أشهر إفلاسه من فرط طلباتها وتسديد فواتيرها فى القمار وغيرها من الديون الثقيلة، وتركته عندما لم يستطع أن ينفق عليها بالطريقة التى تحب. وذهبت ممتلكاتها فى المزاد، وبقيت عشر سنوات هكذا إلى أن انزلقت فى أسفل السلم الاجتماعى، وأنهت كورا مهنتها «البغاء» فى منزل داخلى رخيص فى أحد شوارع باريس الخلفية، وحيث ذبل جمالها وتركها معجبوها.

وفى الثامن من يوليو ١٨٨٦ ميلادية، ماتت مصابة بالسرطان، وطلب أرخص كفن لها وتلقى الحانوتى المحلى تعليمات بدفنها كمتسولة. وقبل أن ينفذ الأوامر زاره رجل بارز ذو ملامح ارستقراطية، وسأله : كم تكلف أفضل جنازة كمدام كورا بيرل؟

وقال للحانوتى على السيدة أن تحصل على أفضل جنازة. أحذرك أن مندوبا مهما سوف يكون حاضرا ليشهد على تنفيذ ما طلبت. ولم يعرف من هذا الاستقراطى إلى الآن، ولكنه من المؤكد أنه كان واحدا من عشاقها الكثيرين.

▪▪▪

٤٣

باربارة فيليرز ..

جسد للبيع !!

ooo

بالنسبة لامرأة سيئة مثل باربارة فيليرز فقد كان الناس في بريطانيا يتساءلون: من يحكم إنجلترا هى أم الملك تشارلز الثانى ؟. ربما كان سبب تأثيرها العظيم على الملك تشارلز مقدرتها الكبيرة على الإغواء كونه كان رجلا له نزواته !!

وباربارة ولدت عام ١٦٤١، وتورطت فى علاقة مغامرة مع رجل سيء السمعة وهى فى سن السادسة عشرة. ولما بلغت سن الثامنة عشرة تزوجت ابن نبيل ريفى ثرى كان يدرس القانون ولم يكن الشريك الأمثل لبربارة بسبب هدوئه وولعه بالدرس، ولكن حبه جعله يتزوجها وشجعت عائلتها ذلك. وأنجبت ابنا من زوجها.

وتخلصت باربارة من زوجها، وذهبت لتعيش قريبة من الملك، الذى كانت له زوجة هى أميرة برتغالية قصيرة وغير جميلة، كان زواجه منها سياسيا. وأعطيت بربارة جناحا ملكيا فعاشت مع الملك كأنهما زوجان. واستعبدته بشهوتها وكان تدخلها فى السياسة من أسوأ أخطائها وكان المال إلهها.

ولم يجرؤ الملك على إغضابها وفى أثناء ذلك شغفت باربارة براقص حبل شهير وسيم، وقيل إنها أعطته راتبا من المال المخصص للدفاع الوطنى، وحبيب آخر كان خادم درج داخلى أصبح فيما بعد ممثلا، بعدئذ أتى وصيف نصاب كان يرافق عربتها أجبر كما أشيع على أن يأخذ حماما معها.

وعندما حملت للمرة السادسة، علم تشارلز أن الجنين ليس منه، عندما اتهمها بالخيانة واقترح اسم المغامر سيء السمعة، هنرى جيرساين، كأب للجنين، هددته بنشر رسائله إذا لم يقبل أبوة الجنين، للمرة الأولى ثبت تشارلز على موقفه، وأقسمت بعد مشادة عنيفة أنه إذا لم يعترف بأبوة الطفل أن تأخذه للمحاكمة، وأن تبعثر دماغه أمام الجميع «لعنة الله عليك، ولكنك ستعترف به» صرخت.

لقد تجاوزت حدودها تلك المرة. بدأ عقل الناصحين بنصح الملك أن يطرد باربارة وأصغى إليهم، لقد حان وقت التغيير، اتخذ مول ديفيز، ممثلة من عامة الشعب عشيقة له وأسكنها فى منزل فاخر فى سفولك ستريت.

ولكنها استبدلت بعد فترة بأخرى أمتعت الملك حتى آخر أيامه. كان اسمها نيل جوين. وبالرغم من أن أيامهما كحبيبين انقضت، فى الثلاثين من عمرها لترفع ضغط دم الرجال عندما أرادت. أصبح دوق مارلبورا، الشاب الوسيم ذو الواحد

والعشرين عاما حبيبها وحملت طفلة. لم يمانع الملك إطلاقا ولكنه تمنى إنها إذا أقامت علاقة ما أن لا «تستعرض بها».

انتهى تأثيرها فى البلاط بحلول محظيته الأخيرة، فتاة جميلة تدعى لويز دوكيروال. بعد سنتين رحلت باربارة إلى باريس حيث اتخذت عشاقا كثيرين وتمكنت من إسقاط السفير البريطانى وخلال حياتها فى الخارج تبادلت مع الملك الرسائل وعندما عادت إلى لندن عام ١٦٨٥ ميلادية سجل المؤرخ جون ايفبيلن أنه تم استقبالها بلطف.

لقد كانت بالتأكيد واحدة من جماعة لعبت الورق مع الملك عدة ليال قبل نوبته القلبية التى سببت موته. مرت السنون والأيام التى سيطرت فيها على البلاط بعجرفة وجمال بدت وكأنها بعيدة. تنامت ديون قمارها، وتبخر المال الذى جمعته بسرعة، ووقع معظمه فى أيدى المحتالين. عام ١٧٠٥ ميلادية، عندما كانت فى الرابعة والستين، سمحت لنفسها بالزواج من فاسد يدعى بيو فلينج كان متربصا مرتين وأنفق ثروتين قبلا. كان الزوجان حديث الموسم وموضوع تهكمات قاسية.

وعندما اكتشف فليدنج أن الدوقة كليفلاند لم تكن ثرية كما افترض، ضربها بعنف حتى كادت أن تفقد الحياة. لحسن الحظ قدم دليل على أن المحتال لم يطلق من زوجته الأولى واقتيد إلى المحاكمة بتهمة تعدد الزوجات. وبعد ذلك الحدث قضت سنينها الأخيرة فى منزل فى تشيزويك مول قرب نهر التايمز. وانتفخ جسدها الرائع ذات يوم بمرض الاستسقاء وماتت فى التاسع من أكتوبر عام ١٧٠٩ ميلادية، ولكن روحها القلقة دائما وغير الراضية فى الحياة لم تستقر وقيل عن روحها أنها تسكن المنزل إلى اليوم.

▪ ▪ ▪

٤٤

إليزا لينش ..

" الغانية الأيرلندية " !!

ooo

لا أحد ينسى إليزا لينش التى كانت وهى فى السادسة عشرة من عمرها عشيقة لابن رئيس الباراجواى التقته عام ١٨٥٤ ميلادية فى باريس، حيث كانت تبحث عن ثروة فهى كانت متزوجة من ضابط فرنسى وهى فى الخامسة عشرة من عمرها.

وهى فى الثامنة عشرة قررت أن تصبح «امرأة هوى» بحثا عن النعيم والرفاهية، ومن خلال بعض المعارف دخلت المجموعة المختارة حول الأميرة ماتيلدا وبعدها بدأت تظهر فى كل مناسبة عظيمة. كانت تبحث عن علاقة طويلة. ولم يكن هناك فرنسى يرغب فى ذلك.

وقد طلبت من خدمها أن يتركوا بطاقتها فى أفضل الفنادق والسفارات الأجنبية. وقد طبعت على بطاقتها «مدام لينش معلمة لغات». وذات يوم رأت شخصا، وسألت من هذا ؟ فأخبرت أنه فرانشيسكو لوبيز الابن الأكبر الغنى جدا للديكتاتور رئيس الباراجواى فشد ذلك اهتمامها. وفى الصباح التالى كانا حبيبين، وطلب من لوبيز المفتون بها أن تعود معه إلى أمريكا الجنوبية، وكان يحلم أن يصير إمبراطورا، وأبحرا عائدين إلى الوطن فى صباح ١١ من نوفمبر ١٨٥٤ ميلادية.

وكانت معروفة قبل أن تصل بأنها «الغانية الإيرلندية» وقد حاولت النساء جاهدات إقناع الرئيس بمنع دخولها. ولكن لوبيز أقنع العائلة بقبولها. وهو المعروف عنه اهتمامه بجانب النساء تقوية نفسه والحرب، فكان فاجرا ظالما يعتبر كل عذراء صيدا مسموحا به، وقد أرسلت العديد من عائلات الباراجواى النبيلة بناتها إلى الخارج خيفة أن يغتصبهن لوبيز، وهددت إحدى الفتيات بالانتحار إذا لمسها، وقدم لأخرى كانت على وشك الزواج جثمان عريسها كهدية عرس بعد رفضها الاستسلام.

كانت إليزا تعرف كل ذلك، كانت تعرف عن زياراته للمولفير، وقررت أن تقبل رغباته ولكنها أخبرته أنه إذا كان سيتخذ محظيات فتسختارهن بنفسها.

وولدت له صبيا وبنى لها قصرا، وقد أنجبت فيما بعد ستة أطفال قبل أن تبلغ الثانية والثلاثين. ولما مات رئيس الباراجواى صارت هى سيدة باراجواى الأولى، وأوضح زوجها للجميع أن عشيقته ستعامل باحترام كأية زوجة.

ولكن الحرب دمرت باراجواى وسقطت هومانيا بأيدى البرازيليين فى ١٥ من يوليو ١٨٦٨ ميلادية وبعدها أصبحت معظم مدن الباراجواى بأيدى الحلفاء. وجمع لوبيز شتات جيشه، مع عائلته وعشيقته وفر وبمحاولة أخيرة لمنع العدو من الوصول إلى أسونثيون ورمى بكل ما عنده إلى المعركة. ومات فيها ■ آلاف جندى من الباراجواى، من جميع الأعمار، حيث فقد لوبيز أو قتل جيلا بأكمله.

وأتت النهاية فى الأول من مارس ١٨٧٠ ميلادية عندما لحق به البرازيليون مع عصبته فى «عاصمته» الأخيرة كيرو كورا على ضفاف نهر ريو أكويدابان وعندما سمع أن الفرسان البرازيليين يقودهم الجنرال كامارا، قد تمكنوا من الاختراق، أمر جنوده بتشكيل حائط بشرى بينما حاول الهرب على حصان، ولكن الحصان كبا فى الوحل وأصيب لوبيز بطلق نارى بينما كان يحاول النهوض، وكانت كلماته الأخيرة «أموت مع بلادى».

استسلمت أمه وأختاه اللواتى حكم عليهن بالموت قبل ساعات عندما استحوذت عليه البارانويا، واندفعت إليزا مع أصغر أبنائها، ولكن كامارا لحق بها وقادها إلى المكان الذى سقط به لوبيز وعندها دفنته. وحمل زورق حربى برازيلى النساء إلى اسونثيون وعادت نساء لوبيز إلى منازلهن ولكن تم الاحتفاظ باليزا على سطح الزورق لحمايتها.

فقد حذر كامارا أنه إذا استطاعت نساء اسونثيون من الوصول إليها فيسقتلنها وبعد أن رفض تسليمها إلى الحكومة المؤقتة وضعها على سفينة متجهة نحو أوروبا فقد سببت ما يكفى من المتاعب. كانت إليزا لينش فى الخامسة والثلاثين عندما عادت إلى لندن، والتقديرات المتحفظة للمبالغ التى تمكنت من تهريبها من الباراجواى كانت ثلث مليون جنيه استرلينى، بجانب استثمارات أخرى تمكنت من القيام بها، وقد عاشت فى لندن بقية حياتها، مقدمة نفسها كضحية للظلم وماتت في ٢٧ من يوليو عام ١٨٨٦م.

■■■

مصادر و مراجع

OOO

١ - كتاب " الكامل في التاريخ " - ابن الأثير

٢ -كتاب " العصر الذهبي لروسيا " - هيلين كارير دانكوس

٣ - كتاب "كاترين الثانية "- فايار – باريس- ٢٠٠٥

٤ - السلطانة «صفية».. ومجزرة السلاطين العثمانيين - الوطن السورية – ١١ أكتوبر ٢٠٠٤

٥ - كتاب أشهر العشاق: المركيزة دي بومبادور- خليل يونس - دار المكشوف - ١٩٥٠

٦ -تسليم مخ الإرهابية الألمانية ماينهوف لأسرتها – سي إن إن – ٢١ نوفمبر ٢٠٠٢

٧ - اختفاء «أمخاخ» ثلاثة من إرهابيي الجيش الأحمر الألماني – وكالة الأنباء الألمانية " د ب أ " – ١٨ نوفمبر ٢٠٠٢

٨ - قتل الأبناء على الطريقة الأمريكية - د. عادل نجيب - أخبار الحوادث – ٢١ مايو ٢٠٠٦

٩ -كتاب " حكومات غرف النوم " – عادل حمودة – دار " سفنكس " - ١٩٩٧

١٠ -كتاب "السلوك الغرائزي عند المرأة " –جون كنزي

١١ - نهاية الإمبراطورة إيرين - مأمون غريب- أخبارالحوادث -١٦أكتوبر٢٠٠٣

١٢ - كتاب " إمبراطورية العرب " "جون باجوت جلوب ترجمة: خيري حماد

١٣ - كتاب " تاريخ الخلفاء - السيوطي

١٤ - المسلمون بين الازدهار والانكسار - مأمون غريب

١٥ - كتاب " الإمبراطورة إيرين " - علية عبد السميع الجنزوري

١٦ - التفاصيل الكاملة والحقيقية للجاسوسة أمينة المفتي بقلم:د . سمير محمود قديح - دنيا الوطن – ٢٢ فبراير ٢٠٠٧

١٧ - كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية محمد فريد وجدي: - تحقيق إحسان عباس- دار النفائس ببيروت- ١٩٩٨

١٨ - خيانة على أسوار فيينا.. في ذكرى هزيمة المسلمين - مصطفى عاشور - إسلام أون لاين

١٩ - لماذا بكت جولدا مائير حزناً على مصير الجاسوسة هبة سليم ؟ - د.سمير محمود قديح - دنيا الوطن – ٩ فبراير ٢٠٠٦

٢٠ - الجاسوس وفتاة الليل والوزير - سهير جبر – صحيفة الأخبار – ٢٧ فبراير ٢٠٠١

٢١ - شمشون الجبار: بصمة على غايات التدوين - جلال القصاب

٢٢ - دليلة.. المرأة التي عرفت سر جبروت شمشون – موقع بشاير الخير – يونيو ٢٠٠٧

٢٣ - دليلة خانت شمشون وأسلمته لأعداء وطنها - ٢٤أكتوبر٢٠٠٧

٢٤ - روكسلانا - منتدى التاريخ – ٢٣ فبراير ٢٠٠٤

٢٥ - جرائم النساء - ليلي الطراح- الاتحاد الإماراتية – ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٤

٢٦ - نوح.. عمره وكيف خانته زوجته؟! – الدستور – ١٨ سبتمبر ٢٠٠٨

٢٧ - من ملفات الجاسوسية- فريد الفالوجي - ٢٠٠٣

٢٨ - أول قوادة إسرائيلية في لبنان -كوثر سلام - تُرْجُمَان - أديب قعوار

٢٩ - نبي الله لوط عليه الصلاة والسلام - الشعاع العربي

٣٠ - سالومى - على أحمد على - الحوار المتمدن – ٦ يونيو ٢٠٠٧

٣١ - إيفان الرهيب - إيزابيل دي مادار ياغا – دار ميل- لندن – ٢٠٠٥

٣٢ - إيميلدا ماركوس في الجامعة - عادل حمودة – موقع ديوان العرب - ١٣ أغسطس ٢٠٠٦

الفهرست

تقديم 5

١- زوجة نوح 9

٢- امرأة لوط 13

٣- سالومى .. و رقصة الشيطان !! 25

٤-عنيزة بنت مجلز .. و مؤامرة لقتل ناقة الله !! 31

٥-دليلة .. رمز الغدر و الخيانة !! 45

٦- كاترين الثانية ..الإمبراطورة الفاسدة !! 51

٧- الكونتيسة إليزابيث دراكيولا النساء !! 55

٨-الملكة صفية ومذبحة أبناء السلطان 61

٩- تزوهسي .. لدغة المرأة العقرب !! 65

١٠- ريا و سكينة .. منتهى الوحشية والعنف !! 75

١١- ماري الدموية أسطورة الشر !! 97

١٢- مدام دي بومباردور المركيزة اللعوب !! 103

١٣- نازلي صبري ..الملكة الكارثة !! 109

١٤- أولريكه ماينهوف ..أكبر زعيمة إرهابية !! 127

١٥- كاميلا بركر باولز .. المرأة التي حطمت أسطورة ديانا !! 131

١٦- سوزان سميث.. أسوأ أم في التاريخ !! 145

١٧- اليهودية روكسلانا .. خائنة الإمبراطورية العثمانية !! 159

١٨- كريستين كيلر .. فتاة المسبح العارية !! 163

١٩- كريستين السويدية ملكة لا ترحم !! 177

٢٠- زوجة لنكولن ..عدوة الأمريكيين !! 179

٢١- ميسالينا .. الشيطان امرأة !! 187

٢٢- زوجة سقراط ..العذاب امرأة !! 193

الفهرست

٢٣- لانا تيرنر .. ثمن الغواية !! 195

٢٤-مايرا هندلي ..شبح يطارد البريطانيين !! 199

٢٥- صوفيا تولستوى ..قاتلة المبدعين !! 203

٢٦- إميلدا ماركوس .. السم في العسل !! 211

٢٧- هبة سليم.. الصعود إلى الهاوية!! 219

٢٨- إيلينا تشاوشيسكو ..أسوأ سيدة أولى !! 239

٢٩- لولا مونتيز ..أسوأ نساء التاريخ !! 245

٣٠- آنا نيكول سميث البداية سيئة و النهاية أسوأ !! 249

٣١- ماري لويز.. السفاحة الفاتنة !! 253

٣٢- كارمن موري .. الملاك الأسود !! 255

٣٣- آني موشيه بيراد .. ظل الشيطان !! 261

٣٤- انشراح موسى .. باعت نفسها للشيطان ؟! 267

٣٥- الإمبراطورة إيرين قاتلة ابنها !! 273

٣٦- كريستيان غيلبرت .. ملاك الموت !! 279

٣٧- إيماس أدموندز.. أخطر النساء !! 283

٣٨- كاترين .. أمبراطورة الشر !! 289

٣٩- شولا كوهين .. أخطر قوادة إسرائيلية !! 219

٤٠- كاترينا ليونج " خادمة الصالون " !! 299

٤١- آنا مارى ليستر ..الألمانية الخطيرة !! 305

٤٢- كورا بيرل .. جنازة غانية !! 311

٤٣- باربارة فيليرز ..جسد للبيع !! 315

٤٤- إليزا لينش .. للشر وجوه كثيرة !! 319

المراجع. 323

الفهرست. 327

منذ بدء الخليقة، والصراع بين الخير والشر موجود داخل النفس الإنسانية، بغض النظر عن جنس الإنسان أو جنسيته، دينه، أو لغته، أو مكانته الاجتماعية، رجلا أكان أم امرأة، وربما يكون الفارق الوحيد هو أن المرأة أكثر قدرة من الرجل على الخداع والتخفى، وأخطر من حيث الأساليب التى تتبعها للتعبير عن الشر عندما يتملك منها، ويخرج عن السيطرة، فتمتد آثاره المدمرة حتى إلى أقرب الناس إليها.

وبالعودة للتاريخ سنجده يقدم لنا نماذج بشرية تمثل نسوة فى غاية السوء، تملك الشر منهن، فرحن يقتلن ويدمرن ويخربن ويشوهن وجه الحياة، بعضهن ملكات، وبعضهن أميرات، وبعضهن نجمات مجتمع شهيرات، وبعضهن من العامة خرجن من قاع المجتمع بشر مستطير عبرن عنه بجرائم وحشية وضعتهن فى سجل أسوأ نساء التاريخ، وفى هذا الكتاب نقدم عشرات النماذج لنساء هن الأسوأ فى تاريخ البشرية، نساء من أهل القمة، وأخريات من سكان القاع، يشتركن جميعهن فى ارتكاب أفعال، خلعت عليهن جميعا لقب "الأسوأ" فى هذا الكتاب سنجد نساء كافرات وأخريات خائنات كامرة نبى الله نوح، وامرأة نبى الله لوط عليهما السلام، وكعُنَيْزَة بنت غَنم التى استخدمت ابنتيها لتدبير مؤامرة قتل ناقة الله وآيته لنبيه صالح عليه السلام وقومه، وسالومى اليهودية التى تآمرت مع امها لدفع ملك فاسد لقتل نبى الله يحيى عليه السلام، وامرأة العزيز التى راودت نبى الله يوسف عليه السلام عن نفسه واتهمته زورا وبهتانا.

فى هذا الكتاب أيضا سنطالع قصة دليلة رمز الغدر والخيانة، والملكة كاترين الثانية الإمبراطورة الفاسدة، والكونتيسة إليزابيث دراكيولا النساء، والملكة صفية التى دبرت مذبحة ابناء السلطان العثمانى الشهيرة، وتزوهسى الإمبراطورة الصينية الت كانت تلدغ كالعقرب، والملكة "مارى الدموية" أسطورة الشر، ومدام دى بومبادور المركيزة اللعوب، وملكة مصر الكارثة نازلى، وأولريكه ماينهوف أكبر زعيمة إرهابية عرفها العالم، وكاميلا بركر باولز المرأة التى حطمت أسطورة ديانا، وسوزان سميث قاتلة أطفالها، واليهودية روكسلانا خائنة الإمبراطورية العثمانية، وكريستين كلير فتاة المسبح العارية، والملكة التى لا ترحم كريستين السويدية، وزوجة الرئيس الأمريكى الراحل أبراهام لنكولن عدوة الأمريكيين، وميسالينا ظل الشيطان، ومايرا هندلى الشبح الذى يطارد البريطانيين، واميلدا ماركوس الحسناء الحرباء وقصة لولا مونتيز.. وآنا نيكول سميث، ومارى لويز، وكارمن مورى، وآنى موشيه بيراد، وريا وسكينة، وانشراح موسى، وكورا بيرل، وباربارة فيليرز، واليزا لينش!!

فى هذا الكتاب نساء ونساء آثرن التجرد من بشريتهن والتحليق فى عوالم الشر كل منهن أخذن مكانها فى قائمة أسوأ النساء فى التاريخ!!

W.Salama 010 15 17 873

I.S.B.N. 977-376-444-3

9 789773 764449

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة